



بشرية بشرى

بشرية بشرى



سِرِّيَّ السِّرِّ

٥٠ ألف ميل بين بلاد العالم

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية :

للقدراء

إلى هواة السياحة

إلى كل من أسهم في وضع التخطيط الثوري لأجهزة الإعلام

إلى كل من عبأ الطاقات والكفاءات في سبيل رفع اسم الجمهورية
العربية المتحدة عالياً في المحيط العالمي والمجال الدولي السياحي ٥

أقدم هذا الكتاب وهو مجموعة من الخواطر والمشاهدات أرجو بها
أن أكون قد أسهمت بدوري في نشر الوعي السياحي ٥

تقديم

بقلم الدكتور مهدي علام

مصر المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

عهد الى في فحص هذا الكتاب قبل نشره في سلسلة « الكتاب الأول » ،
التي يقدمها المجلس الأعلى ، للكتاب الذين ينشرون أول عمل أدبي لهم .
ولئن كانت المؤلفة لم ينشر لها عمل قبل هذا ، انها من غير شك قد مارس
فلمها الكتابة قبل اعداد هذا النص . ففي أسلوبها دليل على نضج أدبي
مبشر ، وفي عرضها لموضوعاتها أمل واعد . ومع اقرارى للنص في جملة ،
لم أتردد في تحرير بعض عباراته بما لا ينتقص قدر كاتبته ، فما شرع
« الكتاب الأول » الا لتسديد خطوات المؤلفين الموهوبين على الجادة المستقيمة .
وفد استجابت المؤلفة للملاحظات التي تضمنها تقرير الفحص في سماحة
ندل على اسعادها لقبول النقد البناء .

ويتناول هذا الكتاب وصف عدد من الزيارات التي قامت بها المؤلفة
في قارتي آسيا وأوربا : فقد زارت الاتحاد السوفيتي ، والصين ،
وسيلان ، وعدن ، وهنچ كونج ، والقدس ، ومكة المكرمة ، والمدينة المنورة ؛
كما زارت السويد والنرويج ، والدنمارك ، وفرنسا ، وبريطانيا ، وايطاليا ،
واليونان ، والسمسا ، وألمانيا ، وهولندا ، وسويسرا ، وأسبانيا .

وفي هذه الرحلة المترامية الأطراف عنيت الكاتبة بعرض صور نابضة
بالحياة لأهم المعالم التي زارتها ، والمدن الكبرى التي أقامت فيها ، ولما رآته
من متاحف ، ومكتبات ، ومصانع ، وتماثيل فنية ، وجامعات ، وبيوت
للشباب . وفي أسلوب لا ينقلنا الى كتب الجغرافية كئبت عن طبيعة السلاسل
وجوها ، وفي عبارات لا تقتحم حرم علم الاجتماع كئبت عن العادات والتقاليد
التي شهدتها - كل ذلك ، أو معظم ذلك ، مع المفارقة الرشيدة بين ما ترى
في رحلاتها ، وما تعرفه عن بلادها . ومما تهنأ عليه الكاتبة ، في هذا الصدد ،
أنها استطاعت أن تحدد الخط الدقيق الذي يفصل بين حبها لوطنها ،
والنعصب لكل ما فيه .

(و)

وتختلف معالجتها للبلاد التي زارتها طولا وقصرا (وعمقا أحيانا) ،
تبعاً للمدة التي قضتها في كل منها ، مما يدل على أنها لم تخضع للاغراء
التي يقع فيه بعض الناشئين من كتاب الرحلات ، باستيفاء مالا يستطيعون
مشاهدته شخصياً ، من الكتيبات والنشرات السياحية التي تغمر كل سائح
في تلك البلاد ؛ بل قصرت كتابتها على مساهداتها الخاصة . وقد لمست صدق
وصفها في كتابها عن الأماكن الكيرة التي لى بها عهد ومعرفة .

وفي الكتاب لمسات شخصية وأنسانية ، ووصف لأحداث طريفة حدثت
للمؤلفة ، وقد تناولها فلمها تناولاً يجمع بين صدق التصوير ، ويسر التعبير ،
مع بعض اللفات الفكاهية .

وفد ساعد الكاتبة على اطلاعها على البلاد التي زارها مقابلتها في تلك
البلاد لعدد من مواطنيها وأقاربها الذين يقيمون في تلك البلاد أو يزورونها ،
وكذلك لقاءها مع عدد من أهل تلك البلاد ، ممن كانت قد لقيتهم في مصر
في أثناء زيارتهم لها .

ومن أهم ما يمتاز به الكتاب أنه اختص بالوصف - الى جانب الأماكن
ومناظرها ، والناس وعاداتهم - أربع نواح لها دلالاتها في حياة الشعوب :
وهي السياحة ، ودور الكتب ، ونشاط الشباب ، وتطور المرأة . وبدوا لي
أنه من الطبيعي أن تهتم الكاتبة بهذه النواحي : فهي سيدة تهتم بمركز بنات
جنسها في البلاد المختلفة ، وهي أم تعنيها شئون الشباب ؛ ذلك الى أنها
في حياتها العملية مدبرة لمنطقة سياحية ، كما أنها كانت مدبرة لاحدى
المكتبات .

ولولا أن أرقام الصفحات ليست نهائية أمامي لأشرت الى كثير من
الفقرات التي توضح ما ذكرته ، كالكلام عن مركز المرأة الصينية ، وبيوت
الشباب ، وقصتها مع السيدة الانجليزية التي عجبت من أن يكون في مصر
مكتبات عامة ، فضلاً عن أن تتولى امرأة ادارتها .

وتتجلى عنايتها بشئون السياحة في عدة مواضع ، منها منلا ما كنيته
وهي في هولندا اذ تقول :

« لقد لمست ارتفاع مستوى المطبوعات السياحية في هولندا ،
ولما بحثت عن السر في ذلك وجدت أنها تطبع تحت اشراف ورقابة شديدة
من الدولة ، سواء في الانتاج أو التوزيع » .

(ز)

« وفي كل عام تجرى مسابقة كبيرة بين جميع الشرات التي تصدرها انحادات السياحة الفرعية ، لمعرفة أحسنها وأقدرها على اجتذاب السياح للبلاد . . . وتختار النشرة الفائزة التي تمنح دبلوم شرف وجائزة رمزية . .

» وهناك نقطة أخرى على كثير من الأهمية بالنسبة لهذه النشرات ، فالمحفظون لا يعهدون بترجمتها الى مواطنيهم الهولنديين مهما أنقنوا اللغات الأجنبية . ورأيهم في ذلك أن المواطن يمكنهم كتابة لغة صحيحة ، ولكنهم يفتقدون روح اللغة الأجنبية وتعبيراتها ، ولهذا يلجئون الى الأجانب المقيمين في هولندا على شرط ألا يكونوا قد قضوا فترة طويلة بعيدين عن أوطانهم . »

ونقول عن نشرة سياحية رأيتها في استوكهولم :

« أعارني وكيل مصلحة السباحة في استوكهولم دليلا سياحيا أخرجته شخص اسمه (تمبل فيلدنج) كتب فيه عن الجمهورية العربية المتحدة فصلا كله مفتريات وأكاذيب : فأكذوبة عن تلوث المياه ، وأخرى عن انعدام الأمن في الشوارع ، والسرفات التي تقوم بها الراقصات ذوات الأسنان الذهبية . . . وكان قد طلب الى ألا افعل أو أتضايق عند قراءة هذا الفصل ، قائلا : ان هذا الرجل يهودي ، وقد كتب عن باقي البلاد أكاذيب أخرى ، وهو يبغى من وراء ذلك لفت الأنظار . وقد كتب عن السويد أيضا أشياء غير صحيحة . وعندما عدت الى الفندق طالعت هذه الصفحات الشوهاء الوقحة مساء . . . فلم أتمالك نفسي من الغضب ، وشعرت بالدم يصعد الى رأسي ، ولم يطرق النوم جفوني . وفي الصباح توجهت لمقابلة سفيرنا لأتحدث معه في هذا الأمر . وقد اتخذ اجراءات رسميه لمنع نشر هذه الأكاذيب في المستقبل في حالة اعادة نشر هذا الدليل الحافل بالأكاذيب . »

واذا كانت المؤلفة قد أدت واجبها ، فان الاجراء الذي اتخذته السفارة اجراء أقل ما يوصف به أنه سلبي ومتواضع .

وبعد فهذا كتاب يقرأ ، متقفا ومسليا . وبه مجموعة كبيرة نفيسة من الصور التي توضح الأماكن والشخصيات التي تتحدث عنها المؤلفة . ورجائي أن تنال هذه الصور في طبعتها ما يحتفظ لها بقيمتها .

كلمة قصيرة

أمام خريطة كبيرة في بهو السفينة الكبيرة التي تمخر بي عباب المحيط الهندي وقفت أحاول أن أتبع بعيني ما قطعت من أشواط في أرض الله الواسعة .

فوجئت بصوت رجل يقف بجواري ويقول بأدب جم « هل أستطيع أن أساعدك ، إنني بحار قديم ومهندس على دراية بالخرائط الملاحية ؟ فأخبرته بما أريد ، فأخرج الرجل من جيبه ورقة وسألني عن البلاد التي زرتها في رحلتي . وعندما انتهيت من ذكر هذه البلاد كان قد انتهى هو من تدوين أرقام ثم ابتسم وهو يمد لي يده بالورقة قائلاً : « هل تعرفين يا سيدتي أنك قطعت رحلة طويلة في هذا العالم ؟ لقد قطعت بالضبط ٢٧ ألف ميل . »

لقد نشأت مولعة بالرحلات وارتياذ آفاق المجهول . . وقد ساعد على نمو طبيعة حب الاستطلاع عندي ما كنت أطلع الساعات الطوال عن معالم الحضارة والنهضة في مختلف بلاد العالم . ومن المصادفات السعيدة في المرحلة الأولى من دراستي أن الكلية الأمريكية كانت قد أعدت لطالباتها (وكنت إحداهن) رحلة إلى الخارج ، فاشتركت فيها وعدت منها بمشاهدات ومعلومات لا تزال عالقة في خاطري حتى اليوم ، إذ كانت أولى رحلاتي خارج وطني .

وقد امتدت جذور هذه الهواية إلى أعماق نفسي ، إلى حد جعلني لا أسمع عن رحلة إلا سارعت بالاشتراك فيها ، فضلاً عن أسفاري بمفردي إلى بعض بلاد أوروبا وآسيا :

(ى)

تم أسعدنى الحظ خلال قيامى بوظيفة أمينة مكتبة أحد المعاهد العليا
إذ تهيأت لى فرصة السياحة إلى الخارج كمبعوثة للاطلاع على نظم المكتبات
هناك ، فأشبع رغباتى فى هذا المجال وعند عودتى منها قدمت تقريراً وافياً
عنها إلى الجهات المسئولة .

ومن حسن طالعى أن وفقت إلى الالتحاق بمصلحة السياحة فوجدت
فيها المكان البصالح للمشاركة والإسهام فى الحقل السياحى .

وإذن ما أوردته فى هذا الكتاب ليس من وحي الخيال ، أو منقولاً عن
كتب أو مستقى من مراجع . وإنما هو حصيلة تجاربى ومعلوماتى ومشاهداتى
التي عدت بها من أسفارى ورحلاتى وجولاتى ودراساتى ومناقشاتى .

مقدمة

الحمد لله الذى قال فى كتابه العزيز « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى حث على الأسفار ضمنا بقوله « اطلبوا العلم ولو فى الصين » .

وناهيك بالركن الخامس للإسلام ألا وهو الحج الذى يعتبر أول نداء للسياحة الجماعية فى الجزيرة العربية ، ومفتاحاً لاقتصادها ومورداً مالياً لأهلها حيث قال تعالى « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم » .

والمنافع قيل إنها التجارة فى ذلك الوقت ، ولا أكون مبالغاً لو قلت إن التجارة هى المصدر الأول للسياحة ، فقد كان الناس يتكبدون مشاق الأسفار طلباً للبيع والشراء ، ولا أدل على ذلك من « رحلة الشتاء والصيف » المذكورة فى القرآن . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قبل وبعد زواجه من السيدة خديجة يرتحل طلباً للتجارة . وكانت لهذه الأسفار آثار بعيدة المدى فى العلاقات التجارية والدولية إذ عرف العرب المهند وهو السيف المصنوع من الصلب الهندى ، وإن سيداتنا لايزلن يذكرن (الموسلين) وما الكلمة إلا تحريف أجنبي لكلمة (موصلى) نسبة إلى مدينة الموصل المشهورة فى ذلك الحين بصناعة الحرير .

ولو رجعنا إلى التاريخ لوجدنا أن السياحة متأصلة فى نفوس البشر منذ أن خلق الله آدم وحواء فلقد غنى الرحالة القدماء بتدوين مشاهداتهم بفن يحسد لهم عليه أديباؤنا اليوم ، فالرحالة « بئياس » الذى عاش فى القرن الرابع قبل الميلاد كان أول من اجتاز بحر المانش على سفينة شراعية وأقام

في ناحية ريتاني الفرنسية ثم في الفلمنك والدانمرك فالسويد حتى استقر في آيسلندا، وله كتاب جمع فيه أغرب ما شهدته في تجواله أطلق عليه اسم (من الأقيانوس إلى الكرة الأرضية) ، وقد نقل المؤرخ سترابون الكثير من هذا الكتاب .

أما في القرون الوسطى فإن العرب هم الذين أكملوا رحلات أولئك المؤرخين القدامى، فلدينا أبو القاسم محمد ، وابن حوقل صاحب كتاب (صورة الأرض) المسالك والممالك وياقوت الحموي والإدريسي وناصر خسرو وابن بطوطة وهو أشهر من أن ينوه عنه .

ودارت عجلة الزمن وتطور كل شئ طبقاً لسنة النشوء والارتقاء وأصبحت السياحة تقوم على قواعد وأسس، بل أصبحت صناعة تدر على الدولة دخلاً لا يستهان به .

وكانت مصر فيما مضى من الزمان ، ولا تزال حتى الآن ، تنفرد بنصيب كبير من اهتمام السائحين لما توافر فيها من المغريات ذات الطابع الجذاب التي تستهوي أفئدة محبي الرحلات ، ذلك لأن مصر غنية بآثار الفراعنة ذات الروعة والجلال من حيث الفن التصويري الرفيع ، والعماثر الباسقة والطلاسم السحرية ذات الأساطير الخلابية والأقاصيص الشائقة والتعاويد الرهيبة .

كما أن بها أيضاً الأهرام الخالدة الذكر ، وأبو الهول . هذا إلى مايتوافر فيها من الدفء في الشتاء لمن أضربه البرد، والشمس الساطعة لمن أنهكت محنته الأجواء المليئة بالضباب والزوابع والأنواء .

كما أن مصر تملك شواطئ ممتدة على البحر المتوسط تتمتع باعتدال بالغ في مناخها وصفاء مستمر في جوها ، وسهولة في مواصلاتها وحسن مواقعها إلى الدرجة التي لا يمكن معها للمقيم أن يعوزه مزيد من الرفاهية والاستمتاع .

ولا يوجد بلد في العالم له كل هذه الخصائص وكل تلك المزايا الفريدة .

هذا إلى المركز التجارى الممتاز الذى تتمتع مصر لموقعها بين الشرق والغرب، ولمكانتها فى الجامعة العربية ومزلتها فى هذه المنظمة التى ينتظر ازدهارها وتوسعها وعلو شأنها .

ولا داعى لأن أبين الأهمية الكبرى للناحية الاستراتيجية السياحية لمصر فى هذا المجال. وإذا كانت السياحة فيما مضى من الزمان تعتبر ترفاً لا يستطيعه إلا أصحاب الثراء الواسع والدخل الضخم، فقد أصبحت اليوم تجارة وصناعة ورفناً وعلماً تسعى الدول بشتى الوسائل إلى استغلالها لتعريف العالم بما بلغته كل دولة من نهضة ورقى وتقدم وازدهار. علاوة على ما فى السياحة من دعم للروابط وتوطيد للعلاقات بين الشعوب، فضلاً عما تجلبه من رخاء مادي للدولة والأهالى .

وإذا كانت بعض البلاد - التى لم تبلغ مبالغنا من عراقة التاريخ وأصالة الفن وعظمة الآثار الخالدة على مر الزمن، ومن اعتدال المناخ الذى لا يكاد يكون له نظير فى العالم - تبذل جهداً عظيماً فى الدعاية السياحية، فالأولى بنا - نحن على ما هو معروف ومشهور من امتيازنا بالثروة الأثرية التى لا مثيل لها - أن ندعو بكافة الوسائل إلى ما يجلب إلينا أكبر عدد من السائحين، وهو أمر ليس بالعسير على الثورة التى حققت فى فترة وجيزة أعمالاً تعتبر فى حكم المعجزات .

ولا يسع المرء إلا أن يعترف بتلك الخطوات الجبارة التى خطتها جمهوريتنا الفتية سريعاً، ولذا فلانى أهيب بالمسؤولين عن هذا المرفق الهام أن يولوه عناية أكبر ليصلوا به إلى المستوى المرموق .

والأمل كبير فى أن تصل الجمهورية العربية المتحدة فى المستقبل قريب إلى مصاف الدول السياحية الكبرى .

تمهيد

وهبت الطبيعة مصر مناخاً ساحراً وامتازت بآثار خالدة على مر الزمن
هى ثمرة حضارات عريقة متعاقبة من فرعونية وإغريقية ورومانية إلى قبطية
وإسلامية .

وهى تحيا اليوم فى حضارة حديثة ونهضة شاملة وتتمتع بمركز جغرافى
مرموق ، فبلادنا تعتبر همزة الوصل بين قارات ثلاث وملتقى خطوط بحرية
وبرية وجوية تميزها على معظم بلاد العالم التى تتفاخر بآثارها وموقعها
ومناخها وإن لم تبلغ فى هذا المضمار ما بلغته جمهوريتنا .

لقد هيات الطبيعة لمصر هذه الخصائص والمزايا حتى لكأنها كانت على
اتفاق مع أجدادنا لتجعل منها بلداً سياحياً من الطراز الأول .

كانت الرحلات تعتبر منذ أقدم العهود من العوامل النفسية التى تدفع
المرء إلى الوقوف على ما فى العالم من آثار وعادات وتقاليد وطباع ، تنبج له
مقابلة وجوه جديدة تتبادل معها مختلف أنواع الثقافات والفنون والآداب .
وقد تطورت أساليب السياحة جيالاً بعد جيل حتى أصبحت فى عصرنا هذا
عاماً يدرس ، بل مورداً من أهم موارد الثروة القومية فى كثير من بلاد العالم ،
فلا غرابة أن نالت عناية خاصة من رجال الاقتصاد وعلماء النفس ومن وسائل
الإعلان عنها بمختلف أنواع الدعايات لها .

فكثير من دول العالم تعتمد اليوم فى اقتصادها على السياحة ، ونذكر
هنا من باب المثال لا الحصر دولة سويسرا التى أثرت مواردها بالدولارات
الأمريكية ، وإيطاليا التى رسمت سياستها المالية على أساس السياحة بحيث
لا تنقطع أفواج السائحين عنها طوال العام ؛

(ع)

ولقد بلغ عدد السياح في عام ١٩٦٤ ثمانية وعشرين مليوناً . بل إن الكنيسة الباباوية في الفاتيكان خرجت بمشروع سياحي اتسم بالطابع الديني فجلبت إليها الملايين من شتى بقاع العالم ، وكان تحت عنوان الاحتفال بالسنة المقدسة . كما وضعت انجلترا صناعة السياحة في مقدمة مواردها المنظورة وغير المنظورة .

وليس كل السائحين من الطبقات الثرية . فهناك الطبقات ذات الدخل المحدود التي لا ينكر أثرها في تنشيط السياحة وازدهارها ، إذ فكر رجال السياحة والاقتصاد في فتح مجال جديد لأفراد هذه الطبقة في ميدان السياحة . ومن المسلم به أن غالبية المثقفين في كل بلد هم في العادة من الطبقة المتوسطة وقد يصل عددهم إلى عدة ملايين في كل موسم . وإذا كان مركز مصر يتطلب دعاية قوية في ميدان السياحة الدولية للقضاء على التحديات الاستعمارية ، فإنه يتطلب أيضاً دعاية عريضة بحيث يستطيع منافسة أكبر دول العالم في جذب السياح .

ووزارة السياحة في جمهوريتنا تستطيع بوجه عام بفضل ما تبدله من جهود وتعمده من دعايات وخدمات أن تنهض بهذه المهمة في يسر ، لأن السائح إذا استمتع بما يشهيه خلال رحلاته في بلادنا ، كان عند عودته لوطنه . خير سفير لنا .

والسياحة ليست تجارة وصناعة فحسب ، بل هي فن ودبلوماسية مقنعة أيضاً . وإذا وجب على الإنسان قبل أن يخوض معركة ما أن يعد السلاح الذي يكفل له النصر ، فعلى شركات السياحة والهيئات السياحية عندنا أن لا تقصر جهودها على شئون الدعاية فقط ، إذ أن مهمتها الأولى تكمن في تعهد السائح منذ اللحظة الأولى لوصوله ، ومعاونته على استيفاء الإجراءات الجمركية وتسهيل مرور متاعه وتيسير إقامته بوساطة مندوبيها وإرشاده إلى الأماكن

(ف)

التي سيراها والآثار التي سيشاهدها وتسهيل إجراءات تحويل النقد إلى غير ذلك .

كما ينبغي أن يكون لنا في الخارج شركات سياحية أو مكاتب تنهض بعبء مهمتها السياحية بحيث لا تقع بلادنا تحت نفوذ الشركات الأجنبية، وأظن أننا لسنا من السذاجة بحيث ننتظر من هذه الشركات الأجنبية أن توجه السائحين إلى بلادنا دون بلادها .

وإن أبواب هذا الكتاب لكفيلة بإعطاء صورة واضحة لما تبذله البلاد الأجنبية التي زرتها من جهود بالغة في جذب السائح وإغرائه بالعودة إليها لما يجده من رعاية وحسن وفادة وخدمة طيبة .

وإني أعرض هذه الأبواب على كل مسئول عن السياحة في الجمهورية العربية المتحدة، وإلى كل مصري يهمه أن تكون بلاده قبلة السائحين من كل أنحاء العالم .

فرنسا

صاحت مضيئة الطائرة : « نحن فوق مطار أورلي بباريس فشدوا الأحزمة » سارع كل منا بربط حزام الأمان حول وسطه استعداداً للهبوط على أرض فرنسا ، وما هي إلا دقائق حتى توقفت المحركات وتوجهنا إلى المنطقة الجمركية وتسلمنا حقائبنا بعد إجراءات مبسطة للغاية، وكانت في انتظاري سيدة فرنسية كنت قد استضيفتها من قبل في القاهرة، وما أن رأيتني حتى أقبلت على ومعها باقة صغيرة من الزهور وعلى شفيتها ابتسامة الترحيب .

وكانت الساعة قد بلغت العاشرة والنصف صباحاً ، وكلم كان سروري عظيماً عندما علمت أنها قد حجزت لي غرفة في فندق الإليزيه بجوار سفارتنا. ولما كان الطبع السياحي غالباً فقد بدأت مع صديقتي بزيارة مصلحة السياحة الفرنسية في شارع الأوبرا .

قابلني المدير بوجهه باش وزاد ترحابه بي عندما علم أنني زميله له من مصلحة السياحة المصرية .

دار الحديث بيننا عن سحر الشرق وطيب مناخه ودفء شمسهِ وسماحة أهله وعظمة آثاره حتى أصبح محط أنظار السائحين ، ثم تشعب بنا الحديث إلى اختصاصات مصلحة السياحة الفرنسية التي كنت حريصة على الإلمام بها، فعلمت أنها تشرف على كل ما له علاقة أو صلة بالسياحة من مرافق عامة ومواصلات ، ومكاتب سياحية للاستعلامات والجمعيات التي تعمل على تنشيط السياحة ويطلق عليها اسم Syndicats Initiative وهي جمعيات

مستقلة تعمل في مختلف أنحاء البلاد وأقاليمها، ولها أهمية سياحية كبيرة .
وعندما كنت في بعثة صيفية سنة ١٩٥٥ قمت فيها بدراسة هذه
الجمعيات وإمكاناتها بناء على تكليف المصلحة لي ، وقد نفذت فعلاً
فكرة إنشاء هذه الجمعيات في بعض المحافظات السياحية ، على أثر التقرير
الذي قدمته عنها للمسؤولين . وتقوم هذه الجمعيات بطبع نشرات وخرائط
سياحية توزع مكاتب السياحة جزءاً كبيراً منها بحرفتها . وتحصل هذه
الجمعيات على إعانات سنوية من مصلحة السياحة .

ولما أبدت رغبتي في زيارة أقسام المصلحة اصطحبني المدير في جولة،
فشاهدت بجانب مراقبة الاستعلامات مراقبة فنية تعد مجموعة من الصور
السياحية معظمها عن باريس، كما رأيت في مراقبة الدعاية نظاماً للملصقات
السياحية على جانب كبير من الذوق الفني الذي يبرز جمال المناطق السياحية
في البلاد .

وعندما استوضحت المدير عن عمل بلجان تنشيط السياحة وأبدت رغبتي
في زيارة أحد مكاتبها، أشار على بزيارة مكتب (ليون Lyon) لأنه أكبر مكتب
لهذه الجمعية فذهبت إليه في اليوم التالي ووجدته يقع في مبنى فخم يتوسط
المدينة وبه طائفة من الموظفين الذين يجيدون اللغات الإنجليزية والألمانية
بجانب الفرنسية ، كما وجدته يحتوي على مجموعات من المطبوعات السياحية

الأنيقة منسقة مبوبة ، وأكد لي مدير المكتب بدوره أنه يعتبر أكبر مكتب
بالنسبة لأهمية مدينة ليون الصناعية والتجارية ، ثم أفصى بشكواه من ضعف
الإعانات التي تمنحها إياه مصلحة السياحة الفرنسية قائلاً : « لولا ضعف
الإعانة لاستطاعت هذه المكاتب مضاعفة نشاطها في الحقول السياحي » .

ويطبع هذا المكتب نحو عشرة آلاف نشرة يحتفظ لنفسه بنصفها ويرسل النصف الآخر لمصلحة السياحة لتوزيعها مجاناً .

وما أن غادرت باب هذا المكتب حتى أشارت على صديقتي بتناول وجبة غذاء خفيفة في أحد المطاعم ، وبينما كنا ننتظر ما طلبناه لاحظت منى التفاتة إلى صورة مثبتة على أحد جدران المطعم تمثل منظراً رائعاً خلاباً للريفيرا الفرنسية ، ولاحظت صديقتي تأمل الطويل للصورة فقالت : « هل زرت هذه المنطقة من فرنسا؟ » ، فأجبت : « نعم ولى فيها ذكريات جميلة لن تنسى » وسردت لها بعضها وهى تصغى إلى باهتمام .

وزرت نيس إحدى عواصم الريفيرا الفرنسية التى كانت قرية صيد اكتشفها الإنجليز منذ أكثر من مائة عام ، وفعلاً مكثت فيها بضعة أيام عرفت خلالها أنها تضم مائتى فندق .

وبعد وصولى إلى Nice نيس بوساطة الأتوبيس السياحى الإسكندنافى ببضع ساعات وصلتى دعوة لزيارة نادى البلدية ، فسررت بها طبعاً وخيل إلى أن هناك حفلة موسيقية ، فذهبت بعد الظهر وكان مبنى النادى الفخم على الساحل الذى يسمى (نزهة الإنجليز) ، بعد اجتياز الشرفة الكبيرة التى تحتضن المبنى وجدت مكتب الاستعلامات ويشرف عليه موظف على جانب كبير من الأدب فرحب بى ودعانى للدخول عندما أبرزت له بطاقة الدعوة ، فسألت : « هل توجد حفلة موسيقية أو اسنعراضية ؟ » ، فأجاب : « كلا توجد صالات اللعب الكبيرة والصغيرة للميسر » وحدثت نفسى كيف أدخل مثل هذا المكان وأنا لا أعرف شيئاً عن أنواع اللعب ، وخيل إلى أننى سوف أسترعى الأنظار بدخولى بمفردى ، فعدت أدراجى بعد شكر الموظف ومكثت فى الشرفة أتناول بعض المأكولات .

كانت الترفقة على اتساعها غاصة بالزوار من مختلف البلاد ولم يكن هناك مقعد خال إلا واحداً كنت أضع عليه حقيقتي بجانب المائدة التي أشغلها ، وإذا بي أفاجأ بشخص ضئيل الجسم يبتسم ويسأل إذا كان من الممكن أن يشغل المقعد الذي تشغله حقيقتي ، وكانت معه سيدة ضئيلة مثله فرحبت بذلك طبعاً . وبعد برهة كان قد تم التعارف بيننا وشعرت كأننا أصدقاء منذ عهد بعيد وأظهرا شيئاً من الدهشة عندما علما بأنى مصرية وعرفتاهما عنوانى فى الفندق الذى أنزل به واتفقنا على أن نقضى اليوم التالى معاً .

وفى صباح اليوم التالى كنت فى صالة الاستقبال بالفندق ووجدت صديق الأمس الألماني وقرينته وقد تركت لى محلها بجانب (جونتير) زوجها وجلست هى فى المقعد الخلفى تكريماً لى كضيفه ، ولأنها لا تكلم إلا الألمانية فكان زوجها يقوم بالترجمة بيننا .

كان جونتير (Gunter) يعرف طرق الريفييرا جيداً وطرقها الجبلية بين نيس وكان وجوان ليمان وهو المكان المفضل كمصيف للامبراطورة السابقة ثريا وشاه إيران .

قضينا يوماً ممتعاً على هذه الشواطئ نتجاذب أطراف الحديث كل عن بلده ثم عن المكان الجميل الذى تلافينا فيه ، وعند ما عدنا بعد الظهر طلبت من (جونتير Gunter) أن يعتذر لإلّا (Elas) زوجته عن عدم إمكانية التفاهم معها بالألمانية ووعدتها بدراسة اللغة لإكراماً لها ، وأجابت أنها ستكون سعيدة بالتفاهم معى مباشرة وسوف نحاول هى أيضاً أن تتعلم العربية لإكراماً لى وقائت إنها قضت معى يوماً ممتعاً ، هيأت لها فيه جواً جديداً مسلياً أنهى المناقشات العائلية المتعبة من مراجعة الميزانية والاختلاف فى الرأى ، فهى مثلاً لا تحب الشمس وهو على العكس منها ، فكان هذا أول يوم لم يحدث فيه (خناق) أو مناقشة بل التقاط صور وتبريج ووقت ممتع .

كنت على نية قضاء يومين فقط فى هذا المكان ، ولكى أطلت المدة إلى عشرة أيام مع الرفيقين الظرفيين وكان وداعاً مؤلماً .

واستمرت المراسلات بيننا ووعدا بزيارة مصر إكراماً لى بعد سنتين ،
فسألت ولماذا بعد سنتين ؟ فأجاب جونتر Gunter بأنه فقد كل ما يملك أثناء
الحرب وأنه يبدأ حياته من الصفر هو وزوجته الصغيرة ونجلها الوحيد وهذه
كانت أول رحلة لها بالسيارة الجديدة . وفى السنة القادمة سوف يؤثث المنزل
ثم يقوم برحلة إلى البلاد العربية بعد سنتين ، وقد أعجبت بهذا التخطيط
العائلى الذى يتم عن نظام وفهم للحياة .

حفلة ١٩٥٥/٧/٢٣ :

دعنى حرم سفيرنا لزيارة السفارة وفى الساعة السادسة والنصف مساء كانت
السفارة حافلة بالشخصيات الدبلوماسية وكانت الزهور فى القاعات والأهواء
تسترعى الأنظار لحسن تنسيقها وحمال رونقها وكانت المائدة حافلة بأنواع
الأطعمة الغربية وكم كان بودى أن تحفل ببعض الأصناف الشرقية .

كان عدد المصريين كثيراً وكانت ملابس الملاحقين العسكريين المصريين
مثار إعجاب المدعوين .

: ٩٥٥/٧/٢٦

أما حفلة الملحق العسكرى المصرى فى ذلك الوقت (بكباشى ثروت
عكاشة) فكانت حفلة شائقة وكان المكان مناسباً إذ أقيمت فى الحديقة الملحقة
بالمبنى الفخم فى غابات بولونيا Pré Callon ، وكان مشهوراً فى
ذلك الوقت بفخامته ورقبه . وكان عدد الملاحقين العسكريين من السفارات
الأجنبية لافتاً للنظر وأذكر أن معظم الحاضرين كان بادى الاهتمام بما حققته
الجمهورية من منجزات وكان عدد الموسيقيين الفرنسيين والفنانين ملحوظاً فى ذلك
الحفل ، وأعتقد أن السبب يرجع إلى أن صاحب الدعوة فنان أصيل .

مكتب البعثات المصرى :

بلغ عدد موظفات المكتب فى ذلك الوقت خمساً وقد مضى على عملهن فى المكتب
سنوات عدة مما جعلهن يتمصرن ، ويبدو ذلك فى طريقة استقبالهن وفى النكتة
اللطيفة يقلنها بمناسبة وصول عضو بعثة أو سفره ، وعندما سألت إحداهن عما إذا

كانت تحب مصر قالت : « وأتمنى لو أتيتحت لزيارتها ومن الغريب أنى لم أبرح باريس » ، وبهذه المناسبة أقترح تسهيل زيارة بلادنا للقائمين بالعمل في مكاتبنا في الخارج إذا ما لمسنا فيهم الكفاءة والإخلاص في العمل .

كان في برنامجى أن أمكث في باريس بضعة أيام للوقوف على أحدث الوسائل المتبعة في فن المكتبات ، وكانت دار الكتب الأهلية الفرنسية هى خير مرجع لتحقيق رغبتى . لم أركب « المترو » الذى يسير تحت الأرض لاخوفاً منه وإنما أردت أن أقطع المسافة بين الفندق الذى أقيم فيه وبين « الدار » سيراً على الأقدام لأشاهد الحركة اللامعقولة في شوارع مدينة النور والعلم .

طابت مقابلة أحد المسؤولين في مكتبة باريس الأهلية فجاءتنى فتاة تملو شفقتها ابتسامة الترحيب ، ولما قدمت نفسى لها اتسعت الابتسامة وقدمت نفسها إلى بدورها قائلة « أنا مدموازيل جاكيو Jackio رئيسة قسم الملابس والميداليات التاريخية في المكتبة ونحلى هو المسيو دريتون الذى كان مديراً لمصاحبة الآثار في مصر والذى ألف عدة كتب عن الآثار الفرعونية ولا يطيب له الحديث إلا عن الفراعنة ومدنيتهم العريقة » .

وقد أشعرتنى بحديثها وترحيبها أننى مع صديقة قديمة ، ثم قادتنى إلى مختلف أقسام الدار وأنا أستمع لشرحها وكانت لاتمل في أثناء الطواف من ترديد الحديث عن نحالها مسيو دريتون وعن مصر التى تأخذ آثارها بالألباب .

ومن غرائب العجاف أن يقع نظرى في قاعة المخطوطات على مواطن مصرى منكب على سجل مستطيل الشكل أكل عليه الدهر وشرب ، فدنوت منه مدفوعة بحب الاستطلاع فرأيت سجلاً محمراً بخط غريب لم أفهمه ، وسمعت هذا المواطن يقول لرئيسة القسم « مدموازيل دلفرنى Dalverni » إن هذا المخطوط ليس دفتر حسابات كما كتب على غلافه ، وإنما سجل قيدت فيه أسماء كبار رجال الدولة المصرية سواء من استشهد منهم أو من توفى ، ودون فيه ما خلفوه وراءهم من ميراث ؛ من عبيد إلى أثاث ورياش . . . الخ وحدد فيه نسبة المصرية المستحقة على هذا الميراث بما يقطع بأن مصر

عرفت ضريبة التركات منذ أكثر من ثلاثة قرون . ويرجع تاريخ هذا المخطوط الذى كتب بخط (القرمه) إلى سنة ١٠١٨ هجرية ، وبدى أن أهمية هذا السجل التاريخية عظيمة جدا . ومن الغريب أن الزميل المصرى وهو الأستاذ إبراهيم المويلى وجد فى صفحة ٢١ من هذا الكتاب اسم جده الأكبر حسين المويلى بك الذى كان فى ذلت الوقت « بك الخزينة المصرية العامة » أى مديرها . وغادرت الدار شاكرة للمستولين اهتمامهم بشأنى .

ولما كان كثير من المصريين يعانون من أمراض الكبد والكلى فقد رافقت إحدى السيدات المصريات التى جاءت للاستشفاء بمياه (فيتل) وهى قرية تبعد عن باريس بحوالى خمس ساعات (بالاتوكار) . فركبناه سوياً مبكرين ، فوجدنا الطريق فى الريف الفرنسى مسلياً وجميلاً ، وفى كل بلدة صغيرة توجد استراحة ومطعم لا يقل جماله عن مطاعم باريس . ولكل منها شهرة فى وجبة شهية معينة .

وفى (فيتل) أكثر من نوع من المياه المعدنية لأمراض الكلى والكبد وحمامات ضخمة تحيط بها حدائق غناء واسعة ، ومدة العلاج بها نحو ثلاثة أسابيع . وكنا نلتقى فى مواعيد معينة صباحاً ومساءً وأهل البلد والأجانب يجتمعون عند الينابيع (Sources) كل يحمل كوباً ليشرّب من ينبوع معين حسب إرشادات الطبيب وبمقدار معين كأنه دواء لا تجوز مخالفته .

وأهم ما يلفت النظر فى فيتل تلك الأتوبيسات الزرقاء Autocars Bleus للرحلات القصيرة خارج البلد حتى لا تبعث الإقامة بها على الملل خصوصاً إذا كان المقصود هو العلاج .

فى ميدان يتوسط الفنادق والحمامات توجد عربة صغيرة وبها سيدة تقوم بالحجز ولوحة كبيره مدون عليها الرحلات الأسبوعية يوماً بيوم ، والمواعيد من ذهاب وإياب وكل ما يريد السائح معرفته .

وفد دخلت مكتبة صغيرة قريبة من هذا المكان لشراء بعض الكتب فأهدانى صاحب المكتبة دليلاً صغيراً يحتوى على كل ما يرغب السائح

في معرفته ؛ ففيه تعريف بمحالتها ، ولم يطلب مني ثمنا للدليل فشكرته ، وهذا برهان على أن المواطن الفرنسي بار بوطنه . وقد قمت برحلة على إحدى هذه السيارات إلى أماكن أثرية جميلة خارج (فيتل) جددت نشاطي وأذهبت عني ما كنت أشعر به من جهد وإرهاق .

حاضرة مصر الفنية تبعث في فرنسا :

عند عودتي إلى الفندق ذات مساء وجدت في حجرتي دعوة في انتظاري لحضور حفل افتتاح معرض « صالون الفنانين الفرنسيين » بباريس ، ويعتبر أكبر معرض فني في فرنسا إذ لا يسمح بالاشتراك فيه إلا لكبار الفنانين بعد عرض أعمالهم على لجنة من خمسين فناناً .

لم أتوان في تلبية الدعوة ، وكم كانت دهشتي عندما وقع بصري على ثلاثة تماثيل تقدم بها المثال المصري عبد الحميد حمدي ، ولقد سررت عندما علمت أنه قد فاز بالميدالية البرونزية على أهم تماثيل في مجموعة (مصر الحرة) وهو عبارة عن أسد خطوط جسمه فيها جمال وحياة وشاعرية وفتاة ترمز إلى مصر تنبض بالفتوة والرشاقة يعبر عنهما قوامها الفارع ، أما حركة الذراعين فهي تعبر عن الثورة ضد الحمول والضعف وتدفع الشباب إلى العمل ، ثم شعلة فيها كل الحمال والمعاني السامية ، فما أسعد مصر بما حققته هذه التحفة من نصر فني على أيدي أحد أبنائها الأبرار .

كنت على موعد مع قرينة فنصلنا في باريس لمشاهدة (لا ترافياتا) في دار الأوبرا الباريسية على أن نتقابل في مقهى (كافيه دي لايبه) إذ أنها ملتقى المصريين هناك . ذهبت بالأتوبيس من الشانزلزيه حيث أقيم إلى ميدان الأوبرا حيث اللقاء ، ويجدر بي هنا أن أنوه بالنظام الذي يسود سكان باريس من ناحية عدم التزامهم والتضارب للصعود إلى الأتوبيس أو النزول منه إذ يقفون في طابور منظم على المحطة كل بدوره في الركوب لا يسبق راكب

راكبا آخر . أما نظام التذاكر فكان فريداً في نوعه ، فالتذكرة مقسمة إلى أجزاء صغيرة سجل على كل جزء منها محطة واحدة على أن يعطى الراكب للكمسارى أجزاء بعدد المحطات ، وإن كان الراكب أجنبياً فإن المحصل يرشده إلى عدد المحطات والمحطة التى يقصدها . وهذا يدل على الثقة المتبادلة بين المحصل والراكب إذ يستطيع أى راكب لا ضمير له أن يناول الكمسارى جزءين أو ثلاثة من التذكرة ثم يركب بها عشر محطات وقد لا ينتبه إليه المحصل إطلاقاً وإنما هو شرف المعاملة بين سكان باريس .

قابلت صديقتى فى ميدان الأوبرا واستمتعنا بالسهرة فى دار الأوبرا التى كانت تزخر بالمشاهدين ولا سيما السائحين الأجانب . وهذه المناسبة لاحظت أن معظم ملاهى باريس تكرر فيها ولعبها للدعاية للبلد . كنت فى ملاهى (الكابوسين) (Capucine) ومعظم بنود البرنامج قائم على النكتة اللطيفة والدعابة مع الأمريكان ، ووجدت أكثر الاستعراضات تبعث البهجة والسرور فى نفوس المشاهدين ، ومجاملة للسياح تعرض بعض البنود باللغات الأجنبية وينتهى الاستعراض بتحياتهم مما جعل الإقبال شديداً على هذه الملاهى .

هناك مبادئ ثلاثة اشتهرت بها فرنسا ؛ الحرية والإخاء والمساواة وتعتبر فرنسا فى مقدمة بلاد السياحة فى أوربا لأن السائح يجد بها كل شئ فهناك مجموعة من مدن المياه تكاد تصلح لكثير من الأمراض التى اكتشفها الطب ، وهناك السواحل والتواطى والبقاع الجبلية ذات الجمال الساحر والتى يود السائح المصرى أن يزورها ، وأذكر منها سلسلة الجبال البيضاء (ألون بلان Monto Blanc) يكلل رءوسها الجليد طوال العام ، ومن أهم المدن التى تستحق الزيارة فى هذا الإقليم (شامونيكس) Chamonix وكان لى فيها منذ عهد بعيد مغامرة طريفة ، فقد كان الوصول فيها إلى أعلى جبل الثلج ويبلغ حوالى ثلاثة آلاف قدم بواسطة (تليفريك) ولا يكلف السائح أكثر من ثلاثين قرشا فى ذلك الوقت ، فصممت أنا وبعض الزميلات

وكنّا طالبات في رحلة علمية على أن تقتصد هذا المبلغ وتتسلق الجبل ، وفعلاً اشترينا عصياً بكعوب حديدية وأحذية من الفلين خاصة بتسلق الجبال وكان ثمنها أكثر من أجرة التليفريك ولكنه حب المغامرة والرياضة إذ كانت أول رحلة لي في أوروبا عندما كنت طالبة بالكلية الأمريكية. وينتهي وادي شامونيكس إلى طريق يشبه عرق الزجاجة يؤدي إلى سويسرا، وتوجد في ذلك الإقليم ثلاث بحيرات جميلة هي ليان وبورجيه وأنسي ancy وقد تغنى كثير من شعراء فرنسا بجمال هذه البحيرات وعلى الأخص لامارتين .

ومن الأقاليم الجبلية الأخرى في فرنسا إقليم البرنيه وفيه الجبال التي تفصل بين فرنسا وأسبانيا، وجمال الطبيعة هناك والحياة الريفية على الفطرة، وقد قضيت نحو أسبوع في (ولى أرييجج Moulis Ariège) التي تقع في حوض (البرنيه) في ضيافة إحدى السيدات الفرنسيات التي عاشت في مصر سنوات عدة تعتبرها وطنها الثاني .

موناكو :

دولة الحبيب كما يسمونها وتقع فيها مدينة مونت كارلو . . مدينة ازهور وهي أشهر مدن إمارة موناكو المستقلة عن فرنسا ولها جيشها وحاكمها (الأمير) وأهلها لا يدفعون الضرائب لفرنسا كما أنها أشهر مدن الميسر في العالم كله وقد زرت فيها أيضاً متحف الأسماك (أكويريام) الذي يجمع أشهر أنواع الأسماك والأحياء المائية الأخرى .

وهي تعتمد على إيراد ماهي مونت كارلو وإيراد الفنادق المشهورة وأهملها ، أوتيل ادي باري وأرميتاج ويقال إن الأمير يشرف شخصياً على الإدارة العليا للفنادق والكازينو حتى يضمن حسن سير الإدارة وعدم إرباك العمل في هذه الفنادق مما قد يؤدي إلى اغضاب السائمين الأمر بكار . والإنجليز الأثرياء والشرقيين من النزلاء .

مونت كارلو :

مدينة الفضية: ولا يوجد في هذه المدينة ملاح ليلية كما هو الحال في فرنسا فلو لم يكن هناك كازينو القمار لصارت نموذجاً للمدينة الفاضلة وأعتقد أن السبب الحقيقي هو أن المسؤولين عن الإدارة تبينوا أن أماكن اللهو الليلية قد تصرف بعض الزوار عن القمار، وبالتالي يقل الإيراد الذي يعتمد كله على أرباح كازينو القمار بالعابه المختلفة .

و (الأكويريام) متحف الأحياء المائية يعد من أكبر المتاحف في أوروبا بمجموعة صوره النادرة، ويا حبذا لو أن هواة الصيد في أعماق البحار عندنا تعاونوا مع المسؤولين لتعزيز متحفنا المماثل في السويس أو الإسكندرية ولا سيما أن منطقة البحر الأحمر حافلة بأنواع نادرة من الأسماك والأصداف نستطيع بها منافسة المتحف الفرنسي ذي الشهرة العالمية بل ربما تفوقنا عليه .

بعد زيارة ممتعة خاطفة لهذا المتحف عزمنا على مواصلة الرحلة إلى إيطاليا عن طريق الريفيرا .

نيس :

عاصمة الساحل الأزرق وبها ٢٠٠ فندق وتقام بها مهرجانات وسباق خيل وسباق السيارات والزوارق ولأنها وإن كانت تقع على ساحل البحر إلا أن الجبال الشاهقة التي تكتنفها تحميها من شدة هبوب الرياح الباردة في الشتاء . وتجده قراها وطرقها الضيقة على قمم الجبال مما يضفي على البلدة جمالاً وبهجة ويبدو أن الطبيعة قد حبها بعطفها حتى جعلتها في نفس الوقت مصيفاً يتسابق إليه الناس ومشى تتجه إليه الرعية^٢.

ايطاليا

شاطئ القرنفل :

بعد أن تركنا وراءنا الحدود الفرنسية ظهرت لنا معالم الريفيرا الإيطالية وهي لا تختلف كثيراً عن أختها الفرنسية اللهم إلا في حسن التنسيق واختلاف طريقة المعاملة ، فالشعب الإيطالي يمتاز عن الشعب الفرنسي بكرم الوفادة والترحيب وحسن اللقاء .

وصلنا مدينة (سان ريمو) وهي عاصمة (ساحل الزهور) كما يسمونها ، وتوجد لها مزارع شاسعة للقرنفل فضلاً عن بعض الزهور الأخرى ، وكانت آثار الحرب بادية للعيان في بعض المباني القائمة على الهضاب ثم ينخفض الطريق إلى شاطئ رملي جميل ولم تكن الطرق ممهدة كما هو الحال في الساحل الفرنسي ، فررنا ببعض الآثار من العهد الروماني ، واسترعى انتباهي نصب تذكاري تحيط به رسومات من الزهور والخضرة تسجل تاريخ إنشائه منقوشاً بالقرنفل الأحمر الجميل . وناهيك بطريقة الإعلان المشوقة الواضحة التي تبدو على طول الطريق ، وعندما وصلنا إلى سافونا ظهرت « الزهريات » والأواني - الفخارية وهي الصناعة التي تشتهر بها هذه البلدة - ثم لاحت منطقة خضراء خصصت للمعسكرات تلمح منها البحر من وقت لآخر من خلال الأشجار الوارفة .

واصلنا السير إلى ساننا مرجريتا التي تشبه إلى حد كبير « جوان ليبان » في فرنسا وهي مركز عالمي للرياضة البحرية . كان ميعاد الغداء قد حان ونحن في ساننا مرجريتا . وفي مطعم صغير على الشاطئ سألنا عن الأكلة المفضلة ، أو طبق اليوم فكانت سمكة في الفرن ، وحضر الحارسون بعد مدة قصيرة يحمل لفافة ورق في طبق طويل وإذا بالسمكة داخلها ، وكانت أكلة شهية جدا استأنفنا بعدها السفر بالأتوبيس إلى رابالو .

أما مدينة (رابالو) وهى أصغر قليلا من (سانتا مارجريتا) فتحتوى على مجموعة من المراكب الشراعية واليخوت التى يملكها أصحاب الملايين من شتى دول العالم، كما أن الألوان الزاهية التى طليت بها الكباين على الساحل تضيف على المنطقة طابعا خاصا يتسق مع ألوان حقول الزهور .

ثم سرنا فى طرق متشعبة متنوعة، فتارة تصعد بنا إلى أعالي الجبال فترى منها بانوراما جديرة بريشة رافائيل أو بنس ، وأخرى تهبط بنا إلى الساحل .

وقد لاحظت أن الجبال نفسها متنوعة الألوان والتكوين؛ فمنها الصخرى والحجرى الأصفر ومنها ما زينته يد الطبيعة بمختلف الزهور الصغيرة والنباتات البرية ، فسبحان الذى سخر كل هذا الجمال ليستمع به الإنسان .

روما المدينة الخالدة :

هبطت إلى روما موفدة من قبل مصلحة السياحة للدراسة [نظم المكاتب السياحية وجمعيات تنشيط السياحة التى اشتهرت بها إيطاليا ولما كان مقر مصلحة السياحة فى روما فقد قصدت فى أول الأمر زيارتها إذ تعتبر العمود الفقرى الرسمى للسياحة ، وتخضع لرياسة مجلس الوزراء مباشرة .

كان المدير متغيبا فى باريس ، فقابلنى السكرتير وقدمنى إلى مدير قسم السياحة الخارجية الذى حصلت منه على بعض المعلومات والمطبوعات لأدرسها، وقد أظهر شعورا طيبا نحو مصر والمصريين وتمنى أن تتاح له الفرصة للسفر إليها، وأبدى أسفه لأن التكاليف باهظة ومستوى الفنادق المصرية مرتفع جدا . ولذلك كان الأغنياء فقط هم الذين يمكنهم السفر لمصر . أما غيرهم فيفضل السفر إلى البلاد القريبة الرخيصة كإسبانيا والنمسا وفرنسا الخ ...

فأبلغته — أن مصر الآن مستعدة لاستقبال السائحين ذوي الدخل المحدود
وأنها تعتبر أرخص بلاد العالم وأن الفنادق المعتدلة الأجر أصبحت كافية
لعدد لا بأس به والمعيشة عموماً مريحة ومعتدلة . . ثم دار بيننا الحديث حول
الهيئات السياحية في إيطاليا فقال إنه توجد القومسارية السياحية؛ وهي هيئة
يرأسها قومسيير ويتعاون معه مجلس مكون من ٢٨ عضواً هم مندوبو
وزارات الخارجية والداخلية والتجارة والمالية والتربية والمواصلات
والجنة الأهلية الأولمبية والجمعية الأهلية للبنوك واتحاد المطاعم والمحال العامة
لإيطاليا، وشركة (شيت) للمواصلات السياحية الإيطالية والمنطقة الأهلية
المساعدة الاجتماعية (E.N.I.T.) ومندوبو شركات تنشيط السياحة
(E.P.D.T.) ومدير الشركة الأهلية الصناعية للسياحة . ويستترشد
رئيس المجلس بآراء المندوبين والمديرين ويشركهم في بحث المسائل السياحية
الأهلية، وتتكون لجان من الخبراء للدراسة المشكلات الخاصة بالسياحة
ويجوز تعيين بعض موظفي الحكومة أعضاء في هذه اللجان . ولهذا القومسارية
عتماد خاص في ميزانية الدولة .

ثم استطرد قائلاً إنه توجد اللجان الإقليمية لتنشيط السياحة، ولها
الشخصية المعنوية وتعمل تحت إشراف القومسارية السياحية ولها مكتب
في كل من الأقاليم التسعين، وهي تعمل على تقديم مشروعات واقتراحات
في الميدان السياحي وتنظيم طرق الدعاية السياحية بالإعلانات والنشرات
ثم توثيق الصلة بين الهيئات والمكاتب والجمعيات السياحية .

وقد سألته عن الموارد المالية التي تعتمد عليها ميزانية هذه اللجان فأجاب :

إن ميزانية هذه اللجان تعتمد على تبرعات الغرفة التجارية والإدارات
الإقليمية وضريبة الإقامة ثم إعانة الحكومة .

وعندما سألته عن نشاطات سياحية أخرى حيث إني كنت في صدد دراسة هذه اللجان بالذات لأنها لم تكن قد أنشئت عندنا حتى سنة ١٩٥٥ ، أجب بأنه توجد مكاتب سياحية في المناطق العلاجية الإقليمية ويبلغ عددها في إيطاليا ٢٠٠ ومن اختصاصاتها :

(١) الإشراف على تحسين وتجميل الطرق والحدائق العامة والمنشآت والمواصلات لهذه المناطق .

(٢) الإشراف على المشكلات العلاجية والأغذية .

(٣) الدعاية والإعلان عن المركز الصحي لجلب الأجانب من المرضى .

(٤) القيام بمشروعات من شأنها تحسين المركز السياحي والإسهام في المعارض والمباريات والأسواق الخ ..

ولهذه المكاتب الحق في الإشراف على المنشآت العامة التي يتردد عليها الأجانب ، وترأس وزارة الداخلية هذه المكاتب وتنفق عليها من ضريبة الإقامة، وإذا لم تكف لتغطية مصروفاتها فإنها تستكمل من ضريبة الملاهي والمحال العامة .

اكتفيت بهذه المعلومات القيمة من الموظف الكبير في مصلحة السياحة في إيطاليا، واعتبرتها أساساً لبدء زيارتي لهذه المكاتب في مختلف البلدان الإيطالية قبل وضع التقرير المطلوب عن دراسة هذه اللجان لتنفيذها عندنا .

وقد قمت فعلاً بزيارة بعض أفرع هذه المكاتب في مختلف بلاد إيطاليا كفيينا وجنوا وفلورنس وميلانو الخ .. ولمست مدى نشاطها والخدمات السياحية التي تقدم بوساطتها في هذا البلد السياحي العظيم .

وقد أنشئت الآن في بعض محافظاتنا هذه اللجان لتنشيط السياحة فيها، ولكن أعتقد أنها تنقصها الإمكانيات والصلاحيات اللازمة .

مكاتب السياحة للإقامة والعلاج :

وهى المكاتب التى توجد فى المناطق العلاجية مثل ابانو ومونتكاتيني ومجموعها فى إيطاليا ٢٠٠ وعملها الإشراف على هذه المراكز العلاجية والدعاية لها والعمل على تحسين مواصلاتها وحدائقها وميادينها وفنادقها .

وما أحوجنا إلى مكتب واحد فى مدينة حلوان مثلا وهى المدينة العالمية التى تكاد تلفظ آخر أنفاسها إذا قيست بالمدن العلاجية التى تفوقها حلوان ، سواء فى نوع العيون الكبريتية أو مناخها ، وأكثر من يؤمها من السويد والألمان ، ولكن نجدهم لا يبرحون الفنادق لانعدام وسائل الترفية أو لعدم تشجيعهم - لى القيام برحلات كما هو الحال فى فيشى وفيتل بفرنسا مثلا .

كنت ضمن المشتركين فى مؤتمر المكتبات الذى عقد فى روما ، وبينما أنا فى غرفة الطعام بالفندق أتناول طعام الإفطار على عجل حتى لا أتأخر عن موعد المؤتمر ، وكنت أدون فى أثناء ذلك بعض مشاهداتى ومذكراتى ، وجدت خلفى رجلا تبين لى فيما بعد أنه فنان إنجليزى كان يتابع ما أدونه فى دهشة وحب استطلاع ، فأخذ يسألنى بعينه قبل شفثيه عما أكتب وبأية لغة ؟ فأجبتة بالإنجليزية : بأننى أكتب بالعربية وليس بالصينية .

دهش الرجل وبدأ يسألنى عن بلادى وعن اللغة الغريبة التى تخالف لغته فى الكتابة من اليمين ، وعندما سألته عن عمله أجاب بأنه فنان رسام إنجليزى جاء فى بعثة للدراسة الفن فى إيطاليا ، وأنه سعيد بوجوده هنا ، وعندما استأذنت للانصراف حيث أن موعد الاجتماع كان قد حان وكنا سوف نحظى بمقابلة البابا فى مصيفه كاستلو جوند ولفو (Castello Gondoifo) بعد بضع ساعات ، سألتى السيد الفنان عما إذا كنت قد اشتريت غطاء للرأس لمقابلة البابا ، فدهشت وعلمت منه بأننى لن أقابل البابا إلا إذا كان على رأسى طرحة سوداء احتراماً للتقاليد

وجدت نفسي في مأزق ولكنه استطرد قائلا : لا تنزعجى فسوف تجدين في محال شارع فيا ناسيونال وهو قريب جدا كما تعلمين قطعة دنثلة سوداء على شكل مثلث تباع خصيصاً لهذه المناسبة وهى زيارة البابا . فشكرته وأسرعت إلى فيانا سيونال ولم أجد صعوبة في شراء الدنثلة السوداء لتغطية الرأس وكان تمنها زهيدا جدا على ما أذكر .

كان أعضاء المؤتمر حوالى ٣٠٠ من حوالى ١٢ دولة من دول أوروبا . وكان ما يقرب من ثلث الأعضاء من النساء وكنت الوحيدة من الجمهورية العربية المتحدة وكنت عضو مجلس إدارة في جمعية المكتبات المصرية .

أول ما لفت نظري الحرس البابوى بملابسه التقليدية الحمراء عند أول باب للقصر الذى خيل إلينا أنه معلق بين جبليين ويطل على بحيرة كبيرة وكان الاستقبال في بهو فسيح فوقه منصة عالية . وبعد أن استقر بنا المقام حضر البابا يحف به الحراس في موكب مهيب وحيانا برفع يده ثم اعتلى المنصة وفي صوت هادئ عميق تكلم بلغة فرنسية سليمة محيياً الضيوف ، ثم تكلم عن أهمية المكتبات ورفع مستواها وتعاون البلدان في تبادل الكتب الثقافية ، وقال إن هذا يتوقف عليه الكثير من التفاهم والسلام بين الشعوب . وكان عظيماً في إلقائه ، ثم أنهى كلمته بدعوة أعضاء المؤتمر لزيارة مكتبة الفاتيكان ومكتبته الخاصة التي تعتبر من أهم المكتبات العالمية .

ثم نزل من فوق المنصة ومر بيننا وقد فوجئت به عندما سألتني عن بلدى وهو يحيننى باللغة العربية مجاملة لى وأعطاني هدية وهى ميدالية مازلت أعتز بها . ثم عرفت أنه يتكلم أكثر من خمس لغات منها العربية .

أخذنا طريقنا مباشرة إلى مكتبة الفاتيكان العظيمة بعد ذلك ، والزائر لمكتبة الفاتيكان يخيّل إليه أنه في متحف رائع ، إذ هى تضم مجموعة من الهدايا الثمينة مقدمة من الملوك ورؤساء الدول والبابوات ومن بينها أكبر إنجيل وأصغر إنجيل وهما أية في دقة الفن والذوق .

أما صالة المطالعة فإنها تضارع أفخم غرف الاستقبال في أعظم القصور
فضلا عما ازدانت به من تماثيل نادرة لأشهر الفنانين الرومان .

انتهينا من هذه الزيارة النادرة ومعنا هدية هي دليل المخطوطات
القيمة في المكتبة وشكرنا مرافقينا وعدنا إلى الفندق .

ويهمنى هنا أن أسجل حادثا طريفا وقع لى في أثناء تناول الطعام مع بعض
الأعضاء وكانت من بينهم أمينة مكتبة في إنجلترا سألتنى :

— هل أنت أمينة مكتبة ؟ ومن أى بلد ؟

— نعم أمينة مكتبة ومن القاهرة .

— عفواً هل عندكم مكتبات في مصر ؟ ولماذا ؟

فدهشت وقلت للسيدة :

— هلا علمت أن في القاهرة أقدم جامعة في العالم كله ؟ وهي جامعة الأزهر
وهل تظنين أن جامعة كجامعة الأزهر مثلاً لا يوجد بها مكتبة واحدة على
الأقل ؟ لعلك لم تقرئى عن مصر مطلقاً .

فاعترضت السيدة وقد كانت هذه الحادثة السبب في اعتزامى القيام
ببحث تاريخى بجامعات العالم لأضعها بالترتيب حسب الأقدمية بعد تاريخ
إنشاء جامعتنا الأزهرية طبعاً .

محطة سكة حديد روما :

المحطة الحديدية عظيمة بمبانيها ونظافتها ونظامها ، إذ يرى الداخل فيها
البهو الكبير الأول الذى يضم حوالى ١٥ نافذة تذاكر لها حواجز حديدية
تجعل كل مسافر لا يتعدى دوره ، وعلى جانب البهو لوحة بمواعيد قيام
القطارات السريعة والعادية والديزل الخ .. وعلى الجانب الآخر لوحة

أخرى بمواعيد وصول القطارات اليومية وإذا ما تأخر قطار عن مواعده يذاع ذلك بالمكبرات في المحطة ، ثم يشار بعلامة على اللوحة في البهو الثانى ، وهو فى حجم الأول وتفصله عنه حوائط وأبواب من الزجاج الفاخر ، وفى جانب هذا البهو الثانى ثلاثة مطاعم ، أحدها من الدرجة الأولى وآخران من الدرجة الثانية ، وفى كلٍّ منها دورة مياه كاملة .

وعلى كل رصيف رقم كبير ظاهر وله مدخل خاص بحيث لا يفضل المسافر فى العثور على قطاره على الخط المطلوب .

والمحطة مزودة بحمامات بخار وصالونات للتدليك .. الخ ومزودة أيضا بجهاز كهربائى للتدليك الأوتوماتيكى يشبه الميزان يدفع فى استعماله ٥٠ ليرة لمدة دقيقتين و ١٠٠ ليرة لمدة خمس دقائق أما القطارات فنظيفة ومزودة بدورات مياه وعدد من الإعلانات السياحية عن إيطاليا ومختلف بلاد العالم .

نيفولى او حديقة النافورات :

كان ضمن برنامج المؤتمر زيارة بعض معالم إيطاليا ومن بينها حدائق نيفولى المشهورة وهى تبعد عن روما بحوالى ٣٠ كيلو متراً وتقع فى منطقتها فيلا أدريانا وهو الامبراطور الرومانى الذى سافر كثيرا وأحضر معه مهندسين لبناء هذا القصر العظيم ليعلم شعبه فنون الهندسة فى مختلف البلدان التى سافر إليها . ويضم هذا القصر مضيئة عظيمة وخمات بخار وبحيرة للسباحة وبها جدار عظيم كان يستعمله العلماء فى تخطيط صور تاريخية علمية للتلاميذ ، وقد نقلت معظم آثاره إلى المتاحف العامة . وفيلا دسسى وهى تضم ألف نافورة يرجع العهد بها إلى القرن السابع عشر وبها حديقة مدرجة على هضبات بنافورات بخيلة ضخمة مختلفة الأشكال ، وكان يوجد بها شلالات تستعمل فى لعب الأرغون ، ولكنها استعملت أيام الحرب لتوليد الكهرباء وقد تم بناؤها فى ثلاث سنوات وهى بديعة البناء والتنسيق ويوجد بها حائط كله نافورات مختلفة وتمائيل لإنسان ونسر وورق شجر تتدفق منها المياه بصورة

جذابة كما توجد بها حمامات كبريتية فى منتصف الطريق Acquoi Albuli تشبه مياه حاوان عندنا ولكن لونها فى بياض اللبن ، وملحق بها مطعم متوسط لا بأس به .

عندما أصيبت السياحة فى إيطاليا بذعر :

إيطاليا التى تعد من أكبر الدول السياحية أصيبت فى أحد المواسم السياحية بذعر شديد عندما سجلت الإحصاءات نقصاً مطرداً فى عدد السياح الوافدين ، وسرعان ما عقدت الحكومة مؤتمراً كبيراً حضره كل خبراء السياحة ، وانتهى المؤتمر بعد البحث إلى أن سبب هذا النقص يرجع إلى الضجيج الشديد فى المدن الإيطالية وإلى استغلال التجار لأموال السائح ، فضلاً عن الغش الظاهر فى المعاملات وارتفاع الأسعار وجمود الدعاية السياحية فى الخارج .

أعلن الخبراء أن هذه الأسباب الأربعة هى من جملة ما أدى إلى انخفاض عدد السياح انخفاضاً شديداً حتى فى الأماكن التى تجتذب الزائرين من كل أنحاء العالم كالبنديقية وكابرى ، وأصبحت الفنادق فى هذه الأماكن شبه خالية بعد أن كان حجز غرفة واحدة فيها يعتبر ضمن المشكلات التى تواجه السائح ، وانتهى المؤتمر بعد ذلك إلى محاولة استعادة ثقة السياح بعد أن وضع يده على العيوب التى هددت دخل إيطاليا من السياحة .

ولما كانت مصلحة السياحة المصرية قد فامت بتوزيع استمارات على مختلف الفنادق السياحية والموانى ليدون فيها السائحون ملحوظاتهم وشكاواهم ومتاعبهم لتنف على كل ما دونوه فيها للعمل على تلافيه . فكل ما أرجو—وينبغى أن تحرص عليه—هو تجميع هذه البيانات والملاحظات والشكاوى ومناقشتها وبحثها فى اجتماع سياحى عام يشهده ذوو الخبرة فى السياحة من الهيئات والمؤسسات والمصالح الحكومية المعنية بالسياحة على أن يعقد هذا المؤتمر فى فترات متقاربة لتدارك الأخطاء والمساوى .

المرأة الإيطالية :

في غرفة الاستقبال في المعهد الصحي العالمي وجدت زواراً في انتظار «الدكتورة السنتدريني» هذا يسأل عنها وذاك يمجّد أعمالها ، وعندما حضرت شاهدت حركة غير عادية بين موظفي مكتب الاستعلامات ورغبت في التعرف عليها والوقوف على شيء ولو قليل عنها .

وبعد جولة ليست قصيرة بين المصاعد وممرات المعهد وصلت إلى مكتبها في الدور الثالث من المعهد . واجهتني غرفة تزيينها الرهور إلى جوار الموازين وزجاجات العقاقير وليس هذا غريباً فصاحبة المكان امرأة وكيمائية معاً . كانت الابتسامة تعلو سفتها وهي تستقبلني بل ظلت هذه الابتسامة طول الفترة التي قضيتها معها . وقد ملأني الإعجاب بها عندما علمت أنها تخصصت في دراسة المواد الكيماوية وبالأخص المبيد للحشرات منها .

ومع أن الدكتورة ماريّا السنتدريني تجاوزت العقد الخامس من عمرها ، إلا أنها تبدو في خفة ونشاط بنت الثلاثين . وقد أنست إليها كما أنست إلى فجعلت تقص على تاريخ حياتها وأنها أنخت لثلاث بنات كلهن يحملن شهادات دكتوراه في الموسيقى والأدب وتخصصت هي في الكيمياء ، وأنها لم توفق في خطبتها من زميل لها فقد فسحت الخطوبة بعد ست سنوات لتتفرغ للعلم فنبغت فيه وتوالت بحوثها ومؤلفاتها خصوصاً فيما له علاقة بالحشرات سواء منها الضار بالإنسان أو النبات ، وهي تعمل الآن محاضرة في جامعة روما ورئيسة للقسم الكيماوي في المعهد العالي الصحي وعضواً في جمعية الخبراء في المواد المبيدة للحشرات التابع للهيئة الصحية العالمية .

وأخيراً وفقت الدكتورة « السنتدريني » لاختراع طريقة يمكن بها معرفة مقدار الدب . د . ت الذي يبقى فترات مختلفة على الجدران بعد رشها وقد سجل الاختراع باسمها ، وكان لهذا الاختراع شأن كبير في تنظيم استعمال هذا المبيد الحشري .

وكان آخر ما قالته لى إنها زارت مصر فى جولة قصيرة حيث رأت مسجداً لأول مرة فى حياتها ولا يزال فى ذاكرتها من هذه الزيارة ثلاثة أشياء؛ أولها المتحف المصرى الذى لم تكن تتصور أنه بهذه العظمة، والثانى هو غروب الشمس عند الأقصر ومنظره الساحر الجميل على صفحة النيل ، أما الثالث فهو طائر كانت تراه فى كل مكان وهو أبو قردان « صديق الفلاح » كما قلت لها .

وبعد انتهاء الزيارة انفقنا على المقابلة فى مكان خارج المعمل ، وعندما ذهبت للعنوان الذى حددته لى إذا بى أفاجأ بأنه محل حلاقة للسيدات شهير فى روما، والدكتورة الكيماوية تذهب إليه كأية سيدة عادية فالمرأة هى المرأة فى كل مكان .

والمرأة الإيطالية فنانة بنشأتها فى بلاد الفن والجمال فى كل مكان فى روما تسمع الموسيقى والغناء، وفى أكبر ميدان فى روما وبجانب أكبر وأجمل نافورة تقوم فرقة موسيقية من النساء بالعزف والغناء فى أشهر الصيف وهو الموسم السياحى هناك .

ولا يقتصر الفن فى إيطاليا على الموسيقى والغناء ولكن المرأة الإيطالية نجيد الأشغال اليدوية والدنتلة وخصوصاً فى شمال إيطاليا .

وقد ذهبت لزيارة إحدى السيدات هناك واستقبلتنى لا فى غرفة الاستقبال كما يتبادر إلى الذهن ولكن فى المطبخ ، والواقع أنه مطبخ بالاسم فقط ولكنه يبدو كغرف طعام أنيقة كل أناتها منسق تأسيماً جميلاً، ولما طلبت كبريندا لأشعل سيجارتى لم أجده فى المطبخ فكل أجهزته وأدواته بالكهرباء . أما الطبق المفضل عند المرأة الإيطالية فهو طبق « المكرونة الاسبجتى » المشهور وهو الطبق الأول فى كل المطاعم الصغيرة منها والكبيرة، ثم فى المطعم الصغير حوالى خمسة قروش وفى المطعم الكبير يصل ثمنه إلى عشرين قرشاً ، وفى المطعمين تستمتع بأكلة شهية طيبة .

والمرأة الإيطالية تعتر بتقاليدها وعاداتها الموروثة وبالخرافات القديمة ،
فالفتاة الإيطالية مثلاً تثبت في وسادة نومها يوم ٣١ ديسمبر (أى ليلة رأس
السنة) أربعة دبابيس ملونة وهى أبيض وأخضر وأحمر وأسود ، وعندما يلوح نور
الصباح تقتلع الفتاة دبوساً من بينهما دون النظر إليه ، فإن كان أخضر فهو بشرى
بزواجها في غضون السنة المقبلة ، وإن كان أحمر فهو رمز للخصام بينها
وبين خطيبها ، والأبيض رمز السلام والطمانينة ، أما الأسود فهو إشارة إلى
الحداد .

والفتاة التى لم تخطب تختار ثلاث حبات من نبات الفول تتمش واحدة
تماماً وتترك فى النانية نصف غلافها وتترك الثالثة كما هى ، ثم تضعها
تحت الوسادة . وفى الصباح تدس الفتاة يدها تحت الوسادة وتخرج فولة
منها ، فالمقشرة دليل على أن الزوج المنتظر سيكون فقيراً ، وتدل ذات
نصف القشرة على زوج متوسط الحال ، والفولة ذات المقشرة تدل على زوج
ثرى جداً .

وهناك عادة أخرى ، خلاصتها أن تضع صديقة الفتاة كل ركن من
أركان حجرة نوم الفتاة دون علمها وفى الظلام الدامس مفتاحاً ودلواً
ونخاتماً وكيساً به رماد . وعندما تستيقظ الفتاة تذهب إلى ركن ما ، فإذا
وجدت المفتاح كان هذا دليلاً على أنها ستكون سيدة بيتها ، وإن كان
النخاتم دل ذلك على أنها ستزوج فى بحر السنة والدلو عنوان البكاء وأما
الرماد فرمز للموت .

ومن العادات الشائعة إلقاء نواة التفاح فى أول السنة فى موقد وتسرق الفتاة
إليها بقولها : « يا نواتى .. يا نواتى خبرينى عن حبيبى ، هل يحبنى هل
يكرهنى ، إن كان يحبنى فطقتنى ، وإن كان يكرهنى فاحترقنى » .

أما نافورة تريفى ذات الشهرة العالمية فى مدينة روما فهى معروفة بسرّها الباطن فى تحقيق الرغبات والأحلام ، فإذا ما قصبتها فتاة وأعطت ظهرها للنافورة وألقت بقطعة نقود فى حوض الحياة المزين بمجموعة من التماثيل الفخمة ذات التاريخ والأساطير وتوسلت بالدعاء ، فلا بد وأن يستجاب دعاؤها وتتحقق أمنيتها . وقد قالت لى سيدة أجنبية هناك إنها تمت أن تعود لزيارة روما وهى تدفع بالعملة وقد تحققت رغبتها فعلاً .

وبينما كنت أتجول فى شوارع روما الكبيرة قادتني قدماى إلى ميدان (بريرينى) فوجدت مبنى متوسط الحجم لا يلفت النظر إلا وجوده بجانب شركة كوك للسياسة ، هذا المبنى يخفى فى داخله مقبرة لا يوجد مثالا فى العالم بأسره ، ولست مبالغة ذلك ، فإنك إذا دخلتها راعتك مناظر الرهبان الذين عاشوا فى هذا الدير وهم راقدون بملابسهم ، ملابس لا تكسو إلا هياكل عظمية ، أما الزخرف البنائى الداخلى فليس مصنوعاً من الجير والمصيص ولا هى حجارة منقوشة وإنما هى عظام الهيكل الجسمى نسقت بشكل هندسى عجيب يجعلك تقف أمامها مشدوهاً متسائلاً كيف أن عظام الإنسان تستطيع أن تكون تلك الأشكال الهندسية الرائعة . وعندما تزايد الدهشة لا يسعك إلا أن تسرح بخيالك فى هذه العجائب .

يوميات ابانوا :

نعتبر ابانو من أهم مراكز العلاج الطبيعى الخارج ، وقد اشتهرت بما توافر فيها من وسائل العلاج الناجع لعدة أمراض أهمها مرض الروماتيزم ، ولما كنت إحدى المنكوبات بهذا المرض فقد انتهزت الفرصة فى أثناء إحدى رحلاتى فى الشمال ، وكنت على وشك الإصابة بنوبة حادة من نوبات هلم المرض ، وعرضت نفسى على الطبيب الذى نصحنى بالمبادرة بالعلاج فى ابانو وهى أقرب مركز علاج لحالى فى ذلك الوقت .

إن مدخل البلد على صغره جميل ، النافورة في ميدان متوسط الحجم وأكثر الفنادق أو على الأقل التي مررت بها تقع في الشارع الرئيسي الكبير ، والميادين تبده أنيقة ذات حدائق وأنوار وتماثيل للشعراء والأدباء الذين عاشوا أو زاروا هذه المنطقة . كل هذا جعلني أشعر بالبهجة رغم ما قيل لي عن قسوة العلاج وقسوة حمامات الطين الساخن بجانب شعوري بالألم . حجزت في فندق فلورا غرفة ذات شرفة كبيرة ، وحضر الطبيب المختص لزيارتي في غرفتي وبعد الكشف بدأ العلاج في اليوم التالي مباشرة . وقد سررت جداً بوجود نظام العلاج في الفندق ، ففي الدور الأول عيادة الطبيب إلى جانب وجود جهاز الكهرباء والحمامات الخ .. في نفس الدور .

طين فيه شفاء للناس :

وفي الساعة السابعة صباحاً حضرت سيدة متوسطة السن ضخمة الجسم واصطحبتني إلى دار الشفاء وهي عبارة عن غرفة بها (حوض حمام) ينزل له المريض درجتين وبه سرير عايه كمية مناسبة من الطين الساخن بمقدار حجم جسمي . الذي تلاشي في هذه الكمية بسرعة ، ولم يبق خارجاً عنه إلا رأسى ثم غطاء ثقيل يحفظ الحرارة لمدة ٢٠ دقيقة ، وبعدها يساطح طوم غليظ على الجسم لإزالة الطين ثم يلي ذلك الحمام الساخن ثم السرير لمدة ساعة وكان يخيل إلى أن الموت قريب مني فأتتم بكلمات تنم عن الإرهاق وبعد ساعة راحة في الغرفة حضرت . آنسة لطيفة للتدليك بالبودرة لتنشيط الدورة الدموية لمدة ٢٠ دقيقة أخرى ، ثم حضرت ثالثة وأخذتني لجهاز التنفس المقوى وعمل أشعة على كتفي المريض ، وكانت الساعة الحادية عشرة ونصفاً تقريباً . فاتني أن أذكر أن معظم فنادق أبانوا الكبيرة بهاجنح خاص للعلاج كفندق فلورا الذي أنزل به ، وفي هذه الطريقة راحة للمريض وتخفيف الضغط على الحمامات الأصلية بالمدينة وراحة أيضاً لأهل البلد . وحبذا

لو أخذ بهذه الطريقة في حلوان التي لا تقل شهرة عن أبانو ، ثم خرجت بعد الغداء برغم ما لاقيته من إرهاق في العلاج لأشاهد البلد وأبحث عن مكتب السياحة بها فوجدته غير بعيد وعزمت على زيارته في صباح اليوم التالي لأن اليوم كان يوم الأحد .

ركبت الأتوبيس المتجه إلى بادو البلد القديم الذي يبعد نحو ساعة من أبانو والذي به أحسن محلات مصانع النظارات التي تقوم بتموين إيطاليا وأوروبا كلها بها ، وقد لفت نظري محل كبير له تراس كبير تعزف فيه الموسيقى ، وهو مبنى قديم أثرى . وعندما فكر أصحابه في إعادة بنائه على الطريقة الحديثة اجتمع شيوخ البلد ونشرت الجرائد أنباء الاجتماع ، وأخذ رأى الشعب واختلف الرأى العام لأن الشبان يريدون التجديد والشيوخ يحبذون الاحتفاظ بالقديم ، وما يزال الأمر رهن الخلاف بين الفريقين ، وما تزال تقام فيه حفلات استقبال طلبة الجامعة الجدد سنوياً بالطريقة التقليدية .

جامعة بادو :

تقع مدينة بادو على بعد ٢٢ كيلو متراً من البندقية وهي محاطة بأسوار مرتفعة ذات أبراج أثرية شوارعها ضيقة ومبانيها مرتفعة مما جعل جوها مظلماً قائماً ، وأشهر ميادينها ميدان فيكتور عمانويل المزدان بمجموعة عظيمة من تماثيل العظماء الإيطاليين التي هي تحفة رائعة من الفن الأصيل

أما الكاتدرائية التي يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر فتحتوى على مكتبة غنية بالمطبوعات والمخطوطات .

وهذه الجامعة يرجع تاريخ إنشائها للقرن الثالث عشر ، ومؤسسها هو فردريك الثاني ، وهناك مراجع تقول إنها لم تظهر إلا في عام ١٢٧٠ ، وهي تنافس جامعة بولونيا في الشهرة والقدم ، إذ عرفت بأنها أقدم جامعة في أوروبا وخصوصاً في الطب وعلم التشريح ، وقد تخرج منها أساتذة عالميون منهم جاليليو ودانتى وتسوا .

وقد قصرت زيارتي على الجامعة والمعالم الهامة بالمدينة ثم عدت إلى بلدة أبانو .

مقابلة مدير السياحة :

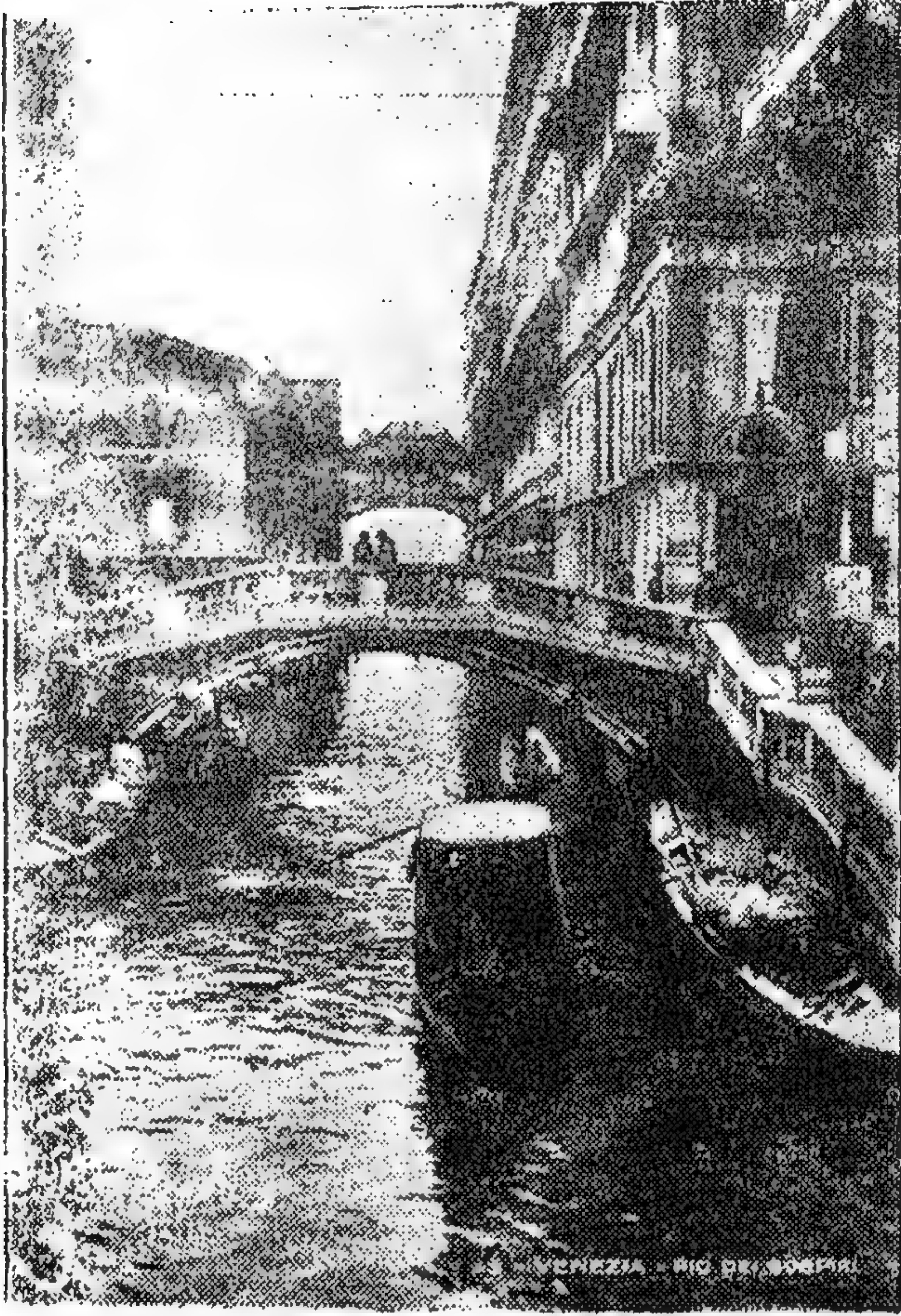
ذهبت لزيارة الدكتور Bonato ومعى خطاب توصية من الكونت أجونفاريلى Golfarrelli ، مدير شركة الدعاية فى روما ، وفى أثناء الحديث أبدى إلى أنه ليس مسروراً من بعض نظم السياحة فى إيطاليا وخاصة التقسيم الإدارى للأقاليم وضرب مثلاً بأبانو التى تتبع بادوا فى حين أن الفندق أكبر منها وهو يحاول تصحيح الوضع ولكن المومسيارية السياحية فى روما لا تقر ذلك ، ثم نصحنى بدراسة السياحة فى إيطاليا على أن أطبق العكس فى مصر ، وقد حدثنى عن ٣٠ مدينة سياحية فى إيطاليا منها الجبلية ومنها الصحية كابانو ومونت كاتينى الخ .. وقد أخذت إيطاليا نظام الجمعيات الإقليمية من النمسا التى هى أحسن بكثير فى نظامها السياحى واستعدادها ، فشكرته على صراحته . ولما قلت له إني كنت أود السفر للنمسا قال إنه يوجد قطار من بادوا يصل البندقية مباشرة فى أقل من ليلة ودعانى لرحلة بعد الظهر إلى بلد تقع على الجبل وبها دير قديم Badia di Praglia ومنزل الشاعر الإيطالى Petrarca فرنسوا الذى قضى فيه آخر أيامه ١٣٧٠ - ١٣٧٤ ويقع على ربوة الجبل وأمامه بانوراما شاعرية ، وتسكن فى ملحق للمنزل سيدتان أختان من عائلته وتقومان بعمل الوكيل فى منزل الشاعر الذى حول إلى متحف ، إلا أنهما لا تتكلمان إلا الإيطالية ، وقد فهمت بعض كلمات عن تاريخه وحب العذرى للفرنسية الحسنة كورا والشعر الذى نظمها . لها وهو مطبوع فى كتيب ويباع عند الباب ، وقد مات بمرض الفالج فى سن الأربعين ودفن فى قبر فى ميدان البلدة قريب من المنزل بجانب كنيسة القرية التى تحمل اسمه للآن Cergua Petrarca . وفى الدور الأول متحف فيه بعض كتبه وأشعاره وإمضاءات العظماء والملوك ممن زاروا المنزل ثم بعض التحف التذكارية والكرسى الذى مات عليه بجانب مكتبة قديمة فى غرفة صغيرة تطل على الوادى .

إيطاليا بلد السياحة :

ولما انتهى علاجي في أبانو توجهت إلى فينسيا وهي أيضا بلد سياحي وميناء عالمي ولها مكتب سياحي خاص بها بجانب مكتب لجنة تنشيط السياحة Enit وملحق بهذا المكتب قسم خاص لإقامة الحفلات والمؤتمرات السياحية العالمية التي تنظم باستمرار في البندقية . وكان موسمها قد انتهى ، وعندما علم مدير المكتب أني أقوم بدراسة النظم السياحية في مختلف البلدان قال لي إن إيطاليا اقتبست نظمها السياحية من النمسا كما قال لي إن عدد من دخلوا إيطاليا بلغ في هذا العام ١١ مليوناً ، وكان العدد في السنة الماضية ٨ ملايين ويرجع ذلك لتنظيم الملاهي وكثرة الحفلات والأعياد ، فمثلاً على أنفاض كراكلا في روما تقام حفلات تمثيلية شائعة ويتسع المكان لأكثر من عشرين ألف يدخلون من أبواب متعددة ويخرجون من أبواب أخرى بحيث لا يحدث زحام أو مضايقات للمشاهدين ، وعلى كل تذكرة رقم باب الدخول وباب الخروج وعند أبواب الخروج يجد المشاهد وسائل مواصلات موفرة منظمة ، سواء الترام أو الأتوبيس بحيث تتسع لكل من لا يملك سيارة ، أما السيارات الخاصة فلها مكان خاص مقيد بالأرقام وكل هذه التنظيمات لها من غير شك تأثيرها في نفوس السياح .

السياحة بالجنودول : (صورة رقم ١)

يعجز القلم عن وصف رحلة الجنودول والسيور أمبرتو يقودها بحركة منسجمة منتظمة على الجانب الأيسر من القناة (جراند) والصوت العذب القوي الذي ينطلق من حناجر زملائه عند منحنيات القنوات للتنبيه ثم القيادة الهادئة وصوت المجداف الذي لولارويته لما سمع صوت لمسه للمياه فهو يتم بخفة ورقة رائعة ، كانت هذه النزهة أول تجربة لي في السياحة بالجنودول .



صورة رقم (١)

ركبت الجندول من الميدان المسمى بياتسا دى روما إلى الفندق القريب من سان ماركو مخترة القناة الرئيسية ثم بعض القنوات الضيقة التي لم أتصور أننا يمكن أن نمر بها بهذه الخفة ، فالمعلم أمبرتو بحار قديم ويفهم مهنته ويعرف المرور وقواعده ثم إنه مغرم بعروس فينسيا كما يسمى الجندول ويمكنه قيادتها في أى مكان أو زمان ولو كانت عيناه مغمضتين ، وقد سألته عن بعض ما صادفه من حوادث نادرة ، فروى لى حادثة حصلت له كانت الأولى من نوعها في تاريخ حياته مع الجندول . « كنت على وشك أن أكون ضحية مع الجندول ، فقد كان أحد السياح الهولنديين

مغموراً وصمم على القيام بنزهة في منتصف الليل مع سيدة أظنها زوجته .
وفي هدوء الليل وسكونه وفي أثناء قيامي بعملى الذى أشعر معه بسعادة ما بعدها
سعادة لم أشعر إلا بالخذول ينقلب على جانبه الأيمن فجأة وبسرعة لم أتمالك
معها نفسى . ووجدت المركب تحتوينى مع الراكبين وهما تحتهما ، فالسيد
حاول الوقوف وخيل له مع انعكاس القمر والأنوار على الماء أنه فى حلبة
رقص وكنا نمر على قهوة بها موسيقى راقصة ، ولطف الله بحالى إذ أن بعض
الزملاء كانوا على مقربة منا بمراكبهم منتظرين انتهاء الحفلة الراقصة .
فعملوا على إعادة المركب إلى الوضع الطبيعى منتشلين السيد الهولندى
الذى كان لا يزال يغنى وكأن شيئاً لم يكن » ، ثم وصلنا إلى جسر
بجانبه عطفة صغيرة توصل إلى باب الفندق الخلفى ، وتقع الفنادق
الكبيرة فى البندقية على القنوات ولكل منها بابان ؛ باب على اليا بس وباب
على الماء . ويستعمل عادة الباب الخافى عند وصول الزلاء لأن الخندول هو
الوسيلة الوحيدة للوصول من المحطة إلى الفندق وخصوصاً مع وجود
الحقائب ، وشكرته ووعدنى بنزهة أخرى ليقص على مغامراته مع الخندول .

وقفت أمام باب فندق بون فاكيثى على مرسى مريح بالخندول
فى انتظار نقل الحقائب ، وأخذت أتطلع إلى مجموعة الكبارى على القنوات
المحيطة بالفندق بأعجاب . وشردت أفكارى ولم أتنبه إلا على صوت مدير
الفندق يرحب بى باللهجة الإيطالية اللطيفة ، ويظهر أنه لاحظ دهشتى وقرأ
أفكارى فقال : « تفضلى وسوف يسعدنى أن أقص عليك تاريخ هذه البلدة
العائمة » .

وبعد فترة استجمام قصيرة فى غرفتى بالفندق نزلت إلى الردهة ثم طلبت
فنجان قهوة (اسبرسو) وأخذت أستمع إلى السيد فوتوريو يسرد بعض
المعلومات عن المرفأ الذى كان مركزاً تجارياً هاماً فى العصور الوسطى
عندما كانت تتجمع فيه تجارة آسيا وحوض البحر الأبيض المتوسط لكى
تصدر إلى أوروبا كلها ، ثم قال : « أعتقد أنك يا سيدتى تتساءلين فى عجب

كيف بذيت هذه المدينة ؟ وكيف تحولت طرقاتها إلى قنوات مائية لا تستعمل فيها إلا هذه القوارب ؟» واستطرد يقول إن هذه القنوات لم تحفر ، إن البندقية (فينسيا) نفسها أو المباني التي تتكون منها هي التي أقيمت على عشرات من الجزر الصغيرة المتناثرة على مقربة من الشاطئ ، وهكذا أصبحت المسالك المائية التي تفصلها هي الطريق الوحيد للاتصال بينها ، فألف الناس استعمال (الجندول) أو القوارب على مختلف أشكالها وأحجامها ، وأقاموا بين هذه الجزر المتعددة كبارى للتنقل بين الجزر على الأقدام .

ولضيق هذه الجزر التي أقيمت عليها البندقية لم يترك السكان أى مكان دون بناء حتى يبدو للزائر أن هذه المباني أقيمت على الماء لا على الأرض وأن أساسها يمتد في البحر ، ولعل هذا ما كنت تعتقدينه ، ثم استطرد في حديثه قائلاً « أرجو يا سيدتى أن لا يفوتك الصعود على قنطرة (رياتو) وهي التي أقيمت على أكبر قناة في البندقية وعمرها يزيد على ثلاثة آلاف سنة وكانت في الماضي مركزاً من أهم مراكز المعاملات المالية ، وسوف تجد بين بها أكبر المحلات التجارية والمرور عليها لا يكاد ينقطع ليلاً ونهاراً » .

شكرت السيد فوتوريو صاحب الفندق على معلوماته القيمة وخرجت في جولتي للمدينة ذات التاريخ العريق .

ميدان سان مارك - ساحة رسل الانقاذ :

كانت معي خريطة البندقية وبها أسماء القنوات وأسماء الكبارى فاستعنت بها في رحلتي (على الأقدام) إلى ميدان سان مارك وكان يبعد كثيراً عن الفندق ، فقد اجتزت ثلاث قنوات حتى وصلت إلى هذا الميدان التاريخي حيث توجد الكاتدرائية الكبيرة التي أقيمت باسم هذا القديس والتي تشتهر بتماثيل الحياض الأربعة المصنوعة من البرونز والتي كانت في روما من عهد نيرون ثم نقلها نابوليون إلى باريس عندما استولى على إيطاليا ولما فقد سلطته أعيدت الحياض إلى فينسيا .

استرعى نظري أمام هذه الكاتدرائية بعد زيارتها — وكانت الساعة حوالى الثانية بعد الظهر — مجموعات الحمام الأليف الذى اعتاد أهل البندقية وزائروها أن يطعموه كل يوم وكان يعرف الموعد الذى يبذر فيه الحب كطعام يومي له . ووجدت بجانب البواكى التى تحتضن الميدان عدداً من بائعى هذا الحب فى أكياس صغيرة يشتريها زوار الميدان ، وتجدها الحمام يحط على الرءوس والأيدى وكأنه يرحب ويداعب من يطعمه ، وعلمت أن إطعام الحمام تقليد قديم فى فينسيا يتوارثه أهلها على مدى الأجيال والناس هناك يتفاءلون به ولعل ذلك يرجع إلى رواية أو أسطورة خلاصتها أن (الدولة) تعرضت فى يوم ما لخطر الغزو الأجنبى فلم ينقذها منه غير حمامة من الحمام الزاجل حملت رسالة استنجدت فأقبلت الإمدادات على المدينة وأنقذتها من الخطر .

جسر التهديدات :

بعد ما أطعمت الحمام كباقي الزوار وزرت الكاتدرائية الجميلة كان على أن أزور أيضاً قصر الحاكم (الدوج) لقربه ، وقد كان يجتمع فيه مجلس البندقية منذ عدة قرون وهو قائم على جزيرة ، ومن الطابق الأعلى له مررت على جسر التهديدات الذى يصل القصر بالسجن المقام على جزيرة أخرى ولذلك سمي بجسر التهديدات لأن كل محكوم عليه يسير من فوقه ويعرف مصيره المحتوم فيتهدد ويحزن وأصبحت شهرته (جسر التهديدات) وقد ذكره (لورد بيرون) فى إحدى قصائده .

الفنان الذى لمس رأس نفرتيتى من وراء الزجاج :

بدأ فنان البندقية الحديث بما يعبر عن حبه للبلد الذى ولد فيه وأحبه ، كرس له فنه وحياته إذ يقول فى وصفه له إنه البلد الوحيد فى العالم الذى "إنسانية لأن كل بلد آخر بها مواصلات كهربائية من سيارات يرى الإنسان فيه نفسه عاجزاً عن حماية نفسه من كثرة الزحام . إنسان فيها يعمل كل ما يحلو له فى الشارع دون خوف على حياته الإنسان ، وهى تحتفظ بطابعها الخاص الذى تبذل بلديتها كل جهدها عليه .

كان هذا الحديث في أحد الاستديوهات في الحى القديم في فيلشيا
وبه مجموعة ضخمة من التماثيل البرونزية أكثرها صغير الحجم لأطفال
وسيدات وكتاب وموسيقيين وبعض اللوحات السياحية الجميلة وقد سأله :

— هل أنت مثال أو رسام وما الذى بدأت به حياتك ؟

٤ — بدأت بالرسم والنحت معاً ولكنى أعتبر الرسم على رأس كل الفنون
والمثال يبدأ أولاً بالرسم وأنا أرسم باستمرار .

وقد رأيتة يحمل مفكرة صغيرة في جيبه يرسم فيها كل ما يراه .

— ما هو الفن الذى أثر في حياتك العملية ؟

— إنها الطبيعة التى تأثرت بها أولاً ثم إعجابى بالفنان دوناتلو ثم الفن
المصرى العجيب ، هل تصدق أننى عندما كنت في برلين وطلب منى
جورنيج صنع تماثيل لأولاده ، وكان ذلك قبل الحرب مباشرة ، وجدت نفسى
مع تماثيل نفرتيتى في المتحف فكانت فرصة ذهبية لألمس الرأس من وراء الزجاج
فربما توصلت لمعرفة المادة التى صنع منها التمثال ، وقد سعدت بذلك دون
أن أتوصل لكشف عن حقيقة هذه المادة .

ثم قال « إننى لم أتأثر بالفن الحديث ولا أومن بالسريالزم ومن السهل
جدا أن يرسم الإنسان صوراً عامة غير مفهومة . ولكن الفن بالمعنى الذى
أفهمه إنما هو الإنسانية والعواطف بارزة على حقيقتها دون تشويه ، والفنان
الأصيل هو الذى يحس ويشعر ويرى ما لا يراه الإنسان العادى كما أن الفن
ليس كالعالم لا وطن له بل يجب أن يحتفظ كل فن بالبيئة والطابع الخاص
به ، فلا يمكن أن يختلط الفن المصرى بالفرنسى مثلاً فكل ينبع من بيئة
وجو وحياة .. الخ .

— بماذا بدأت عمالك الفنى ؟

— بدأت بعمل تماثيل من الطين وعمرى عشر سنوات وكنت
في الريف الذى نشأت به ، وفي سن الخامسة عشرة فكرت في نماذج للأجسام

العارية ولم أجد أسهل ولا أقرب من بنت الحيران ، وعندما خلعت عنها ملابسها كانت فضيحة عوقبت عليها بعاقبة ساخنة طبعاً .

— هل أنت متزوج ؟

— نعم و كان زواجى مغامرة تبدو الآن سهلة ؟ فعندما وقعت فى أسر الألمان فى سنة ١٩٤٤ كنت خاطباً لفتاة فى سن التاسعة عشرة من أم أمريكية وأب إيطالى وكانت جميلة وقبل ترحيلى مع الأسرى إلى ألمانيا بيوم واحد هربت من السجن والتجأت إلى الريف خارج فينسيا فى الجبال حيث التقيت بخطيبتى وتزوجا وبعد بضعة أيام تمكنت من الوصول إلى هذا المخبأ الذى أصبح الآن ”الاستديو“ . ومكثت فيه كل سنى الحرب أعيش وأعمل فى مخبئى وزوجتى تحملت بمنتهى الشجاعة والصبر هذه الحياة القاسية ، وكانت تحضر لى الطعام من الخارج وكأنها تعيش بمفردها وهما هى ذى آثار ثقب خفى فى الباب كنا نستعين به للكشف عن شخصية الطارق وقد احتفظت بهذا المكان كما هو وذكرياته عزيزة على نفسى وفيه أقضى أوقات العمل . ولكنى بنيت فيلا فى الحى الحديث لزوجتى وابنى (مارتن) وعمره سنتان . وهنا كان قد انتهى حديثى مع هذا الفنان .

حمامات مونتكاتيني (ايطاليا) :

يعد الزائر المونتكاتيني حمامات صحية ممتازة وريحة بالنسبة لفوائدها الجمّة . كما يجد الإخصائيين لفحصه وتسهيل علاجه . ولما كان كثير من الأجانب يأتون إلى هذه الحمامات طلباً للاستشفاء ، فقد عيّنت الإدارة ترجماناً خاصاً لخدمة أولئك الأجانب . والموسيقى تشنف آذان التزلّاء صباحاً ومساءً من مبنى كبير يحتوى على كل وسائل التسلية وتجدها كل ما تحتاج إليه من ملابس ومأكّل ومكتبة للمطالعة وتجده فى هذه الدار مكتب بريد وتلغراف وتليفون .

وتقوم على خدمة المرضى آنسات يمتازن بالجمال والأناقة والبشاشة .
أما مكاتب الاستعلامات فمفتوحة وتلمس روح المساعدة في كل مكان تذهب
إليه .

وتوجد عربات (نونو) يجرها حصان للزخمة ، حتى لا يسأم المريض
من الإقامة في بلد الاستشفاء هذا . ويرحب بك سائق العربية باللغة الإيطالية
وينكت بالإنجليزية ويسأل بالفرنسية وطبعاً كل هذه اللغات تحتاج إلى قاموس .
تتمتع أحد المصريين هناك يقول : « إن الحياة في مونتيكاتيني وحداثتها تطيل
العمر » . ولا يسعى بعد أن نزلت بها لعلاجي إلا أن أوافقه على رأيه هذا .

فلورنسا :

وقفت بنا السيارة بجانب برج بيزا المائل وهو أشهر من أن ينوه به
ثم استأنفنا السفر إلى فلورنسا وعندما اجتزنا مدخلها قالت المضيقة إننا
سوف لا نمكث فيها وقتاً طويلاً اكتفاء بالمرور على أشهر معالمها التاريخية .
وهكذا شاهدنا ساحة مايكل أنجلو بتماثيلها الضخمة ، وقد استرعى انتباهي
موكب ضخم من عجلات الفسبا تقل كل منها أسرة بكامل أفرادها لتضية
يوم الأحد في ذلك المكان الجميل للاستمتاع بهوائه النقي ومناظره الجميلة
والغابات القريبة منه .

كان من المشاهدات الجميلة ذلك الكوبري الذي أقيمت فوقه حوانيت
الصاغة ويطلق عليه بونت فيكيو ، وقد خصص لعدد كبير من تجار الجواهر
والذهب وعلى مسافة غير بعيدة من هذه السوق المعلقة توجد سراى الفن وهى
تضم التماثيل واللوحات التى يقف الإنسان أمامها مبهوراً من جلال الفن وروعته .

مدينة بولونيا :

مدينة بولونيا تبعد عن روما ١٢٠ ميلاً ، وبها أقدم جامعات
أوروبا وهى جامعة بولونيا التى كانت تنافس بادوا فى القدم وملحق بها مكتبة
قيمة تضم مجموعة من المجلدات والخطوط لا يستهان بها وتعتبر من المكتبات

العالمية ، فذهبت لزيارتها حيث كنت بصدد إعداد بحث عن أشهر المكتبات في العالم وأندرها بما تحتويه من مؤلفات أو مخطوطات ، وقد راعني الزحام والزينات المتألقة وقد اتضح لي أنه الاحتفال بعيد الوحدة في إيطاليا الذي يشترك فيه جميع العمال من مختلف الطوائف ويحملون اللافتات والأعلام التي ترمز للسلام والحرية وينشدون الأغاني الشعبية في الشوارع .

وعلى محطة الترام السياحي الدائري الذي يطوف بالزائرين كل أحياء ومعالم البادية حتى يعطى فكرة عامة عن البلد (ويوجد هذا الترام في معظم البلاد الإيطالية السياحية) وجدت طالبة تحمل كتبها فأنست لها لوجود شبه كبير بينها وبين ابنتي ووجدتها تبتسم لي فتعارفنا ، ولم تمنعني مصاحبتني في جولتي على الرغم من تحدثها الإنجليزية بصعوبة ومع ذلك فقد دار بيننا الحوار التالي :

— أى سنة دراسية تدرسين ؟

— الثانية الثانوية .

— هل لك أخوة آخرون ؟

— نعم بنت وولد وأنا الكبرى . ولذلك أقوم برعايتهم حالياً مكان والدتي التي سافرت لسويسره منذ أيام لزيارة أختها المتزوجة هناك ، أما والدي فهو موظف بمصلحة السكة الحديدية ، ويعمل في بعض الأحيان مساءً .

في أثناء هذا الحوار كنا قد وصلنا إلى حديقة كبيرة تتوسط المدينة وهي مركز للحفلات التي تقام في البلد فاستمعنا إلى الموسيقى الشعبية كما استمتعنا ببعض الأكلات الشعبية الإيطالية كالبيتسا ، وكنت أستعين بها في التعرف على هذه الأكلات العديدة الشهية ، وبعد انتهاء زيارتنا للحديقة ودعتني الصديقة الصغيرة عند الفندق الذي أنزل فيه وعرضت عليها أن تزورني غداً بعد انتهاء امتحانها الأخير للاطمئنان عليها ، وبالفعل وجدتني ظهر اليوم التالي تسأل عني في الفندق بعد رجوعي من زيارة الجامعة ومكتبها وكانت تحمل ثلاث وردات صغيرات وبادرتني بالسؤال الذي لاحظت مدى تشوقها لمعرفة الرد عليه .

— هل أنت فعلا مصرية ؟

— نعم مصرية ١٠٠٪

بدا عليها السرور والبهجة للدرجة أنها صفتت من الفرح ونشوة الانتصار .
ولما سألتها عن سبب سوءها هذا ، قالت إن والدها لم يصدقها عندما أخبرته
بمعرفتها بـسيدة مصرية ولم يتصور أن توجد الصفات التي ذكرتها له عنى في
سيدة مصرية :

ثم سألتني مرة أخرى :

— هل كل المصريات مثلك من حيث اللون والملامح والزي ؟

— طبعا بل كثير من المصريات أكثر منى بياضاً وجمالاً وأناقة ،

وقد فهمت من هذا الحوار أنهم يتصورون أن مصر دولة أفريقية
وأن أهلها لابد سمر الوجوه مثل باقي الشعوب الأفريقية .

مدافن ترد الروح :

كان على أن أزور أحد أقاربي وكان قنصلنا في جنوا في ذلك الوقت
فذهبت إلى هذه المدينة لأشاهد آثارها الجميلة . أشار على قريبي أن أزور
مقابرها التي تعتبر من أهم معالمها .

وشهرة المقابر في جنوة عالمية فهي مجموعة من القطع الفنية من تماثيل
من الرخام الأبيض والملون دقيقة الصنع ، كل أسرة اختصت بركن صغير
في المقبرة عليه صورة معبرة تروى تاريخ الأسرة أو رمز للملاك الرحمة
أو صفة من صفات رب الأسرة إذا كان من ذوى البر والإحسان أو كان
بطلاً من أبطال الحرب أو البحرية ، وكل قطعة تروى هذه القصة وقد تبارى
الفنانون في التصوير والنحت .

والمقبرة قطعة أرض فضاء بها مقابر عادية تتخللها حدائق ومحيط بها
بهو مقسم تزيينه التماثيل الفخمة وفي أحد أركان هذا البهو مدرج من الرخام
الناصع البياض ، وفي أعلاه كنيسة تضم أيضاً مجموعة تماثيل عظيمة الصنع

وفي أول مطلع هذا المدرج يوجد تمثال لبائعة بندق عجوز يروى الدليل أنها أقامت هذه المقبرة لنفسها ودفعت كل ما ربحته في حياتها لبنائها ونقش عليها « رجاء من الزائرين بالصلاة والسلام عليها » كما أن نفس الدليل أقام لأسرته مقبرة عظيمة أيضاً دائماً يدل الزائرين عليها ويعتز بها .

متحف كولبس في جنوة :

أقيمت أعياد كولومبس في جنوه وهي مسقط رأسه ، وذلك بمناسبة مرور ٥٠٠ سنة على ميلاده فزين ميدان النصر بنصب تذكاري في مدخل الحديقة التي كانت قنصليتنا تطل عليها من الطابق السابع .

ولما كنت في زيارة لجنوة في أثناء هذه الأعياد ، كان طبعياً أن أشارك فيها فذهبت مع بعض الأصدقاء لزيارة المعرض الدائم لذلك الرحالة المعروف وهو يقع في مبنى على الطراز العربي قريب من الميناء رفعت عليه الأعلام الأسبانية والبرتغالية والإيطالية والأمريكية ، وضم مجموعة من أدوات المراكب من هذه البلاد ، وفي القاعة الكبرى الأمامية عدد من الأدوات الهندسية وخرائط ملونة ورموز فلكية استعملها في بدء رحلته وثلاثة نماذج للمراكب التي قام عليها برحلته الاستكشافية الأولى وآلات حربية من ضمنها مدفعان عظيمان . أما القاعة الأخرى فيوجد بها كتب ومخطوطات باللغة الروسية والأسبانية والهندية عن كولبس واكتشافاته . هذا عدا صور له من مختلف الأحجام وأكبرها تمثله في سجنه وهو مكبل بالحديد ويقال إن له مجموعة كبيرة في البرتغال ، وقد رفضت هذه الدولة إرساله لجنوة ، ولما كانت زيارتي للمتحف قصيرة ففما أشرت إليه الكفاية .

زد نابولي ثم مت :

هكذا يتغنى أهل إيطاليا بجمال نابولي ، وكأنه لا توجد مدينة أخرى أجمل منها في العالم . خرجت بعد رجوعي من كابرى إلى المدينة أتفقد معالمها فوجدت نفسي أتسلق وكأني في رحلة على جبل ، فالطرق تعلو تارة وتارة تنحدر ومع ذلك يسير الترام بمهارة عجيبة حتى في الطرق المعوجة الضيقة .

ثم قمنا بزيارة مصنع من مصانع المكرونة الإيطالية ووجدت الأولاد وقد غطى وجوههم غبار الدقيق الأبيض الذى يحملونه من المخازن لتصنع منه المكرونة ثم العمال الأقوياء وهم يعجنون الدقيق ويمزجونه بطريقتهم الخاصة ، وقد قال لى أحدهم وكان يتكلم الإنجليزية إن فى هذا العجين وحده سر الصناعة التى اشتهرت بها إيطاليا فى العالم كله . وقد توارث الصناع فى نابولى هذا السر فلم يخرج من بلدهم . تملأ الأسطوانات الكبيرة بالعجين فما تلبث خيوط المكرونة أن تبرز من الجانب الآخر للأسطوانة من ثقوب مختلفة الأحجام والأشكال ، فمنها الثقوب الكبيرة ومنها الثقوب الضيقة ثم تعلق الخيوط على رفوف خاصة توضع فى الشمس حتى تتجمد بعد أن يتبخر ما بها من ماء . ولقد رأيت بائعاً متجولاً يبيع المكرونة الساخنة فى آنية أسطوانية الشكل تحفظ لحرارتها ويتجول بها كما يتجول بائع الفول المدمس فى مصر وهو يحمل القلعة .

ولم يسعنى الوقت بزيارة (بومبي) المدينة الرومانية التى أبادها بركان أ فيزوف عام ٧٩ بعد الميلاد . وقد كانت مدينة أرسقراطية تضم حوالى ٢٥ ألف نسمة وفيها أجمل المسارح والمعابد ودور اللهو وعندما اكتشفت مصادفة منذ حوالى ٢٠٠ سنة نقلت معظم أنقاضها وتمثيلها إلى المتحف الأهلئ فى نابولى ، وقد اكتفيت بجولة قصيرة فى المتحف لضيق الوقت استمعت خلالها بجمال ودقة تلك المتحف .

كابرى جزيرة شهر العسل :

هذه الجزيرة الجميلة تبعد عن نابولى حوالى ساعة ، يصل إليها الزائر بياخرة صغيرة ، وعند زيارتى الأولى لإيطاليا لم أهتم بزيارتها ، فلما عدت إلى مصر سألنى الكثير من الأصدقاء عما إذا كنت زرت كابرى فكانت تبدو على ملاحظتهم الدهشة والعجب ويقولون كيف أتواجد فى إيطاليا ولا أزور كابرى

وفي رحلة أخرى إلى أوربا عازمت على تمضية أيام في إيطاليا أستكمل فيها : ثى ثم أقضى يوماً في كابرى ، وعندما كنت عائدة بالباخرة حجزت مكاناً من ميناء نابولي ^{نابولي} برغم أننى كنت في جنوه عندما قامت الباخرة من هناك ، ومن جنوه ركبت القطار إلى روما ثم إلى نابولي التى تبعد عن روما حوالى الساعتين بالقطار فوصلت مساء ووجدت مكاناً بصعوبة في فندق يونيفرسال ، وكان أول ما طلبت من مكتب الاستعلامات في الفندق اشتراكى في رحلة ليوم كامل إلى كابرى : وقمت صباحاً مع بعض الأتوبيس الأتوبيس السياحى إلى الميناء ثم الباخرة إلى كابرى ، وكان معى في الفندق طبيب شاب وعروسه في شهر العسل وهما من شبه جزيرة صقلية فتعارفنا برغم صعوبة التفاهم فهو يتكلم بضع كلمات بالإنجليزية وأنا أيضاً لا أعرف إلا بضع كلمات بالإيطالية ، ثم التفاهم بعد ذلك بالاشارات ومع ذلك قضينا يوماً ممتعاً وتناولنا الغداء في مطعم على ربوة جميلة على الجزيرة في مواجهة نابولي ، ثم زرنا بقايا قصر الإمبراطور تيبيرلس ثم السوق ويعتبر من معالم الجزيرة ، واشترينا بعض التذكارات ثم تمتعنا بزيارة قصيرة للكهف الأزرق الذى دخلناه بواسطة مركب صغير ، واضطررنا إلى الانحناء حتى نستطيع أن نمر من المدخل ، وقد راعتنا ألوان المياه النقية التى بلون الفيروز الجميل ومناظر الصخور المتدلّية فى شبه أشجار وتمائيل نحتها يد الطبيعة كأحسن فنان .

ثم عدنا إلى نابولي الساعة الخامسة مساء وكان غروب الشمس على الجزيرة من أروع ما رأت العين ، تبادلنا البطاقات والعناوين مع الطبيب الصقلى وعروسه واستمرت المراسلات بيننا حوالى العامين حتى فوجئت بصورتها مع أول مولود لهما ، والفضل يرجع للسياحة فى هذا التعارف والصدقة التى نشأت بينى وبين هذه الأسرة الصغيرة فى بداية حياتها :

اليونان

رحلة سريعة الى الأكروبول :

وقفت بنا الباخرة أسبيريا عند ثغر بيرية وهو أقرب ميناء إلى أثينا مدينة الأساطير والتاريخ المجيد ذات الشهرة العالمية . وكانت الباخرة ستقف بضع ساعات فأخذنا تراماً أشبه بتمرو مصر الحديدية من بيريه إلى أثينا لزيارة معالمها وآثارها في جولة سريعة .

وصلنا بعد حوالي ٢٠ دقيقة إلى مدينة (الأكروبول) وهو المبنى الأثرى الكبير الذى كان أول مظهر لنا ، وهو يشبه معبد الكرنك فى الأقصر ولو أن آثاره قليلة بالنسبة لما يضم الكرنك . وقد قادنا دليل مثقف جامعى قال إن هذه الأطلال كانت مقراً للملوك الأوائل ثم تحولت إلى معابد متعددة للآلهة . وقد شيده اليونانيون فى أول الأمر أى منذ آلاف السنين تخليداً لذكرى انتصارهم على الفرس ، وقد ظل مقراً لعباقرة الفكر الإنسانى أمثال سيفوكليس وهيرودوت وفيدياس وفيه نجرج سقراط السم حين اتهم بأنه يسمم أفكاس الشعب بتعاليمه الحديدية التى كانت تناقض التعاليم الموروثة .

ومن حوله امتدت الآن المباني الحديثة والشوارع المتسعة المنسقة تنسيقاً بديعاً ، ولا داعى للإطالة والتفصيل هنا ، فقد كتب عن الأكروبول الكثيرون كنا نشعر فى أثناء هذه الجولة السريعة أننا فى بلد شرقى بمن فيه ، فالسماء كانت صافية والجو معتدل ، حتى اللغة العربية كنا نسمعها فى بعض المحال العامة ، والشوارع تزخر بالمتاجر والحركة الدائمة وطابع المرح والنشاط يشعر الزائر بطبيعة هذا الشعب المكافح الذى تسمع مناقشاته فى شتى الموضوعات بأصوات مرتفعة فى المقاهى .

زرنا متحف أثينا في جولة سريعة لضيق الوقت وبه مجموعة لا بأس بها من الآثار القديمة .

وبلاد اليونان بها عدد كبير من المصايف البحرية والجبلية والجزر الجميلة التي كان يتردد عليها عدد كبير من المصريين قبل الحرب العالمية الثانية ، عدنا بالترام السريع إلى ميناء بيريه وكانت الباخرة على وشك الإقلاع .

وعندما عدنا إلى الميناء (بيريه) بالترام السريع قبيل موعد إقلاع الباخرة ، تأخر الترام لأسباب فنية ، وأعتقد أن هذا كان من حسن الحظ حتى يمكنني أن أستمع بجولة أطول في بلاد جوبتر وكان الدليل الظريف المرح مازال معنا فسألته إذا كان من الممكن إيجاد سيارة سياحية للقيام بجولة خارج أثينا لزيارة بعض الضواحي الساحلية التي قرأت عنها فرحب بالفكرة وانضم إلى بعض الزملاء والزميلات من المسافرين ، وفي خلال بضع دقائق جاء الدليل ومعه عربة ميكروبس مجهزة بميكروفون ومقاعد مريحة وقمنا إلى فاليرون القديمة Old Phaleron وتبعد حوالي عشرة كيلومترات من أثينا ، وهي ذات سواحل جميلة ساحرة ، وبها فنادق فخمة ومطاعم ومقاه وأمكنة خاصة بحمامات الشمس الدافئة .

ثم زرنا فوليا جيمس Voulia Gmeui وبها غابات الصنوبر الجميلة والحمامات الطبيعية الساخنة لعلاج مرض الروماتزم والتهاب المفاصل .

أما فاركيزا Varkiza فتقع على طريق السهل الساحلي وسط خلجان صغيرة وبها شواطئ جميلة ومنطقة هامة لإقامة المعسكرات .

وعندما اقتربنا من سونيون Sounion رأينا معبد Nepton يطل من على تل صخري عال ، وعندما اقتربنا منه أظهر الدليل لنا اسم لورد بايرون محفوراً بخطه على أحد الأعمدة (بيده) وكان يقضي بعض أيام الراحة الصيفية هناك لجمال المنطقة وسموها .

ووقفنا عند بنتلى Ponteli وتشتهر بالأديرة البيزنطية والجبال ذات الأحجار المرمرية البيضاء التي استعملت في أبنية الآثار القديمة التي انتشرت في معظم هذه المدن، والمتاحف في اليونان تكاد تكون أكثر عددا من مدنها .

فمتحف بناكى Penaki مثلا يدل على الفن الإقليمي بمحتوياته التي تعبر عن الفن الإسلامى والمنسوجات القبطية القديمة والفازات والمطرزات.

أما متحف الآثار القومى فيضم أروع وأكثر مجموعة من الأعمال الفنية الأصيلة من كل أنحاء اليونان، وبه صالة فسيحة بها كنوز العصر الميسينى Mycaenae وبعض التحف من عصر ما قبل التاريخ من تماثيل برونزية وفازات مختلفة الخ . . .

ويوجد أيضا بالمتحف البيزنطى الذى يضم مجموعة تتميز بفن النحت فى العصور المسيحية والبيزنطية رسوم زيتية وأيقونات وأشغال يدوية ترجع إلى القرن الرابع عشر للميلاد .

وفى اليونان بعض الكنائس لا تقل روعة وفنا عن المتاحف التي ذكرتها لكم . فكنيسة سانت جورج تعتبر من أقدم الكنائس وهى بناء مستطيل متسع بنى سنة ٣٠٣م ليكون مقبرة للإمبراطور جاليريوس، ولما جاء خليفته المسيحى حول المبنى إلى كنيسة فعلية حوالى سنة ٤٠٠م وبعد ذلك أضيف البهو والممرات .

وتقام كل عام فى أثينا مهرجانات موسيقية فى موسم الصيف تشترك فيها مجموعات من الراقصين من مختلف القرى، وكل قرية لها ملابس خاصة زاهية الألوان تعبر عن بعض العادات والحياة اليومية فى هذه القرى . وكل قرية بل كل منطقة لها رقصتها الوطنية التى تؤدى بواسطة مجموعة من النساء والرجال من أبنائها .

وتركت اليونان على نغمات الموسيقى الساحرة وأخذت الباخرة تبتعد والصوت يخفت .

النمسا

إنى أستمح القارئ عذراً إذا بدأت الحديث عن النمسا بهذه اللمحة ،
الجغرافية الخاطفة .

تتضمن النمسا على تسعة أقاليم لكل إقليم منها حكومته الخاصة ، وتشرف
وزارة التجارة والتعمير على السياحة طبقاً لنص الدستور ، ويرجع كل إقليم
إلى هذه الوزارة فى فيينا العاصمة لعرض وبحث المشاكل الكبرى ، والمجلس
الأعلى النمساوى هو أكبر هيئة سياحية تجتمع سنوياً هناك .

هذه أولى معلوماتى مشاهدة وسماعاً عن النمسا .

كانت زيارتى الثانية للسيد Burda بوردا مدير السياحة فى فيينا
عام ١٩٦٠ و كنت أبادل معه المطبوعات السياحية منذ عامين وقد استهل
حديثه معى قائلا :

« إن الحركة السياحية قد انتعشت فى النمسا فى العام الماضى بعد زيارتك
وهى تتفوق على سويسرا الآن فى الزعامة السياحية » ثم أضاف أنه فى أثناء زيارتى
السابقة كانت السياحة فى النمسا تأتى فى المرتبة الثانية أما الآن فهى فى المرتبة
الأولى ، فقد ازداد الاستعداد السياحى وأصبح يتجه نحو الشرق ، ثم تكلم
عن الخط النمساوى الجوى بين القاهرة وفيينا وكيف أنه سوف يسهل السفر بين
العاصمتين ويربط بينهما .

وانتهت زيارتى الطويلة للسيد بوردا بإبداء رغبتي فى التعرف على مكاتب
السياحة لدراسة نظمها وأقسامها فرحب بالطلب ووعدنى بترتيب زيارة
لأكبر شركة سياحية فى صباح اليوم التالى .

بعد هذه الزيارة مررت بميدان الأوبرا فوجدت إعلانات كبيرة عن رحلات للشرق لمدة عشرة أيام وسبعة أيام معلقة على الجدار بجوار الفندق الكبير « صخر » فدخات من باب الشركة السياحية التي أعلنت عن هذه الرحلات وطلبت مقابلة المدير، ووجد شاباً سياحياً نشيطاً ولما قدمت إليه نفسى رحب بي كزميلة وكسيدة عربية تدير شركة سياحية في مصر ، وأظهر استعداداً للتعامل مع شركتى ، وعلمت منه أنه يمتلك جريدة يومية يستغلها سياحياً ثم قال : إن الحالة الاقتصادية قد انتعشت في النمسا وأصبح في متناول كل الطبقات حتى العمال السفر والسياحة ، وإن شعب النمسا يعشق النظام ولهذا توضع له برامج محدودة للسياحة ، يتقبلها دون مناقشة ، وقد دعانى السيد Hanz هانزا المدير إلى جولة مسائية تنظمها شركته فشكرته معذرة نظراً لضيق الوقت .

ذهبت إلى سفارتنا في فيينا بعد أن اتصلت بها لبعض الاستفسارات وكان يوم سبت ، وعندما قابلت السيد السفير دعانى لتناول الغداء في اليوم التالى أى الأحد فحاولت الاعتذار بحجة أنه يوم عطلة الأسبوع والمفروض أن يخرج مع أسرته للأنزهة ، ولكنه أصر وقال لى « سنكون فى انتظارك بالمنزل ظهراً » فلم يسعنى إزاء إصراره إلا قبول الدعوة شاكرة .

وفى الساعة الواحدة بعد الظهر كنت أمام منزل السيد السفير أدق جرس الباب ، وكانت مفاجأة كبيرة لى عندما فتحت لى الباب السيدة قرينة السيد السفير وإذا بى أمام زميلة عزيزة منذ أيام الدراسة بالكلية لم أرها منذ ذلك الحين وعندئذ علمت سبب تصميم السيد السفير على دعوتى !

أما المفاجأة الثانية فكانت على مائدة الطعام إذ قالت الزميلة الكريمة لى علمت البارحة من السفارة بحضورك إليها وذكر لى زوجى اسمك فطلبت من أن يدعوك لتناول الغداء معنا ، وخمنى ماذا أعددت لك من طعام ؟ فقلت ملوخية بالأرانب ، كنت أنتظر أى شئ إلا هذه الأكلة اللذيذة الشهية فى فيينا

وكان معنا على الغداء ضيف مصرى قدمته لى مضيفتى وهو شاب مصرى
يدرس فى جامعة جراتسى ، ومن التهرس فى وجهه وجدت هناك شهاً بينه وبين
إحدى صديقاتى وزميلاتى فى الكلية ، فما ذكرت له اسمها حتى قال لى إنها والدته ؛
وفى أثناء تناول هذه الوجبة الشهية تحدثت معه وسألته عن مدينة جراتس ولم أكن
قد زرتها ولكنى سمعت عنها فقال :

إن مدينة جراتس هى المدينة الجامعية الثانية فى النمسا وعدد سكانها مليون
و ١١٨,٥٠٠ نسمة ، وتغطى الغابات أكثر من نصفها فضلاً عن مساحة
كبيرة من المروج والمراعى ، ولهذا كانت هذه المقاطعة أغنى مقاطعات النمسا
التسع فى محصول الأخشاب والماشية .

أما الجامعة فقد أنشئت سنة ١٥٨٥ ولذلك تعتبر أقدم جامعات النمسا بعد
جامعة فينا التى تأسست سنة ١٣٦٥ التى هى أقدم الجامعات فى البلاد الناطقة
بالألمانية . وهى على العموم مدينة قديمة رائعة ويدرس بها عدد غير قليل من
الطلبة العرب وتوجد بها فنادق أسعارها معتدلة ، وقد لفت انتباهى أن هذا
الطالب المصرى الصغير متحمس لجامعته هناك وهو فضلاً عن دراسته يرأس
نادياً عربياً هناك ويقوم بنشاط رياضى ودعاية طبية لبلده ، وقد طلب منى
نشرات سياحية ومطبوعات فقدمتها إليه مغتبطة .

قضيت وقتاً طيباً مع أسرة السفير وتناولنا فى الحديث أيام الدراسة ثم
أخذت طريقى إلى الفندق بعد الظهر لأقوم بباقى زيارتى السريعة وأنظمها حيث
إن وفى فى النمسا كان محدوداً .

تقابلت مع مديرة نادى السيارات بفينا وهى سيدة أنيقة تلمح فى عيونها
الذكاء ، وقد زارت مصر أكثر من مرة ضمن مجموعات وأشادت بنشاط نادى
السيارات فى القاهرة والتسهيلات التى يقدمها .

وعند عودتي للفندق ظهرأ وجدت في انتظارى مكالمة تليفونية من السيدة آنى وهى صديقة كانت قد زارت القاهرة منذ عامين وقمت بواجب الضيافة نحوها، وكنت قد أرسلت إليها نبأ زيارتى قبل وصولي فينا بيوم، ولم يرد منها رد فظننت أنها ليست موجودة فى فينا، ولما اتصلت بها تليفونيا أخبرتنى أنها مصممة على مقابلي مساء اليوم، ولكن كان هذا آخر يوم لى فى فينا وكنت مرتبطة بحفلة فى الأوبرا (ماتينه) فانتظرتنى فى مطعم قريب منها، وحين وقع نظرى عليها ألنيها مكتوبة تبدو عليها أمارات الحزن وعلمت من صديقتها التى تصحبها أن والدتها توفيت منذ يومين وأنها مازالت فى المستشفى، فالعادة عندهم أن لا يدفن المتوفى إلا بعد ثلاثة أيام من وفاته ووجود آنى بجانب والدتها فى المستشفى هو السبب فى تأخر وصول خطابي إليها إلى صباح اليوم، فأبدت لها أسنى وقدمت لها عزائى لوفاة والدتها وحاولت عبثاً أن أعتذر لها عن العشاء والسهرة كما عرضت ولكنها صممت قائلة إن فى ذلك بعض السأوى لها بل هو واجب تشعر بالارتياح فى أدائه نحوى قبل سفرى من فينا، وقالت: « كيف تعتذرين وقد أكرمت وفادتي فى القاهرة ». شعور نبيل وقوة احتمال وصبر وحلم، وصحبتنى فعلاً فى جولة لفصاحية من ضواحي فينا الجميلة القرية تسمى كوبنزل (Kopenzil) وهى أعلى من فينا بنحو ١٢٠٠ قدم والمسافة بينهما ساعة بالسيارة، ومن كوبنزل ظهرت لنا فينا وهى تتألاً بأنوارها وطرقاتها تعج بالمباهج والمفاتيح فبدت فى كامل بهجتها .

وفى طريقى إلى المطار صباح اليوم التالى مررت من شارع رنج (رنج اشتراسه) كما يسمونه، وهو متنزه أكثر منه طريقاً ويشبه الشانزلزيه فى باريس ولكنه يضم عدداً من التماثيل الرائعة لزعماء الموسيقيين الذين عشقوا فينا وهو يحيط بالمدينة القديمة وبه دار البرلمان النمساوى، ووجدت فى مطار فينا واجهة منسقة وبها مصنوعات مصرية وقد نظمها مندوب مصلحة السياحة وكانت تتناسب مع جمال المطار ونظمه الحديثة وحسن تنسيقه .

فينا بلد الفن والموسيقى والجمال :

تنبعث أروع أنغام الموسيقى حتى من البيوت المتواضعة في عاصمة بلاد النمسا التي شهدت مولد موزار وجوته، ولو أن مبانيها قديمة إلا أنها لا تزال تحتفظ بطابع الفخامة، بعضها قديم من جهة وجديد من الجهة الأخرى، ويرجع ذلك إلى الحرب الطاحنة وتساقط القنابل على الدور التي دمرت نصفها وأبقت على النصف الآخر قائماً كمل بناؤه. ولقد عانت مدينة فينا — التي كانت تعتبر من أجمل مدن أوروبا بل العالم، وأغناها — من الحرب ما لا يمكن تصوره، ولكنها مع ذلك لم تفقد روحها الموسيقية والفنية كما أنها لم تفقد قصورها الفخمة التي من أهمها القصر الإمبراطوري الذي يقع في قلب المدينة، ويزخر بأنواع التحف الفنية والصور والأثاث الثمين، وقد كان هذا القصر حتى سنوات قليلة مقراً للإمبراطور فرانسوا جوزيف. وهو يحتوي على ألف غرفة بينها الغرف التي كان ينزل بها نابليون مع زوجته ماري لويز حينما يزور حماه فرانسوا الأول.

أما قصر « شون برون مصيف القياصرة » فيقع على بعد ساعة خارج المدينة ويعتبر من أجمل القصور الملكية في العالم، وكان مقر الملكة « ماري تريزا »، وحدائق هذا القصر مازالت محتفظة بجمالها وبحيراتها ونافورتها التي تشبه نافورة قصر فرساي الجميلة، وتكسو حوائط بعض حجرات هذا القصر نقوش من الذهب الذي يخطف الأبصار، وقد بلغت تكاليف الحجرة الواحدة مليون دولار، وتشغل مطابخ القصر حوالي ١٤٠ غرفة وتحيط بالقصر الحدائق الغناء والغابات الخضراء من كل جهة، وشون برون معناها النبع الجميل ووسط هذه الحدائق تشهد هذا النبع الجميل الذي أقيمت فوقه نافورة ضخمة تندفع مياهها إلى علو شاهق.

هذا وقد حرصت النمسا كما حرصت الثورة الفرنسية على صيانة هذه القصور من عبث العابثين، فبقى قصر اللوفر وقصر فرساي وغيرها كما هي بعد أن غادرها الملوك، وظلت وسيلة لاجتذاب السياح من جميع بلاد العالم وكانت ولا زالت من أهم مصادر الدخل القومي لهذه البلاد.

تحدث إلى مدير الشركة السياحية لحزب الشعب عن برنامج زيارة وضع للطلبة الأجانب لتعلم اللغة النمساوية في خلال ٢٠ يوماً مقابل مبلغ ٤٠ جنيتها بما فيها الإقامة والتعليم والمواصلات . . . الخ . وهى وسيلة للدعاية فريدة في نوعها ، ومما أثار انتباهى أن حزب الشعب هناك قد قام بتأسيس هذه الشركة السياحية مساهمة منه في تنشيط السياحة ونشر الوعي السياحي بين الطبقات لمن يرغب منهم في زيارة المعالم السياحية في مختلف أنحاء العالم . مقابل رسوم تكاد تكون رمزية ، ولكى تتيح كذلك لهذه الطبقة الثقيف ونشر الدعاية لبلدهم في الخارج ، وكم يكون مفيداً لو أن الاتحاد الاشتراكي العربي تبني مثل هذه الفكرة وقام بتنفيذها .

وقد اشتركت في جولتين — واحدة نهاريه وأخرى ليلية — من الجولات التي تنظمها الشركة وتستوعب أشهر وأجمل المعالم السياحية في فيينا ، ففي الجولة النهارية قمنا بزيارة منزل الفنان المشهور بتهوفن الذي كان يسمع الدنيا موسيقاه وهو لا يسمع ، وشهدت قصر البرلمان والمتحف ومررت بميدان ستالين وقد أقيم فيه تمثال الجندي الروسي المجهول ، وفي ميدان الأوبرا أقيم تمثال « بلحيته وشيلر » ومررنا بماريا هلف شتراس ، وهو شارع يبلغ طوله خمسة كيلو مترات وبه مجموعة من المحال التجارية الضخمة ، وأما الحدائق وتنسيقها فالقلم يعجز عن وصفها .

وأما الجولة الليلية فكانت في بعض المحال الليلية التي تشتهر بها فيينا ، ثم تناولنا طعام العشاء في (جر ينسج) وهى ضاحية صغيرة أنيقة تشتهر بمحافلها ومطاعمها الشعبية ووجبة الدجاج المشوى والموسيقى الخفيفة الحاملة .

ومن أشهر حدائق فيينا حديقة شتات بارك التي تقع على الحلقة وهى قرية من ميدان بتهوفن (بتهوفن بلاتس) ، وهى روضة ومتحف ، فالطبيعة جادت عليها بأنواع مختلفة من الأشجار والورود والزهور ونهر هادى ينساب بين هذه الأشجار والزهور الياقة المختلفة الألوان ، كما جاد عليها الفنانون بمجموعة

من التماثيل لبعض عظماء الرجال ، وهى متناثرة بين أرجاء هذه الحديقة وأهمها تمثال الفنان « فرانس شوبرت » المؤلف الموسيقى الباغية والذي ولد سنة ١٧٩٧ و كرس حياته للمن حتى توفى سنة ١٨٧٢ .

ومن هذه التماثيل المتناثرة فى الحديقة تمثال نصفى للموسيقى الشهير (أنطون بروكنر) وكان خليفة بهوفن فى الموسيقى السيمفونية وكان أشهر عازف على الأرغن وهو معروف فى ألمانيا وإنجلترا وفرنسا شهدت نفحاته الموسيقية فى بلادها .

أما تمثال يوهان شتراوس (ملك الفالس) وصاحب المقطوعة الموسيقية الشهيرة (الدانوب الأزرق) فيقف على نصب مكون من قطعة فنية تشبه المسرح وهو يعزف على الكمان وقد وقفت أمامه دقائق مبهورة من عظمة الفنان التى تتمثل فى هذا التمثال وفى تاريخه الحافل .

ثم أخذت بعد ذلك أتجول فى هذه الروضة الغناء بل المتحف الفنى ، وكان الوقت قد أوشك على الغروب فجلست على حافة البحيرة الصغيرة وإذا بطفلة صغيرة جميلة لا تتجاوز العام الرابع تجرى نحوى وتحاول أن تختفى عن أنظار والديها الشابة وأخيها الذى يكبرها بعامين ، ثم تعرفت على أسرة الطفلة وقضيت ساعة معها فى حديث معظمة بالإشارات ، ولم تلبث الشمس أن غربت دون أن أشعر ، وانبعثت الأنوار وانعكس الضوء على مياه البحيرة وعلى التماثيل . وعندما هممت بالانصراف بعد وداع أصدقاء المصادفة إذا بى أسمع أنغاماً جميلة شجية من الطرف الآخر للبحيرة حملتنى على البقاء رغماً عني وبعد الاستمتاع ببعض القطع الموسيقية رأيت أن فى هذا القدر كفاية ، وأنهيت يارتى الممتعة لهذه الحديقة الحافلة بأنواع الفن وبجمال الطبيعة الأخاذة .

حديقة الملاهي براتا :

وقد استرعى نظري تلك العجلة الكهربائية العالية التي يسمونها -
(ريز نراده) ، ومعلق بتلك العجلة بواسطة أسلاك وقوائم هندسية عربات
نصفها الأعلى من الزجاج ، ويبلغ عددها ١٥ وبها مقاعد ومناضد وتتسع كل
عربة منها لاثني عشر شخصاً بأجور قليلة لا تتعدى القروش وفي أثناء
دوران هذه العجلة الكبيرة تظهر فينا الحميلة من كل نواحيها بحداثتها الغناء
وغاباتها ومطاعمها العديدة بموسيقاها المرحية الخالدة . . . الخ .

إنه لا يكفي يوم أو يومان للاستمتاع بهذه الجنة بل يحتاج المرء إلى أيام وأيام ،
أما الشارع الرئيسي هناك فتقوم على جانبيه الأشجار الكبيرة وقد تعانقت
أغصانها فكانت مظلة طبيعية للمقاعد التي تناثرت على جانبي الطريق الجميل
للاستراحة والاستجمام ، وهي تضم عدة ملاعب للكرة والجولف والندس
تقام فيها المباريات الرياضية .

وبعد أن جاست بعض الوقت على أحد هذه المقاعد في حي الرياضة
والجمال أخذت طريقى حسب الخريطة التي أحملها سيراً في شارع عريض
جميل (روتن بورم شتراسه) . وهو يعتبر من أفخم شوارع فينا التجارية ،

ولم أشعر بالمشي لأني كنت أقف أمام واجهات المحال التجارية والمعروضات
الجميلة ، فلم أشعر بالتعب أه الملل حتى وجدت نفسي في ميدان (اسطفان) ،
أما الكنيسة التي تتوسط الميدان وتحمل نفس الاسم الذي يحمله الميدان « القديس
اسطفان » حامى فينا كما يسمونه هناك ، فقد وقفت أتأمل عظمه ببنائها وجمال
الأبراج والنقوش الدقيقة على المرمر المصقول ، ولم أشأ أن أمضي في طريقى قبل
أن أقف على بعض المعلومات عن هذه الكنيسة التي تعتبر من أشهر كنائس
العالم ومن أفخمها في فن البناء ، فعلمت أنها تأسست سنة ١١٤١ . ويبلغ علو برجها

الكبير ٤٢٧ قدماً ، وقد أصيب صحن الكنيسة بقبيلة مباشرة في الحرب الأخيرة ولحسن الحظ لم يمس برج الكنيسة سوء وقد تم إصلاحها وأعيدت لأصلها ، وخلف الكنيسة تمتد مقابر قديمة لبعض الملوك والأمراء والبابوات كما توجد بها الأفران التي كانت تستعمل في إحراق الجثث .

واصلت المشى بعد استراحة لبضع دقائق عند الكنيسة العريقة ثم اتجهت يمينا عند منصة الإشارة ووقفت أمام نصب تذكاري هو عمود أقيم على على مدرجاته تمثال لقيصر ليوبولد الأول في زيه الرسمي جاثياً شاكراً ، وقد وجدت في الدليل السياحي الصغير الذي أحمله أن هذا النصب يسمى عمود الطاعون (Peste Soule) وقد شيده القيصر إثر إصابة العاصمة بمرض الطاعون الذي حل بها سنة ١٦٧٩ عندما استجاب الله لدعواته وأنقذ فينا من هذا الوباء وأقيم هذا التمثال رمزاً للشكر والوفاء .

جربينج :

ضاحية الفنانين والكروم الشاسعة التي اشتهرت بنبيلها، ويربطها طريق جبلي صاعد بين المروج والأحراش والغابات الخضراء بمدينة Kopinzèl كوبنزل وهي على علو ٤٠٠ متر، ومن القمة تشاهد المدينة الجميلة بقصورها الشائخة وأبراج كنائسها الجميلة القديمة، حتى نهر الدانوب والقنوات تراها تنساب برشاقة وجمال بين المساحات الخضراء ، أما في المساء فتظهر فينا كأنها ثريا تتلألأ .

أوبرا فينا :

قبل سنة ١٨٦٣ كانت الموسيقى معروفة في فينا (النمسا) . ولكن الموسيقيين لا يجدون المكان الملائم لإبراز فنهم وعبقريتهم، ولهذا فكر القيصر في إقامة بناء ضخم يتسع لآلافين وخمسمائة شخص وكانت المقصورات معدة لأربعة أشخاص من النظارة هذا عدا ٥٤٧ مقعداً في أعلى المسرح ويطلق على هذا المبنى ' دان

الأوبرا، وألحق به مطعم يتناسب مع روعة المبنى تقدم فيه المشروبات الروحية والسيجق الدافئ (كورف) ، وغيرها وكانت هذه الأطعمة الشهية تشغل الجماهير عن الإصغاء إلى الموسيقى التي تشق أجواء الدار .

ولكن هذه الدار نكبت بنحسرة فادحة نتيجة قيام الحرب الأخيرة ، إلا أن عزيمة أهل البلد وإرادتهم التي لا تعرف الهزيمة أعادت بناءها ، وتسابق كبار القوم وأصحاب المصانع ورجال المال من مختلف بلدان أوربا وأمريكا إلى حجز مقاعدهم في حفلة الافتتاح ، وقد بلغ ثمن التذكرة لمقعد واحد أربعة آلاف شلن نمساوى لكي يشهدوا حفلة الافتتاح .

وأغلب الظن أن هؤلاء الأثرياء إنما حضروا الاحتفال لا ليشهدوا الحفل بل ليكونوا محط الأنظار .

ومما يذكر أن المهندس الذى قام ببنائها أول مرة كان هدفاً لهجوم الصحافة وانهاال عليه النقد حتى انهارت أعصابه وأصيب باحتقان فى المخ مما كان سبباً فى إصابته بالشلل الكامل ، ثم لم يلبث أن توفى بعد بضعة أسابيع .

وفى سنة ١٩٤٨ لم يسلم المهندس الذى نال الجائزة الأولى لفن العمارة من النقد والهجوم والحملات السياحية ولكنه لم يبال بذلك .

وما زالت دار الأوبرا فى فينا محتفظة بمكانتها وعظمتها وروعة الفن الذى أفرغت عبقرية المهندسين فيه برغم ترميمها وتجديدها وقد بلغت نفقات التجديد والترميم ما لا يقل عن ٢٠٠ مليون كرون .

ولقد كنت فى أشد حالات البهجة والسرور عندما تلقيت الدعوة لحضور حفل افتتاح الدار لأول مرة عقب ترميمها وتجديدها ، إلا أن هذه البهجة تبددت واستحالت إلى أسف شديد لأن موعد حفل الافتتاح كان يوافق يوم مغادرتى فينا إلى ميناء نابولى للإقلاع منها على الباخرة إلى الإسكندرية والعودة إلى العمل :

ولكن لطفتى على رؤية هذه الدار حملتنى على أن ألتبس من مدير النسيابة هناك أن يمهّد لى السبيل لمشاهدة هذه الدار قبل حفلة الافتتاح فمهّد لى السبيل مع مدير الدار وصحبني إلى هناك .

وعند وصولي إلى هناك اعترتنى الدهشة المزوجة بالإعجاب عندما شاهدت مبلغ فخامة وروعة الفن فيها .

استقبلني مدير الدار وأطلعني على محتوياتها ورأيت في تقسيمها وتنسيقها ونظامها ما يبعث على العجب والإعجاب معاً ، فهناك غرف خصصت للممثلين وأخرى للماكياج وثالثة لغرفة الباليه ، وهناك البهو الكبير الذي تتألأ فيه الأضواء المنبعثة من الثريات الفخمة المصنوعة من أثمان أنواع الكريستال .

أما ساحة المسرح فهي تشبه القلعة المحصنة ذات الأبواب المتعددة والتي يخرج منها الأثاث الملائم لكل رواية بالطرق الحديثة السريعة ، أما الستائر والمناظر فتعد للمسرح بطريقة آلية ، ومما هو جدير بالذكر أن حارس الدار كان يرتدى زياً خاصاً فخماً وقد رصع صدره بالنياشين والأوسمة التي أنعم عليه بها من شتى البلاد ، وكان عملاقاً ضخماً يسير في عظمة وأبهة ويمسك في يده حلقة معدنية كبيرة بها عدد من المفاتيح لكل أبواب الدار مرقومة بأرقام معينة ولكل غرفة مفتاحها الخاص ، ولكنني لاحظت أنه يعرف مفتاح كل غرفة عن ظهر قلب .

وبعد جولتي التي استغرقت الساعتين في قاعات ومقصورات هذه الدار العظيمة شكرت حارس الدار (حامل المفاتيح) ، وما أن انتهيت من الزيارة حتى كان موعد سفري إلى ألمانيا قد حان ؛

ألمانيا

ألمانيا بلد صناعى بكل معنى الكلمة ، ويقدر عدد مؤسساتها الصناعية بحوالى ٩٤٢٠٠ مؤسسة ويقدر عدد العاملين بها بحوالى ٨ ملايين عامل ٣٠ ٪ منهم من النساء، ويكفل الدستور المساواة بين الجنسين، حتى إن ٢٢ ٪ من رؤساء المؤسسات من النساء . وهذا يدل على أن نصيب المرأة الألمانية فى الحياة العاملة عظيم جداً، ولكن تشغيل الأطفال الذين تقل سنهم عن ١٤ عاماً محظور .

وتحتل صناعة المواد الغذائية المرتبة الأولى من حيث عدد العمال الذين يعملون فيها .

وشعار الدعاية السياحية الألمانية هو (زوروا ألمانيا فى كل فصول السنة) ، ففي الشتاء يكسو الثلج الأراضى والجبال بقدر معتول ، والصيف حار غير مرهق والحريف جاف وهو موسم جنى الكروم وتقام له حفلات الحصاد .

أما المناظر الطبيعية فهي متنوعة وجميلة فى الغابات والجبال وهناك المدن الغنية بالمياه المعدنية والمصحات والمصايف ومراكز الرياضة الشتوية ، كل ذلك يجعل منها بلاداً سياحية من الدرجة الأولى ، كما أن هناك ٣٩ داراً للأوبرا وتحتل الحفلات الموسيقية الكلاسيكية مركزاً ممتازاً ، وأكبر أوركسترا هى الفاهر مونيكا (برلين) . وتقام مهرجانات موسيقية تجتذب عدداً كبيراً من الزوار الأجانب .

وبجانب الثقافة الموسيقية هناك النشاط الأدبى ، فبعض دور الكتب الأهلية مثلاً تضم ٢,٥ مليون كتاب ودار الكتب فى فرانكفورت يوجد بها الفهرس المركزى لجميع الكتب الموجودة فى ألمانيا، وهى لذلك تعد من أمهات المكتبات فى ألمانيا .

كما يوجد عدد كبير من المكتبات الجامعية، وقد سألت أميناً لإحدى تلك المكتبات عن مدى إقبال الشعب على القراءة فأجاب بأن الشعب يقبل على القراءة بشغف شديد بدليل أن عدد المنتسبين إلى نوادي القراءة (وعددها ٢٦ نادياً) يبلغ أربعة ملايين منتسب ، وهم يستعرون الكتب القيمة بأجر رمزي ، هذا فضلاً عن الاستعارة من المكتبات العامة .

وتحتل ألمانيا المركز الرابع في العالم من ناحية النشر ، فإن ما ينشر فيها من الكتب يبلغ ٢٢٥٢٤ مؤلفاً في السنة وكانت هذه الإحصاء عام ١٩٦٠ إلا أن روسيا واليابان وبريطانيا تتفوق عليها في هذا المجال .

وفي ألمانيا نحو ١٠,٥٠٠ مكتبة تابعة للبلديات فضلاً عن المكتبات التابعة للكنائس ، وجميعها تعمل على نشر الثقافة والحث على الاطلاع

حقائق عن ألمانيا :

كان الألمان أول من عنى بوضع الصابون والمناشف في أماكن الاغتسال في قطارات السكك الحديدية ثم نقلتها عنها باقي دول أوروبا، وتحت ضغط الهزيمة في الحرب العظمى والاقتصاد في النفقات ابتكروا زجاجات الصابون السائل والمناشف الورقية .

عبادة البطولة والنظام :

من أجل النظام العام يضحى الفرد الألماني بمصلحته الشخصية التي تأتي في المرتبة الثانية بالنسبة إلى مصلحة الوطن العليا ، وقد تفوق الألمان على كل شعوب أوروبا في إنشاء المصانع وصناعة آلات مع الاقتصاد في النفقات .

وتبدأ عبادة البطولة في الأسرة ، فرب الأسرة هو الأب الذي يفرض على زوجته وأولاده حب النظام والطاعة، ولكن دون استعمال الشدة والقسوة مما

يهيئ الطفل ويجعله مستعداً دائماً لإطاعة الأوامر وتنفيذها دون تردد، كما أن الأب يث في نفس الطفل روح الكفاح والمثابرة والجلد ومجاهدة المصاعب والصدمات وألا يطأطأ رأسه للهزيمة ، وأكبر دليل على ذلك ماشهدناه إبان الحرب العالمية الثانية، فإن شباب ألمانيا كان يعتبر كلمة هتلر كأنها تنزيل من السماء .

خريطة المدينة على تذكرة الترام :

ومما هو جدير بالذكر بالنسبة للنظام في ألمانيا هذه الخريطة المفصلة على تذكرة الترام وقد دونت عليها المحطات المهمة في الخط حتى يستعين بها الراكب وخصوصاً إذا كان من الأجانب .

وقد لاحظت أن معظم مباني المدينة من الزجاج وهذا يدل على اتجاه الشعب إلى السلام وعدم استعداده لخوض غمار حرب أخرى .

ثم بدأت الرحلة وسط ألمانيا وكانت الرفيقة التي تعرفت عليها في أثناء السفر فتاة أمريكية تعمل مدرسة موسيقى وقضت في فرنسا بضعة أشهر تدرس في مدينة « فونتنبلو » في بعثة صيفية، وكانت تقوم بهذه الرحلة قبل عودتها إلى أمريكا .

تناولنا الغداء سوياً . مطعم صغير على إحدى بحيراتها، وقد لاحظت في كل حي مررنا به آثار الحرب والدمار في كثير من المباني .

البروتوكول السياحي :

كان لكل راكب مزاجه الخاص ، فالسويدي يريد أن يفتح النافذة والأمريكية تختبئ تيار الهواء والألمانية تريد أن تستمتع بالموسيقى والإنجليزية تؤثر مشاهدة المناظر الطبيعية في هدوء، وكان على المضيف أن يعمل على إرضاء جميع الأذواق ، فاستعانت باللباقة وحسن التصرف وقد أظهرت مهارة في معالجة هذه الأمور .

سألني أحد رفاق السيارة (وهو سويدي) عن السياحة في مصر ولماذا لا يوجد مكتب سياحة لنا في اسكنديناوة، وذكر أنه ينبغي أن يكون لنا مكتب سياحي للدعاية والاستعلامات، وليكن في مدينة كوبنهاجن بالذات فدهشت وسألته : « ولماذا لا يكون في استكهولم ؟ وهي بلدك ؟ » .

فأجاب : « ولو أني سويدي إلا أنني أقرر لك أن مركز كوبنهاجن أقوى وأعظم إذ يؤمه الكثير من السياح خصوصاً الأمريكيين ، وأنهم يطلقون عليها « باريس الشمال » نظراً لما اشتهرت به من توافر وسائل التسلية والترفيه . »

وفي أثناء هذا الحديث، لمحت مياظر خلابة؛ فمن مراعي خضراء زاهية إلى غابات يضرب لونها إلى السواد نظراً لشدة كثافتها ويطلق عليها بالألمانية Schwartz wald أى الغابة السوداء وهي من المصايف الشهيرة ، وبها منطقة معسكرات .

شعرت أن السفر بالأتوبيس ممتع للغاية، فالمسافر يرى ويستفيد أكثر من السفر بالقطار أو الطائرة، هذا بجانب الفرص المتاحة للتعرف على عدد من الشخصيات من كل بلد مما يزيد من معارفات المسافر ، كما يهيئ له في نفس الوقت الدعاية لبلده .

وصلنا مدينة بازل Basel بعد الظهر وهي في ملتقى الحدود الفرنسية والألمانية وتعتبر مياء هاماً لسويسرا لأنها مركز هام لتصدير الأدوية.

قمت برحلة في نهر الرين من مانهم إلى وورمز Worms استغرقت نحو ساعتين، وهي اضاحية صغيرة اشتهرت بصناعة النبيذ وتجمع مساحات واسعة من أنواع العنب الممتاز، وكان، وقت عيد النبيذ السنوي وفيه تحتفل البلد بهذا العيد سنوياً بإقامة الزينات في المحال العامة والفرق الموسيقية التي تعزف في الميادين وعلى النهر تقام الألعاب النارية في المساء، وقد قضينا في حديقة الملاهي هناك ساعتين تمتعنا فيها مع أهل البلد بالألعاب المختلفة والمباريات الطريفة

التي تعتمد على الحظ في إصابة الهدف .. الخ ، وعدنا بعد الظهر إلى مانهايم بلد المصانع ، وتعتبر من أهم المراكز الصناعية في ألمانيا لأنها تحتوى على عدد ضخم من المصانع الكبيرة ، كما أن وجودها بين أكبر نهري في ألمانيا الرين والنكر دعم مركزها الاقتصادي والصناعي .

ومما لاحظته في مانهايم تعدد جنسيات الطبقة العاملة إذ يعمل في مصانعها ومؤسساتها عدد كبير من أبناء أسبانيا وإيطاليا والهند والعرب من لبنان وتونس وسوريا والأردن الخ . . .

وكان من أثر تعدد هذه الجنسيات في المدينة بجانب وجود معسكرات الجيش الأمريكى أن تغيرت طبيعة وروح الشعب الألماني هناك إذا أخذ عنهم بعض العادات والتقاليد متنازلاً عن الكثير من عاداته القديمة . وبين مانهايم وهيدلبرج المدينة القديمة المشهورة بجامعة نحو ٢٥ كيلومتراً وبربطها بها خط مترو سريع وأتوبيس منتظم .

ويسود المدينة القديمة جو من المرح والعمل معاً ، والطلبة والطالبات في حركة مستمرة ويشعر الزائر كأنه في مدينة جامعية تزخر بالشباب من كل بلاد العالم .

ثم قمت بزيارة عميد معهد الجيولوجيا في هيدلبرج بناء على طلب زميل مصرى لى كان يدرس معه منذ سنوات في ألمانيا ، وقد طلب منى أن أزوده ببعض مطبوعاتنا السياحية .

وعندما وصلت ، المعهد صباحاً كان الدكتور العميد يمر على الفصول ويعد بضع دقائق من الانتظار حضر وقوفى بزيارتي وبوجود المطبوعات التي كان في شدة الاحتياج إليها كما أخبرنى .

ثم بدأ سيل من الأسئلة عن أسعار الأتوبيسات عندنا وهل توجد منطقة معسكرات ؟ وكم يتكلف الطالب الزائر لمنطقة البحر الأحمر ؟ وكان لا يعطينى الفرصة للاستفهام منه عن هذه الرحلات .

وعندما وجدنا أستمع لأسئلته السريعة المتعددة وأنا أبتسم ولم أجب على أسئلته توقف (فرمل) ثم قال : « لا تؤاخذيني يا سيدتى فزيارتك لى اليوم كانت مفاجأة لى غير منتظرة جاءت فى الوقت المناسب الذى كنت أرقبه وأفكر فيه فى تنظيم رحلات تعليمية لطلبة المعهد ولا يوجد عندى أية معلومات ولا من يدلنى على أحسن وأرخص الأسعار لهذه الرحلات ، ومدى المساعدات أو التسهيلات التى يمكن أن تقدم للطلبة ؟

فقلت له : إن الجمهورية ترحب بكل الزوار سواء كانوا سائحين أو طلبة وتقدم لهم كل التسهيلات فى حدود إمكانياتهم .

فقاطعتنى قائلاً : لا تنسى يا سيدتى أن هذه الرحلات ستكون للبحث والدراسة فى منطقة البحر الأحمر الغنية بالمعادن على أن يقيموا فى معسكرات وأن لا يتعرضوا للبقشيش !!

فرانكفورت : يونيه سنة ١٩٦٠ :

لقاء بعد خمس سنوات :

كنت أتناول العشاء فى مطعم صغير مع الدكتور د . س وقرينته وهناك تعرفنا على الوفد التجارى الليبى وكم كنت فى غاية السعادة عندما قال أحد أعضاء الوفد الليبى إن أهل ليبيا يقدرون الرئيس جمال عبد الناصر ويحبونه وقال إنه سوف يكتب إليه باعتباره زعيم العروبة راجياً أن يبعث إلى عواصم بلاد أوربا بالشباب الجامعى المثقف المتحمس للقومية العربية للقيام بالدعاية فيها فهى أمانه فى عنق كل عربى ، ثم قال إنه على الرغم من أن ليبيا بلد صغير بالقياس إلى الجمهورية العربية المتحدة فإنها تقوم بالدعاية فى حدود إمكانياتها وذكر أنه حدث فى أثناء الاعتداء الثلاثى على بورسعيد أن سألته سيدة عجوز فى ليبيا عما إذا كانت الحرب بين العرب والطيالان قد انتهت بانتصار العرب

فقال لها. « نعم لقد انتصر المصريون » ، فما كان من السيدة الا أن أطلقت الزغاريد وهللت وكبرت وقدمت أحد الخراف هدية منها ابتهاجاً بانتصار العرب ، وقال عضو آخر إنه كان في روما ووجد صور دعائية في واجهة أحد مكاتب الطيران الإسرائيلي تدعو لزيارة إسرائيل التي كانت صحراء وأصبحت جنة بجهود أصحابها ، فلم يلبث أن حطم زجاج الواجهة بقبضة يده وما زال أثر الجرح طاهراً في يده . .

ثم ودعهم أنا ومن معي وتركنا هذا الرجل المتحمس لعروبة وهو ما زال يتحدث بحماسة عن العرب والقومية العربية والوحدة العربية .

* * *

كان الجو لطيفاً عندما قمنا برحلة إلى البحيرات خارج المدينة وكان مكاني في بدء الرحلة بالأتوبيس بجانب سيدة من ألمانيا كانت من النوع الفضولي فسألني :

— من أي البلاد أنت ياسيدي ؟

— أنا مصرية وقادمة من مصر .

فظهرت على أساريرها علامات العبوس والتجهم ولم تلبث أن قالت في غضبة « وأنا من إسرائيل » فقابلت تجهمها بابتسامة السخرية وسرعان ما انتقلت من جانبي واتخذت لها مكاناً آخر طوال الرحلة .

وقد كانت المجموعة من مختلف البلاد ؛ باكستان والهند واليابان فتبادلنا البطاقات ما عدا هذه السيدة التي كانت تنأى بجانبها وتتحاشاني .

ثم تناولنا الغداء في مطعم جميل وسط البحيرات والجبال الخضراء ، وتعد هذه المنطقة مركزاً رياضياً مشهوراً في رياضة التزللق على الجليد وتقام فيها مباريات موسمية ، ثم استأنفنا الرحلة وقمنا بزيارة معالم هذه المنطقة وعدنا إلى ميونخ التي هي عاصمة (بافاريا) وبها الكثير من الجامعات والمعاهد العليا والمطاعم القديمة التي تضج وتصطبغ بالموسيقى البافارية القديمة .

ومما هو جدير بالملاحظة أني لمست في أهل ميونخ ترحيبهم بالمصريين وشغفهم بالتعرف على كل ما له علاقة بهم وبلدهم .

اتصل بي بعد عودتي إلى الفندق أحد الطلبة المصريين النابيين هناك وهو يقوم بدراسة فن الإخراج ويتمتع بمركز مرموق هناك فحضر لزيارتي بالفندق وكان يصطحب معه أسرة مصرية اغتطبت كثيراً بالتعرف على أفرادها . ومن بينها الدكتور (عبد الرحمن صبرى) الذى يدرس علوم الذرة وحرمة السيدة يسرى صبرى وابنتهما الصغيرة التي لا تعرف غير الألمانية لأنهما ولدت هناك .

أما السيدة . ص فهمى تدرس فن الإخراج التلفزيونى ويطلق عليها هناك لقب نفرتيتى ، وكم كنت معجبة بهذه السيدة التي تكافح مع زوجها في سبيل الحياة ، وقد قصت على طرفاً من حياتهما في ألمانيا وما لاقياه من عنث ومشقة في أثناء دراستهما .

يقولون في الأمثال القديمة « وكل غريب للغريب قريب » فلما التأم شملنا ونحن من بلد واحد وجها إلى الدعوة لتناول العشاء وقضاء سهرة عيد رأس السنة ، فتقبلت دعوتهما وقضينا وقتاً ممتعاً جميلاً ووجهت إليهما الشكر على كرم الضيافة .

زيارة نادي السيارات :

توجهت فور وصولي إلى مكتب شركة الطيران العربية لبعض الشئون ووجدت هناك موظفاً ألمانياً نشيطاً يدعى هربوبنزر (Bubenoer) وهو رجل نشيط فاستقبلني بالبشاشة والترحيب وكأني ضيف عزيز ، ولما قدمت إليه نفسي ازداد ترحيباً بي وقال علي الفور « هل تسمحين لي ببضع دقائق من وقتك ياسيدتي ؟ لأنني أريد أن أتحدث إليك عن السياحة في بلادكم التي أحبها وأعشقها وأقوم متطوعاً على خدمتها بعمل في هذا المكتب المتواضع ، ولا تسأليني عما أقدم من دعاية لكم ولو أنها في حدود ما أستطيع إلا أنني أجد سعادة كبرى في انقيام بها وأرجو أن أقوم بالعمل على تفسير الآلاف من مواطني الألمان كل يوم لزيارة بلادكم والتعرف على آثارها العريقة ونهضتها الحديثة » .

فأجبتة : « إنني سعيدة بهذه اللفتة الطيبة منك وكل آذان صاغية لأستمع إلى أية ملاحظة أو رأي وكن على ثقة بأنه سيكون موضع الاهتمام والتقدير »

قال : « هل تعلمين أن المصريين هناك في بافاريا وهي المنطقة الجنوبية من ألمانيا موضع حب ورعاية وتكريم على الرغم من أن الدعاية تكاد تكون معدومة ؟ هذا مع أن بعض الصحف التي لا تزال تحت السيطرة الصهيونية تقوم بالتشنيع واختلاق الافتراءات والأكاذيب عن مصر في حين أنها تجهل الكثير عن بلادكم ، فلو أنكم ركزتم الدعاية هنا وقمتم ببعض الجهود الدعائية لبلادكم لا نقلب الوضع في صالحكم » . ولم يدع لي فرصة للكلام بل استطرد قائلاً « يوجد في هذه المنطقة رابطة اسمها رابطة محاربي أفريقيا لها مكائنها واعتبارها فهي تقوم بتنظيم رحلات سياحية لبلادكم وأخص بالذكر منها منطقة العلمين » ، فضلاً عن أن هذه الجمعية تهتم بكل ما يلذع عن نهضة بلادكم فضلاً عن أن الجمعية الطبية والجامعات كلها في أشد الحاجة لهذه الرحلات الشتافية للوقوف على مبلغ ما وصلت إليه بلادكم من نهضة شاملة في عهد الثورة

وفي جميع المرافق والمنشآت وفروع الثقافة التي لها علاقة بما يريدون بحشه ودراسته، وكل ذلك يحتاج إلى إنشاء مركز سياحي مزود بالنشرات والمعلومات الثقافية... الخ .

ثم توقف عن حديثه واتجه إلى مكتبة وفتح أحد أدراجها وأخرج منه كتيباً أحمر فتح منه صفحة معنونة باسم مصر كعضو في هذه الهيئة، ولمكن مع شديد الأسف لا توجد بهذه الصفحة أية معلومات عن مصر . . .

وقد تبين لي من الاطلاع على هذا الكتيب أنه عبارة عن دليل النادى للسويدي السياحي الذي يعتبر من أهم الهيئات السياحية في العالم Skol Clul

ثم قال « إن عدم تجديد اشتراك الجمهورية العربية في هذه الهيئة يضر كثيراً بالحركة السياحية وأنا أرجو أن تعملوا من جانبكم على تجديد هذا الاشتراك » ومن جانبي قمت فعلاً بتقديم مذكرة في هذا الشأن وعرضت الأمر على أعضاء مجلس الإدارة وفي ظني أنه قد اتخذ ما يكفل رفع صوت بلدي في هذه الهيئات العالمية .

وفي نهاية المقابلة قدمت الشكر إلى (هربوينزر) على كريم شعوره نحو بلادي واهتمامه بتنشيط السياحة ونشر الدعاية الطيبة لها ثم طلبت منه أن يتفضل بالاتصال بنادى السيارات في ميونخ لتحديد موعد لي مع مديره العام. وعندما اتصل بالمدير تليفونياً وأنبأه بحضورى. ورغبته في تحديد موعد لمقابلته أجاب على الفور أنه في انتظارى لو سمحت لي ظروفى ، ومما يذكر أن هذا المدير يعادل منصب الوزير هناك . ولم ألبت أن أسرعت على الفور بصحبة الموظف الألماني ومدير مكتب شركتنا إلى هناك فوجدت مبنى النادى صحياً منسقاً على الطراز الحديث يتوسط حديقة كبيرة ، وكان المدير العام في انتظارنا ومعه مسر شلير رئيس القسم السياحي المختص بالشرق الأوسط وكان أمامها ملف ضخيم ، وعلمت منهم أن المكتب اتصل بعدة شركات سياحية يطلب منها أسعار رحلات جماعية إلى منطقة العلمين بالذات. ولم يصلهم أى رد ، ثم

سألني المدير عن منطقة البحر الأحمر فأخبرته بأنه توجد في هذه المنطقة فنادق عظيمة في العين السخنة والغردقة بجانب الشاليهات وحدثته عن جمال الطبيعة في هذه المنطقة وكان لا يعلم عنها شيئاً من قبل ، وطلب مني إرسال صور لهذه المنشآت ومعلومات مفصلة عنها ، فقممت فعلاً بالاتصال ببعض الشركات السياحية المختصة لتلبية رغبته ، وقد أكدت لمدير النادي ورجاله أن مصلحة السياحة من أحرص ما يكون على بذل كل التسهيلات والخدمات وإنني هنا في مهمة خاصة لهذا الغرض .

وكان الاجتماع موفقاً وقد علمت أن عدد المشتركين في هذا النادي يبلغ نحو ٤ ملايين ونشاطه في الناحية السياحية عظيم وملحوس .

حكاية الحموات في أوروبا :

وفي طريق من استوكهولم إلى شواطئ فرنسا وإيطاليا مع مجموعة من السياح توقفنا لتناول الغداء في مطعم ريفي صغير يتوافر فيه النظام والنظافة ، وتقدم الأطعمة فيه على الطريقة الفرنسية ، ومن حسن المصادفات أن التقيت هناك بسيدة شابة في العقد الرابع من عمرها مع ابنتها التي تبلغ ٢٢ سنة وكانت (عشرية) أليفة فهي لم تلبث بضع دقائق معي حتى آست إلى وأخذت تقص على تاريخ حياتها ، قالت إنها من أسرة إنكليزية تقيم في لندن وكانت والدتها تدير مكتباً سياحياً ناجحاً ولكنها توفيت منذ ثلاث سنوات وقد أوصت قبل وفاتها أن يحل محلها ابنها الأصغر في إدارة المكتب « وكان أخي هذا طفلاً مدللاً منذ نشأته ، وقد طبعه هذا التدليل على أن يكون عنيداً صلب الرأي يملئ إرادته على كل أفراد الأسرة فأمه وأبوه وأخواته السبع لا يستطيعون أن يخالفوا له أمراً . وكان مصدر هذا التدليل والعطف هو إصابة هذا الأخ الأصغر بعاقة مستديمة في إحدى يديه » .

فأبدت لها دهشة من ذكر هذه الوقائع عن أسرتها دون أن تذكر لي شيئاً عن حياتها الخاصة ففاجأتني قائلة : « ياسيدي أنا ضحية الحماة ،

أحمد كان زوجي وحيد أبويه، وبعد وفاة أبيه أصبح في رعاية والدته التي كانت تقسو وتضيق عليه الخناق وكان يخشى بأسها وبطشها حتى بعد أن صار رجلاً . وعندما قابلته وتعاهدنا على الزواج أبدى لي خشيتته من أمه التي لن توافق على زواجنا ولن تباركه . فعمد إلى إخفاء ما اتفقنا عليه حتى لا تظهر في الكنيسة عند عقد القران بمظهر قد يسيء إلى وإلى أسرتي فاضطرت أن أوضح الأمر لوالدي وأطلب منهما ألا يحضرا حتى تكون هناك مساواة بيني وبينه في عدم حضور أحد من قبله أو من قبلي ولأني كنت أؤثر عقد القران في جو هادئ دون ضجة أو إقامة ما تعارف عليه الناس من الزينات .

ومن العجيب أن أمه عندما علمت استعانت بأسلحة الدهاء وأظهرت الغبطة والارتياح والسعادة بهذه الزيجة ، فلم نستطع إلا أن نصدقها . ثم مالبت أن قالت إنني أريد حفيدة فقط وهذا ما يهمني ، وكان الله معي فأنجبت الحفيدة . ومكثنا مع الحماة بعض الوقت وكانت تتظاهر بالعطف والحنان . ثم طلبت إلى أن أسافر مع ابنتي إلى أحد المصايف لتستفيد الحفيدة من هواء البحر على أن أكون بمفردي دون زوجي وتطوعت بدفع نفقات السفر والإقامة من مالها الخاص .

وفي المصيف وقعت حادثة مفاجئة لكريمتي ، فقد عقرتها قطة فاضطرت إلى العودة إلى بيتي وزوجي ، وعندما اطمأنت حماتي على حفيدتها ألحت علي في العودة لأننا لم نلبث في المصيف الوقت الكافي ، وكانت في ذلك الوقت تدبر مكيدة من مكائد الحموات بعد عودتي إلى المصيف ثانية . فاتفقت مع زوجي الذي كانت مازالت تسميه—حتى بعد أن أصبح أباً (بوي) — الولد غلي أن تكون الحفيدة في حضانتها وأن يحل الرباط المقدس الذي كان بيني وبينه ، ومما يبعث على دهشتي أنه قد مر على هذه المؤامرة الخبيثة ما يزيد على ٢٢ سنة ولم أعلم ما دبرته هذه الحماة القاسية القلب المتحجرة العاطفة ، ونجحت في إساءة التفاهم بيني وبين زوجي ولكنها فشلت في النصف الآخر من مؤامراتها إذ لم تستطع الاحتفاظ بالبنت .

ويعلم الله يا صديقتي مبلغ ما قاسيت وما عانيت في تربية ابنتي إذ لم يكن لي مورد أعتمد عليه للإنفاق على نفسي وعلى ابنتي فالتجھت إلى العمل لكي أستطيع تدبير شئوني ، فعملت كمربية للأطفال في أسرة بدون أجر في مقابل الاحتفاظ بابنتي ، ثم عملت في مدرسة بوظيفة مشرفة لأضمن بقاء ابنتي معي وأظنك تعلمين أن مصاريف التعليم في إنجلترا مرتفعة لا سيما في المدارس الخاصة ولم أفكر في إلحاقها بمدرسة إزامية بل ألحقها بإحدى الكليات ، وكانت ابنة امبراطور الحبشة إحدى زميلات ابنتي وكم كانت ابنة الامبراطور سعيدة بهذه الزمالة ، وكم قاسيت من معاملة السيدات المتروجات اللاتي اضطررتني ظروف العمل في بيوتهن ، ولمست الغيرة الحمقاء من امرأة تكافح في سبيل لقمة العيش ، وكانت ابنتي على درجة كبيرة من الذكاء والتهذيب ، وعندما تخرجت من الجامعة كنت أعمل في منزل سفير أمريكا الذي نقل بعدئذ إلى أوساو وعندما لاحظ أن ابنتي تجيد أربع لغات فضلا عن الاختزال ألحقها بعمل في السفارة ووضعها في مركز مرموق . وأخيراً نقل هذا السفير إلى أمريكا فاعتذرت عن السفر معه كما استقبلت ابنتي من وظيفتها في السفارة . ثم استقر رأينا على أن نقوم بهذه الرحلة في بعض بلاد أوربا وبعدها ندبر أمورنا في العمل الذي يوفر لنا الراحة والاستقرار في أي مكان .“

وكنا عندئذ قد وصلنا بالأتوبيس الاسكانديناوى إلى نيوى على شاطئ الريفيرا الفرنسية ، فزارتني السيدة في الفندق مع ابنتها وكنت قد طلبت منها أن تخبرني عما استقر عليه رأيها فقالت إنها تبحث عن منزل في مونت كارلو . حيث تقم هي وابنتها لأن العمل في نيس محظور على الأجانب أما في مونت كارلو فالعمل للأجانب مباح .

وقد ملأتني هذه السيدة إعجاباً بكفاحها وقوة احتمالها لقسوة الحياة وقسوة الحياة معا .

جمعية الطهاة :

لم أكن أدري حين طلبت نقلي إلى مصالحة السياحة أن آفاق العمل في الدعاية لجمهوريتنا العزيزة يتسع إلى هذا الحد . وقد كنت أظن أن الأمر سيكون مقصوراً على الدعاية إلى ما في بلادنا بالحميلة من آثار ذاعت شهرتها في العالم ومن جو في الشتاء يصبر كل أجنبي للاستمتاع به ، ولكن آفاقاً كثيرة تفتحت لي عندما مارست عملي بالفعل كمديرة لإحدى شركات السياحة العربية .

وقد كنت في زيارة لألمانيا سنة ١٩٦٢ وتصادف أن تحدثت كثيراً إلى أحد الزملاء الألمان المعنيين بشئون السياحة في بلادهم عن الوسائل التي يتبعونها في الدعاية لألمانيا والتي أدت إلى مضاعفة عدد السياح لهذه البلاد إلى حد يحمل على التساؤل ماذا صنع هؤلاء ليجتذبوا هذا العدد الضخم إلى بلادهم ؟ وبينما نحن نتجاذب أطراف الحديث إذ جاء رجل بادي الأناقة فحبي صاحبي الذي قدمه إلى وقال إنه عضو في جمعية الطهاة الألمانية ، وقد لفت هذا التعريف نظري فسألت الرجل عن ماهية هذه الجمعية التي ينتمي إليها ؟ فأجاب : « إن جمعيتنا يا سيدتي تعنى بطهو الطعام ، فليس الطهاة وحدهم هم المتخصصون في فن الطهي وإنما هناك جماعة يحبون طهو الطعام بأنفسهم ويبلغون في هذا الفن ما لم يبلغه الطهاة المحترفون » . ثم استطرد قائلاً : « إن لدينا جمعية في ألمانيا أنا أحد أعضائها ، فضلاً عن جمعيات مماثلة أخرى في مختلف بلاد أوروبا وأمريكا . ونحن نجتمع سنوياً في هيئة مؤتمر فيقوم كل عضو في إحدى الجمعيات بأكبر دعاية لوطنه عن طريق إطعام الفم وقد ثبت أن هذا هو خير وسيلة للدعاية » ثم قال :

« إننى سمعت كثيراً عن أطباقكم الشهيرة التى يتحدث عنها من يزورون بلادكم وخاصة منهم الخبراء الذين يترددون على بلادكم كثيراً فى هذه الأيام والذين يتناولون أطباقكم الشهيرة فى بيوتكم وفى الريف المصرى . »

إننى سمعت يا سيدتى عن طبق اسمه الكشك وآخر اسمه الملوخية وسمعت عن أطباق تطهى فى الأفران وخاصة فى الريف كما سمعت عن طريقكم فى شواء الحمل ولا أنسى طبقاً أكلته عند أحد أصدقائى فى سفارتكم اسمه (الشراكسية) . »

وسكت الرجل ٤٠ فقلت له لماذا سكت ؟ هل نسيت الكباب ؟ فاستدار إلى وقرب أذنه من فى وسألنى أن أكرر الكلمة مرة أخرى ولم يلبث أن أخرج مفكرته من جيبه وكان يقرأ منها الأسماء ثم أخذ يهتم بكلمة كباب حتى دونها فى مفكرته ثم أرانى ما كتب حتى يتأكد من سلامة نطقها .

ثم قال : « إن جمعية الطهاة يجتمع أعضاؤها سنوياً ويقدم أفراد كل شعب ما امتازت به بلادهم من أطباق . وأعضاء الجمعية هم هواة الطهو الذين لهم ذوق خاص فى أطباق معينة فى بلادهم . »

فقلت فى نفسى هاهى ذى آفاق جديدة تفتح أمامى وهاهو ذا مجال جديد للدعاية لجمهوريتنا رها هو ذا رجل من ألمانيا استهوته شهرة طعامنا فسجل أسماء بعض المأكولات وأخذ يحدثنى عن ذلك فى مكتب سياحى فى ألمانيا .

لهذا أرى أنه ينبغى أن نعى بالدعاية لأطباقنا وأن تتكفل النشرات السياحية بالإعلان عنها ، وحبذا لو خصصت صفحة واحدة من مجلة مصلحة السياحة الشهريّة التى توزع فى الخارج للحديث عن طبق من أطباقنا الشهية المأدبة .

كما ينبغى أن ينشأ ناد محدود هواة الطهى عندنا يطلق عليه نادى الطهاة حتى يتيح لأفراده الانضمام إلى عضوية جمعية هواة الطهو العالمية وأنا على ثقة أن هذه الفكرة ستسهم بشكل ملحوظ فى اجتذاب السياح إلى بلادنا .

إنها فكرة فهل من سبيل إلى تبنيها ؟ عندنا مصلحة السياحة وشركة الفنادق
بلى عندنا الكثير من شركات السياحة العربية . فيا ترى من يتبناها ؟

اسواق ألمانيا المتنقلة المحددة المواعيد :

في ساحة أو ميدان يتوسط البلدة تتجمع عربات نظيفة تحمل كل
ما تحتاج إليه ربة البيت من لحوم وخضرا وفاكهة وبقالة وزهور . الخ .

وهذه العربات مغطاة ومجهزة بكل ما يوجد في محال البقالة . تتجمع
هذه العربات يوميا في ساعة محددة وتظل في موقفها حتى ساعة معينة لا تتجاوزها ،
ثم تقوم الجهات المختصة بنظافة الساحة بعد انتهاء الموعد المحدد وتصبح الشوارع
بعد ذلك نظيفة ، وهذا نظام يوفر على ربة البيت مشقة التنقل من مكان إلى مكان
ومن محل إلى محل فضلا عن توفير الوقت والراحة .

وهذا النظام يتبع في معظم الأحياء في مدن ألمانيا .

ضاحية شفتسنجن : Schwensingen

كنت في زيارة لولدي عندما كان يتلقى العام في مانهايم فأشار على
في صباح يوم أحد أن نذهب إلى ضاحية على بعد ٣٠ كيلو مترا من مانهايم
وهي (شفتسنجن) ركبنا الأتوبيس إلى هناك ، ووصلنا الساعة الحادية عشرة
صباحا أمام باب قصر قديم شيده الملك تيودور تضمه حديقة تبلغ مساحتها
حوالي ثلاثين فدانا ، وهي تشبه حدائق قصر فرساي في فرنسا ولقد رأيت
لأول مرة حماما منفصلا عن القصر في ركن من الحديقة خاصا بالملكة وبه
غرفة للراحة وأخرى للشاي ومجموعة من عصافير جميلة والحمام مبنى جميل به
نافورة وقد صنعت صنابير على صورة ثعبان ضخمة يصب في حوض ينزل
إليه بثلاث درجات وسقفه محلى بنقوش ذهبية كما توجد به خيرة شحاطة بمجموعة
تماثيل ثم مسجد بناه الملك بمناسبة زيارة سلطان تركيا له ، وتصلني فيه الحالية
الإسلامية في الأعمدة

ثم تناولنا الغداء فى مطعم متواضع بجانب المتحف الذى يعتبر مصدراً سياحياً هاماً للبلدة الصغيرة وعدنا إلى مانهايم مساء .

دعنى أسرة المهندس (كورتز) Kurtz الذى أمضى فى مصر حوالى أسبوعين فى العالم الماضى ، وكان يذكر بلدنا وكرم ضيافتها وترحيبها والذكريات التى تركت فى نفسه هو وعقيلته أحسن الأثر .

كانت (إيرين كورتس) فى انتظارى وقد حاولت أن تبرز كل ما ما يذكرنى ببلدى فاستقبلتنى فى غرفة بها بعض التذكارات المصرية ومجموعة صور وأفلام كنا قد التقطناها معا أثناء زيارتهما . كان الطبق الأساسى على المائدة هو أرز معمر باللحمة وقد تعاملت السيدة بطريقة طهيه فى مصر . وفى أثناء الحديث قالت لى إنها كانت تود أن تطهى لى الملوخية وقد أحضرت بعضها وسألتنى أن أقوم أنا بطهوها لأنها نسيت الطريقة ، فرجوتها أن تعدل عن ذلك ، ووصفت لها الطريقة على أن تقوم بطهوها فى فرصة أخرى .

ثم رافقتى السيدة إيرين وزوجها بعد الظهر إلى برج التلفزيون فى فيلدبرج وكان الشاي يكسو المنطقة بطبقة خفيفة جعلت منظر الجبال والغابات من أجمل ما وقعت عليه العين .

هولندا بلد الطواحين الهوائية

شعب هولنده تجرى فى عروقه دماء التجارة ويعرف بالشعب قاهر البحر . وكلما تمرد البحر وركب رأسه وطفى على اليابسة ردوه إلى صوابه وأعادوه إلى رشده . وهو الشعب المولع بعشق الزهور حتى يكاد لا يخلو بيت منها . وهو الشعب المكافح المناضل فرجاله يمشون إلى أعمالهم فى المزارع والمتاجر ، أما نساؤه فهمهم الأول هو البيت الذى يعنين أشد العناية بنظافته ونظامه وترتيبه وتنسيقه ، والإشراف على كل كبيرة وصغيرة فيه إلى حد أن المرأة هناك تغالى أشد المغالاة فى هذا بل هى تعتبر المثل الأعلى لربات البيوت .

أما حب الشعب للموسيقى والفنون فهو شئ يلمسه ويحسه كل من يزور هذه البلاد .

ويزخر متحف أمستردام بأكبر مجموعة من اللوحات الفنية لرامبرانت وروبى وهالى ، وما زال بيت رامبرانت قائماً على حاله منذ وفاة هذا الفنان الكبير يحج إليه من شاء من عشاق الفن والجمال .

عرش النساء :

لا يزال التاج يلمع على هامات النساء وما زالت المرأة تبرع على عرش المملكة منذ قرن من الزمان ، فالمملكات لا يلدن إلا ملكات .

والشعب الهولندى يحيط الأسرة المالكة بحبه وعطفه ويتفاعل بهذه الأسرة ، ومن أبلغ ما قاله الكتاب والمؤرخون :

«لقد كان جلوس النساء على عرش هولنده من أسباب التفاف الشعب الهولندى حول هذا العرش وتفانيهم فى الإخلاص له ، لأنهم يرون فى الملكة شخصاً تقضى عليهم تقاليد الفروسية القديمة أن يسهروا على حمايته والدفاع عنه بكل قطرة من دماهم » .

وإذا أتيحت لك زيارة هولنده فلا شك أنك ستقوم برحلة في قنوات المدينة المتعددة وسوف تصل إلى الميناء في نهاية الرحلة ، وستعتريك الدهشة عندما تقف أمام القصر الملكي ، فهو غاية في البساطة وتزداد دهشتك حين تعرف أن القصر الذي يرجع العهد به إلى ثلاثة قرون من الزمان قد شيد فوق ثلاثة عشر ألف وستائة ثمانية وخمسين عموداً خشبياً . ويرجع السبب في ذلك إلى أن أمستردام تنخفض عن سطح البحر ببضعة أمتار .

مدينة ليدن :

تقع هذه المدينة بين أمستردام ولاهاي وهي مشهورة بجامعةها وعلى مقربة منها توجد مطبعة بريل التي تقوم بطبع الكتب البارزة للمكفوفين بجميع لغات العالم ومنها العربية . ويقوم بجانبها معهد الدراسات الشرقية وقد ألحقت به مكتبة كبيرة ضخمة كان لي حظ زيارتها للاطلاع على المخطوطات الشرقية المحفوظة فيها ، وذلك ضمن خطتي التي تستهدف البحث عن المكتبات الشهيرة . وقد فوجئت بمتحف مصري ماحق بالجامعة يضم قطعة من جدار كبير من أحد المعابد القديمة مغطاة باوح كبير من الزجاج إمعاناً في الحرص عليها ، هذا فضلاً عن تماثيل ومومياء مصرية . وقد بادرنى مدير المتحف الذي كان يصحبنى بقوله « ما رأيك في هذه السرقة ؟ » فأجبتته بأننا قوم كرماء لا نضن ببعض آثارنا لتكون عنواناً على مجدنا وتراثنا الخالد .

ولا تعليق لي على ذلك فالجواب عند علماء الآثار والقائمين على شئونها والحفاظ عليها .

هولنده سنة ١٩٥١ :

ثم قمت بعد ذلك بزيارة جزيرة ماركن الواقعة في شمال أمستردام فاجتزت الميناء بباخرة صغيرة Ferry وكان الطريق إليها معبداً وجميلاً حتى وصانا قرية فولندام ، ثم مررنا على قارب بخارى بطاحونة هواء عمرها ٣٠٠ سنة وبمناظر جميلة خلابة وبمزارع أنيقة واستغرقت هذه الرحلة نصف ساعة في بحيرة بدعوا في تجفيفها بالآلات الكبيرة ومقدر لها في اللحظة نحو

عشرين عاماً ليتم تجفيفها تماماً، ولم تفتنى فرصة زيارة بعض القرى
فدخلت أحد بيوت الفلاحين هناك فوجدته آية في النظافة والأناقة ولا يخلو
بيت منها من الصور والأطباق الملونة الجميلة . ومن تقاليد أهل جزيرة ماركن
ألا تزوج الفتاة إلا إذا قامت بعمل ستار الدانتلا من صنع يدها توضع فوق
الأريكة المخصصة للضيوف والمثبتة في جدار المنزل الصغير وهي شبيهة
بأسرة البواجر . أما الفتى [فعليه أن يقوم بصنع القبقاب الخشبي الذي يلبسه
وعندئذ يصبح أهلاً للزواج . والسن المحدد لزواج الشاب تراوح عادة بين
الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين، وتوجد بالبيت غرفة خاصة بالملابس
القديمة للأسرة مخفوفة في صناديق وكل رداء معلق على حدة بطريقة تسمح
بالعثور عاها في أى وقت . وهذه الجزيرة لا يتجاوز عدد سكانها ١٥٠٠ ولم
يحدث فيها طلاق على الإطلاق منذ ١٩٦٠ حتى الآن، ويرجع ذلك إلى اختلاط
الخطيبين قبل الزواج بسنين على الأقل، وهم حريصون جداً على عاداتهم
وتقاليدهم القديمة فهم يعيشون على صناعة الصيد وتتميز ملابسهم بالألوان
الصارخة ويرتدون الحونلات الطويلة صيفاً وشتاء لأنهم يعتقدون أن ما يقي
من البرد يقي من الحر أيضاً . ولا تستطيع أن تميز إناث الأطفال من ذكورهم
إلا بالقبعة وألوانها . وجميع الأطفال يحتفظون بشعورهم الطويلة الصفراء الفضية
حتى سن السابعة، والمعروف إجمالاً عن الهولنديين شدة تمسكهم بالروابط
الأسرية فهي مقدسة لديهم إلى أبعد الحدود حتى إن أحد الأغراب هناك قال
لي إنه لم يجد من يصادقه أو يجد محلاً يقضى فيه وقتاً مع أحد من أهل
الباد لأن كل أسرة منعزلة في بيتها . وأفراد الشعب هناك تبدو عايمهم مظاهر
الصحة والقوة ، والشيوخ منهم يركبون الدراجات لمسافات طويلة وهم
يستعملون القبقاب الخشبي المقفل (وهو الخذاء القوي) حتى لا تتسرب
الرطوبة إلى أقدامهم .

وجزيرة ماركن هي الجزيرة الوحيدة المفضلة من جزائر هولنده
ويمكن الاتصال بها أو زيارتها بعد عشرين عاماً، وهي المدة المقررة لخطة
تجفيف الجزء الباقي منها ويقدر بحوالى ٤٥٠٠٠ متر مربع والعمل في هذا

السبيل مجرى على قدم وساق، وهى تقع فى الجزء الشمالى من أمستردام وعلى الضفة المقابلة للجزيرة يوجد فندق (ساندز) وقد كان ولا يزال ذا شهرة عظيمة كما أنه ملتقى الفنانين وكل فنان أو مثال يقيم بها فترة من الوقت يهدى إليها إنتاجه أثناء إقامته، ولهذا أصبحت الجزيرة تزخر بمجموعة قيمة من الصور والتماثيل الجميلة لأشهر الفنانين وأصبح هذا الفندق أشبه بمتحف يحج إليه كل الفنانين، أما العاملات اللاتي يقدمن الشاى أو القهوة فى الفندق فهن تحفة رائعة من الجمال والأناقة بملابسهن الوطنية الزاهية، وفى الفندق ثلاثة أطباق بصور الملكة جوليانه فى مدخل الفندق يفتخر بها مدير الفندق لأنها صورة للملكة التى يقدسونها ولا يسمحون ببيع أى منها مهما بلغ الثمن .

الريف فى هولنده :

لا يكاد المرء يفرق بين المنزل فى الريف والمنزل فى المدينة إلا بموقع ذلك وسط المزارع الخضراء الشاسعة، فهو من الأناقة والنظافة بحيث لا يميزه عن مثيله فى المدينة إلا وجوده خارج المدينة . وعلى امتداد البصر بساط أخضر / تزينه وتحيط به أشجار كبيرة وبعض البيوت الحمراء اللون الهرمية الشكل أو طاحونة هواء تؤنس الفلاح فى عمله، فهو يعتبرها صديقاً نافعاً منذ الماضى حتى الوقت الحاضر .

طواحين الهواء :

وهى نموذج للاقتصاد وقوام حياة الفلاح . وتعبير حي عن تاريخ بلاده وكفاحها ضد طغيان البحر .

ولقد كانت الطاحونة الهوائية بالنسبة للأمريكي مظهراً من مظاهر الزينة فى حين أنها بالنسبة للهولندي جزء من تاريخ بلاده منذ القرن الثالث عشر . وكانت تستعمل فى طحن الجبوت ثم استخدمت بنجاح فى القرن الخامس عشر لأول مرة فى مدينة «سكوت هافن» Sassen Haffen فى عملية رفع المياه ونجحت، ثم استمرت عملية بناء الطواحين الهوائية فى هولنده على أشكال مختلفة واستعملت فى شتى المرافق ؛ للرى ومكافحة المياه والطحن والصناعة والزراعة ، الخ ،

وقد دمرت الحرب الثانية عدداً كبيراً من هذه الطواحين والموجود
الآن منها ومقيد في سجلات الحكومة لا يتجاوز الألف طاحونة .

لم أر أروع من منظر هذه الطواحين في الغروب ينعكس ظلها على
المياه وهي تشير إلى أن العمل انتهى بانتهاء اليوم وبدأت فترة الراحة وجمع
شمل العائلة التي يرتبط أفرادها بروابط الحب والمودة (صورة رقم ٢) .



(صورة رقم ٢)

وقد قالت لى سيدة زوجة أحد المهندسين الذين يعملون فى السودان
إنها تنظر إلى هذه السود والطواحين نظرة عاطفية لانظرة هندسية أو فنية ،
فالسود مثلاً تستعمل طرقاً سياحية جميلة ، والطواحين تجمل المزارع والأراضى
وتعتبر رفيقاً لطيفاً للفلاح الهولندى حتى وهى لا تعمل .

سوق الجبن فى الكمار :

لغير ما سبب تعطلت ساعتى ثلاثين دقيقة دون أن أعرف إن كان
موعد الأتوبيس قد حان للقيام برحلة من مكتب كوك فى أمستردام الساعة
التاسعة صباحاً ، ولكنى وصلت إليه فى الساعة العاشرة صباحاً فأصابنى
القلق والاضطراب نظراً لأهمية هذه الرحلة فضلاً عما دفعته رسماً لها
وعدم تهيؤ فرصة أخرى للقيام بهذه الرحلة فماذا أفعل ؟

ركبت القطار الذى كنت قد اعتدت أن أركبه فى ذهابى وعودتى
كل يوم للیدن ولاهاى ، فوصلت فى الساعة الحادية عشر والنصف محطة
الكمار ثم ركبت « تاكسى » أخذت يدور بي فى البلد حتى عثرت على الأتوبيس
المنشود وكان به حوالى ٣٠ سائحاً من مختلف الأمم . وقد رافقنى الدليل
وكان من النوع الجاهل الثرثار بعد أن استأذن من مجموعة السائحين لكى
أشهد السوق وهو يقع فى ميدان واسع فى قلب المدينة وتوجد به ساعة كبيرة
تعان الوقت بأنغام موسيقية جميلة وفى كل دقة من دقائقها يخرج من البرج
فى أعلاها فرسان على صهوات الخيل يظنون واقفين حتى تنتهى الدقات .
كما تعان الساعة عن أسعار الجبن المعروض .

أما أنواع الجبن فهى موزعة على حوامل خشبية يحملها رجلان يرتديان
الملابس البيضاء الناصعة الصنع مطرزة باللون الأحمر أو الأخضر ليتناسب
كل لون مع نوع الجبن المعروض ويقام المزاد على كل مجموعة على حدة .

أفيفونا Avifona :

في أثناء التنظاري في مطار أمستردام كنت أتحدث مع أحد موظفي المطار عن هولنده التي كنت أزورها لأول مرة وعينت له بعض الأماكن التي حضرت خصيصاً لزيارتها مثل جامعة ليدن ومدينة الكمار الشهيرة بمصانع الجبن التي تصدره بأنواعه إلى الخارج (والزبد رزى) وهو آخر السدود التي أقيمت في هولنده ضمن مشروع تخفيف الأراضي لتحويلها إلى أراض زراعية وهنا أظهر الموظف دهشته قائلاً: « ألم تفكرى في زيارة حديقة أفيفونا » فاعتذرت آسفة لأنه لم يحدث أن ذكر لى أحد شيئاً عن هذه الحديقة، فقال: كيف؟! إنها من المعالم المشهورة في أمستردام وعزمت أن أزورها قبل سفرى، وسرعان ما ركبت الآتوبيس صباح اليوم التالى إلى خارج الميناء الحميل ووجدت الطريق ميسراً للوصول إلى هذه الحديقة الرائعة، ولم تكن حديقة واحدة كما فهمت لأننى ألفت نفسى وسط حدائق زاهرة يانعة رائعة وبحيرة صناعية، كما رأيت مبنى صغيراً قيل لى إنه بيت الرجل الذى أنشأ هذه الحدائق، وكان رجلاً رقيق الحال يعمل حداداً ثم وأتته الظروف الطيبة والحظ الحسن فأثرى بعد إملاق، وكان هذا الحداد مشغولاً بحب الطيور فجمع منها أنذر أنواعها وابتكر أحدث الوسائل لعرضها . وفى الجانب الأيمن من الحديقة الوسطى يجد السائح ممراً طويلاً سقفه مزخرف وتعلوه الخضرة والزهور المتساقطة على جدران المعمر . ويوجد فى الجدار عدد من النوافذ مربعة الشكل تضم مجموعات من العصافير الملونة وفى كل نافذة نوع خاص يختلف عن النوع الآخر، ومن العجيب أنك لاتسمع لهذه العصافير والطيور أصواتاً أو زقزقة، ولكن يوجد بجانب كل نافذة زر إذا ما ضغط عليه الزائر سمع أصوات مجموعة منها، وإذا ضغط زراً آخر سمع من النافذة أصواتاً أخرى لمجموعة أخرى وهكذا، وهى طريقة فريدة فى نوعها لم أجدها لها شبيهاً أو نظيراً فى كل البلاد التى زرتها .

فاجنجنج :

تبعد هذه البلدة عن أمستردام بنحو ٨٠ كيلو متراً وهي مركز زراعى كبير فى هولنده تضم كليات الزراعة والمعاهد الزراعية والمعامل العظيمة وتكاد تكون الوحيدة فى نظامها ، وقد فال لى أحد أساتذة كلية الزراعة بالقاهرة إن الشعب الهولندى ينفق ببذخ وسخاء على التعاليم الزراعى سواء فى الكليات أو المعاهد .

مشاهدات فى هولنده :

الشعب فى هولنده جاد يؤدى عمله فى نشاط ودقة وأمانة والحياة العائلية فيها تعتبر نموذجاً طيباً .

الطلبة فى هولنده :

ففى فاجنجنج وأمستردام استرعى انتباهى سلوك الطلبة الجامعيين فى الشوارع بملابسهم الغريبة، وقد قالت لى إحدى قريباتى هناك وكانت فى بعثة دراسية مع زوجها إنه عند التحاق الطالب بالجامعة لابد أن يكون عضواً فى أحد النوادى الرياضية، ومن شروط هذه النوادى أن يحاق الطالب شعره حتى يصبح (يول برينر) ويرتدى فوق صاعته قبعة سوداء تشبه قبعة نابليون وعليه أن يطيع الأوامر طاعة عمياء، أما الطالبات فيضعن فوق رؤوسهن قبعات كبيرة من القش يحيط بها شريط طويل أخضر يتدلى على ظهورهن، ومهما كانت الأوامر التى تصدر سديدة صارمة فإن الجميع ينفذونها بكل دقة .

وفى رأي أن هذا تفليد طيب لأن الطلبة والطالبات فى هذه السن يستولى عليهم الغرور الذى يؤدى فى أغلب الأحيان إلى الرسوب ومايلى الرسوب من إخفاق فى الحياة . وإذا لم ينفذ الطالب أو الطالبة هذه الأوامر فلا يحق له الالتحاق بأى لناد رياضى بل يعتبر من النوع الجبان وينظر إليه الكل نظرة التحقير والامتهان :

الريفيرا الهولندية : سفيفنج Schivining

ركبت القطار السريع من أمستردام إلى لاهاي للمرة النائية لتضية بضع ساعات في مصيفها المشهوراً، وكنت قد قرأت عنه وسمعت به من سفارتنا هناك . وعندما طلبت من سائق السيارة أن يصطحبني إلى سفيفنج وجدت صعوبة في تفهيمه الاسم فسألني ماذا تقصدون القديمة أو الحديثة ؟ فقلت له القديمة ، لأنني كنت حريصة على التعرف على الأحياء القديمة في هولنده أولاً ، وفعلاً قادني إلى حي الصيادين فوجدت نفسي بين المباني والبيوت الصغيرة التي زرتها في جزيرة ماركن وفولندام، رأيت السيدات يرتدين الجونلات السوداء الطويلة الفضفاضة والشيلا المشغولة باليد من الصوف الأسود على أكتافهن والغطاء الأبيض الناصع للرأس مثبت بالدبوس المذهب والأحذية السوداء الطويلة للوقاية من البرد ، والكل في حركة سريعة سواء من كان يركب الدراجة أو من يصحب أولاده أو يحملهم ، والكل يبدو عليه معالم الصحة ؛ عيون زرقاء صافية براقه ، وخدود وردية على بشرة بيضاء تكاد تكون شفافة .

تركت حي الصيادين بعد أن اشتريت بعض التذكارات إلى الحي الحديث ويسمونه حي السياح .

وعلى ذكر السياحة فالموسم السياحي في هولنده يمتد من شهر أبريل حتى شهر أكتوبر .

مررت على كورنيش جميل عليه مجموعة من الفنادق حديثة البناء ذات حدائق وميال عامة غاية في النظام والنظافة . وفي أول جزء بعد الحي القديم وجدت حديقة للملاهي أنيقة فيها كل الألعاب المسلية للأطفال ، وللكبار أنواع الصيد والرمية .

ثم وجدتني في احتياج إلى الراحة قليلاً وكانت الشمس قد أوشكت على المغيب ووجدت مقاعد من القش ذات مساند تنهى على شكل مظلة تقى

الجالس عليها من المطر والشمس ، وهى جميلة الشكل متقنة الصنع ، متناثرة على الرمل الأبيض الذى يشتهر به هذا المصيف الجميل فى هولنده ويعرف بالريفيرا الهولمدي .

وبعد دقائق من الجلوس على هذا المقعد المريح وجدت طفلة لا تتجاوز الخامسة تجرى نحوى وتختصنى وعلى فمها ابتسامة عريضة .

وأخذت تكلمنى بعينها وأيديها فأنست لها وأعطيها قطعة من الحلوى كانت معى ، وكانت والدتها تبحث عنها حتى عثرت عليها بين ذراعى فحيتنى بلغة إنجليزية ركيكة ، وحاولت أن تعتذر عن اقتحام ابنها خلوتى ولكنى كنت مسرورة بها جداً ، فقد فكرتني بابنتى التى كانت فى سنها وتقيم فى القاهرة ، وكانت معى الكاميرا فأعطيها للسيدة وأخذت صورة تذكارية مع الطفلة الهولندية التى آنست وحدتى بابتسامتها وتحياتها الصامنة اللطيفة .

ومما يبعث على البهجة جمال المرأة الهولندية ونظافتها ونضارة وجهها الذى ينبئ عن الصحة والعافية ، وهذا ولاشك يرجع إلى أسلوب المعيشة أولا والنظام ثانياً والتغذية الصحيحة ثالثاً ، وهذه أمور يهتم بها شعب هولنده عموماً سواء فى المدينة أو فى الريف . ومما لاحظته أن المصنوعات الهولندية والتذكارية أرخص منها بكثير فى البلاد الأخرى وخصوصاً العرائس الصغيرة ذات الملابس الوطنية والساعات الخشبية والحلى المصنوعة من الفضة . وتعرض هذه الهدايا فى كل مكان وبطريقة جذابة تغرى السائح بشرائها .

لقد لمست ارتفاع مستوى المطبوعات السياحية فى هولندا ولما بحثت عن السر فى ذلك وعلمت أنها تطبع تحت إشراف ورقابة شديدة من الدولة سواء فى الإنتاج أو التوزيع .

وفي كل عام تجرى مسابقة كبيرة بين جميع النشرات التي تصدرها اتحادات السياحة الفرعية لمعرفة أحسنها وأقدرها على اجتذاب السياح للبلاد وتؤلف لجنة من مدير السياحة رئيساً وبعض مندوبي شركات الطيران ومديري مكاتب السياحة وإخصائي في فن الطبع والتصوير أعضاء . وتختار هذه اللجنة النشرة الفائزة التي تمنح دبلوم شرف وجائزة رمزية ، وتنافس اتحادات السياحة الفرعية لإنتاج أحسن النشرات للحصول على هذه الجائزة والفوز الأدبي .

وهناك نقطة أخرى على كثير من الأهمية بالنسبة لهذه النشرات فالمتخصصون لا يعهدون بترجمتها إلى مواطنيهم الهولنديين مهما أتقنوا اللغات الأجنبية ورأيهم في ذلك أن المواطنين يمكنهم كتابة لغة صحيحة ولكنهم يفقدون روح اللغة الأجنبية وتعبيراتها ، ولهذا يلجئون إلى الأجانب المقيمين في هولنده على شرط ألا يكونوا قد قضوا فترة طويلة بعيدين عن أوطانهم فيفقدون اتصالهم الوثيق بلغتهم نفسها ، وروحها وصفاتها المميزة وبذلك تكون النشرة قريبة من أذهان أهل البلد التي توزع فيها فتفهم وتهضم ، وذلك هو الهدف المطلوب منها .

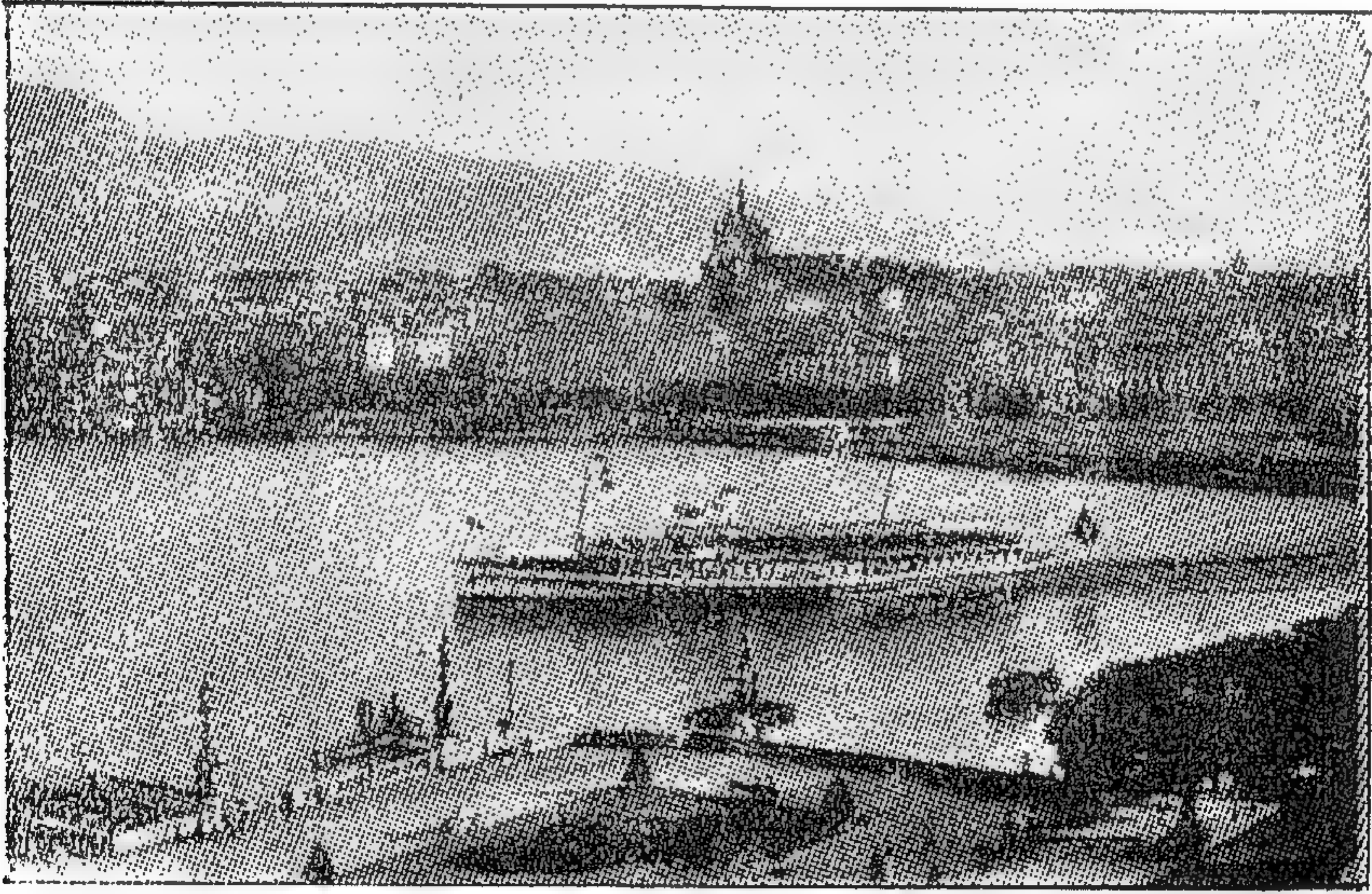
يبلغ عدد المكاتب السياحية الفرعية في هولنده نحو ٥٠٠ مكتب يعتمد في توزيعها على أهمية المكان من الناحية السياحية ومدى إقبال السياح الأجانب والوطنيين عليه .

ومما هو جدير بالذكر أن الوعي السياحي مرتفع جداً في هولنده بين السكان الذين يضحون بالكثير في سبيل تقديم الخدمات السياحية والترحيب بالسياح ، وتقديم المساعدات لهم إيماناً منهم وتقديراً لأهمية عنصر السياحة في تنمية الدخل القومي ، هذا بجانب الهيئات والاتحادات التي تتكون في البلاد من شخصيات بارزة وأصحاب مؤسسات وفنادق... الخ ، يتكاتف أعضاؤها جميعاً في الخدمات وسد نفقات هذه المكاتب .

ولا يقتصر دور هذه المكاتب على خدمة الزوار الأجانب وإنما تقوم أيضاً على خدمة الهولنديين في أثناء قيامهم بسياحة داخلية . وهى شائعة في هولنده ومعظم الدول الأوروبية حيث يفضل السكان قضاء أجازاتهم في مناطق جبلية أو على شاطئ البحر أو في أية منطقة داخلية أخرى ذات مزايا سياحية .

سويسرا

ثم امتدت رحلتى بالأتوبيس الذى اخترته بالذات لأشهد وأدرس طرق المواصلات السياحية المختلفة إلى سويسرا رائدة صناعة السياحة فى العالم، فقد صعدت إلى برن ثم جنيف، وللأولى طابعها الخاص القديم وهى مقر الحكومة الرسمية، أما جنيف فلأنها ذات جمال طبيعى رائع، فهى تقع على بحيرة ليمان البديعة وتشرف عليها جبال مون بلان الشاهقة، ومن طرائف ما رأيت بها واجهة لشركة دعاية مشهورة كنت أنوى الذهاب لزيارتها Publicita وهى عبارة عن رسم لمغارة على بابا وتتلو العبارة المشهورة (افتح يا سمسم) فتتفتح المغارة ويظهر منها صور ورسوم للدعاية والسياحة. (صورة رقم ٣).



(صورة رقم ٣)

وتعتبر جنيف من المدن السياحية التى لها المكانة الأولى فى سويسرا وتمتاز بحسن موقعها من البحيرة وكثرة ما ينفد إليها من السياح، وكذلك تجد لوحاتها الدعائية البارزة وخصوصاً منظر أنوارها فى السماء.

وقد قمت بزيارة الجامعة هناك فوجدت بها مجموعة مخطوطات شرقية في مكتبتها؛ منها العربي والتركي والفارسي وقد أهدتها للمكتبة إحدى الأميرات المصريات عندما كانت ابنتها تدرس في الجامعة .

وفي الطريق من مدينة بازل إلى Bern برن وجدت المناظر مختلفة نوعاً ما عنها في ألمانيا .

برن :

لشد ما أعجبت بالطابع الخاص بهذه المدينة القديمة والشوارع المتوازية بالبواكي التي تحاكي بواكي شارع القلعة عندنا وبها ممرات ضيقة . وعلى الأرصفة تحت تلك البواكي يأخذ بائعو الزهور والفاكهة مراكزهم . كما لفت نظري الكبارى العالية والمساكن النظيفة والحدائق الغناء تحتها على جانبي النهر .

ثم قمنا في الساعة السابعة صباحاً والجو جميل والمناظر الطبيعية تأخذ بالألباب، فاجتزنا بلاد الألب على ارتفاع ٣٠ ألف قدم، وكانت مظاهر الملح تبدو على السيدات الأمريكيات من المنحنيات العديدة في الطريق ويقطعها سائق الأوتوبيس بسرعة فائقة، وعلى الرغم من هذا الملح فقد أبدى إعجابهم الشديد بكفاءة السائق ومهارته الفائقة .

وقد دفعني الفضول إلى سؤال « اينسى » المضيغة اللطيفة عن سبب اختيارها لهذه الوظيفة بالذات فقالت إنها كانت تعمل في أحد الفنادق وهي تجيد ثلاث لغات بجانب لغتها السويدية وعندما قامت برحلة في أجازتها عشقت السفر وبدأت العمل كمضيغة منذ ذلك الوقت، ودرست الطرق والمدن التي تمر بها، ولما سألتها عما تتطلبه هذه الوظيفة أجابت أنه يجب أن تكون المضيغة باشة الوجه دائماً وأن تكون على علم بكيفية معاملة مختلف العقليات

من الركاب وأن تعمل على إرضاء رغبات كافة المسافرين مهما اختلفت طبائعهم وجنسياتهم فمنهم من هو سهل الخلق ومنهم الشرس والمشاكس ، ويتعذر في كثير من الأحيان إرضاءهم ، فن واجبها في هذه الحالة أن تجاريهم حتى آخر الرحلة دون اصطدام أو خلق متاعب . وتعتقد أن في هذا العمل تجارب ودراسة للعادات المختلفة والعقليات المتفاوتة وقالت إنها تعودت في عملها المثابرة وحسن التصرف ، وكنا قد وصلنا إلى مدينة (نيس) فصاحت المضييفة مهنئة الركاب بسلامة الوصول إلى المدينة التي اكتشفها الإنجليز منذ أكثر من مائة عام وكانت قرية صغيرة متواضعة .

وودعت المضييفة الركاب بكلمة رفيقة متمنية لهم إقامة طيبة ومؤملة أن تحظى بمرافقتهم لرحلات أخرى على نفس الخط .

في مطار زيورخ :

وفي الطريق إلى برج هببت الطائرة في مطار زيورخ وكنت أظن أنها مجرد استراحة لبضع دقائق ، ولكن اتضح أن تغيير الطائرة يتطلب الانتظار لمدة ثلاث ساعات في المطار ، ولم أكد أفكر في كيفية قضاء هذا الوقت (وكان يبدو على الإعياء والإرهاق) حتى وجدت أمانى آنسة لطيفة من المضيفات بالمطار تقدم نفسها لي بلغة فرنسية سليمة وتعرض علي الاستراحة في مكان ما في المطار فتبعتها إلى جناح نزلنا إليه ببضع درجات وهو مكون من ست غرف وصالون للحلاقة وصيدلية ثم قادتنى إلى إحدى الغرف فوجدت سريراً بداخل الغرفة وحماماً صغيراً وقالت لي المضييفة إنها سوف تخطرني بميعاد الطائرة وتركتنى أستريح ، وعندما شعرت بالراحة بعد ساعة من الاستجمام خرجت لأقضى باقي المدة في مشاهدة المطار الذي كان قد استرعت فيخامته نظري ، فشهدت النظام والنظافة وحسن المعاملة كما لاحظت كثرة عدد المضيفات ومظهرهن الأنيق وهن يعرضن خدماتهن على المسافرين ساعة ونصف ساعة بالطائرة بين زيورخ وبراج وقد وجدت فرقاً شاسعاً بين

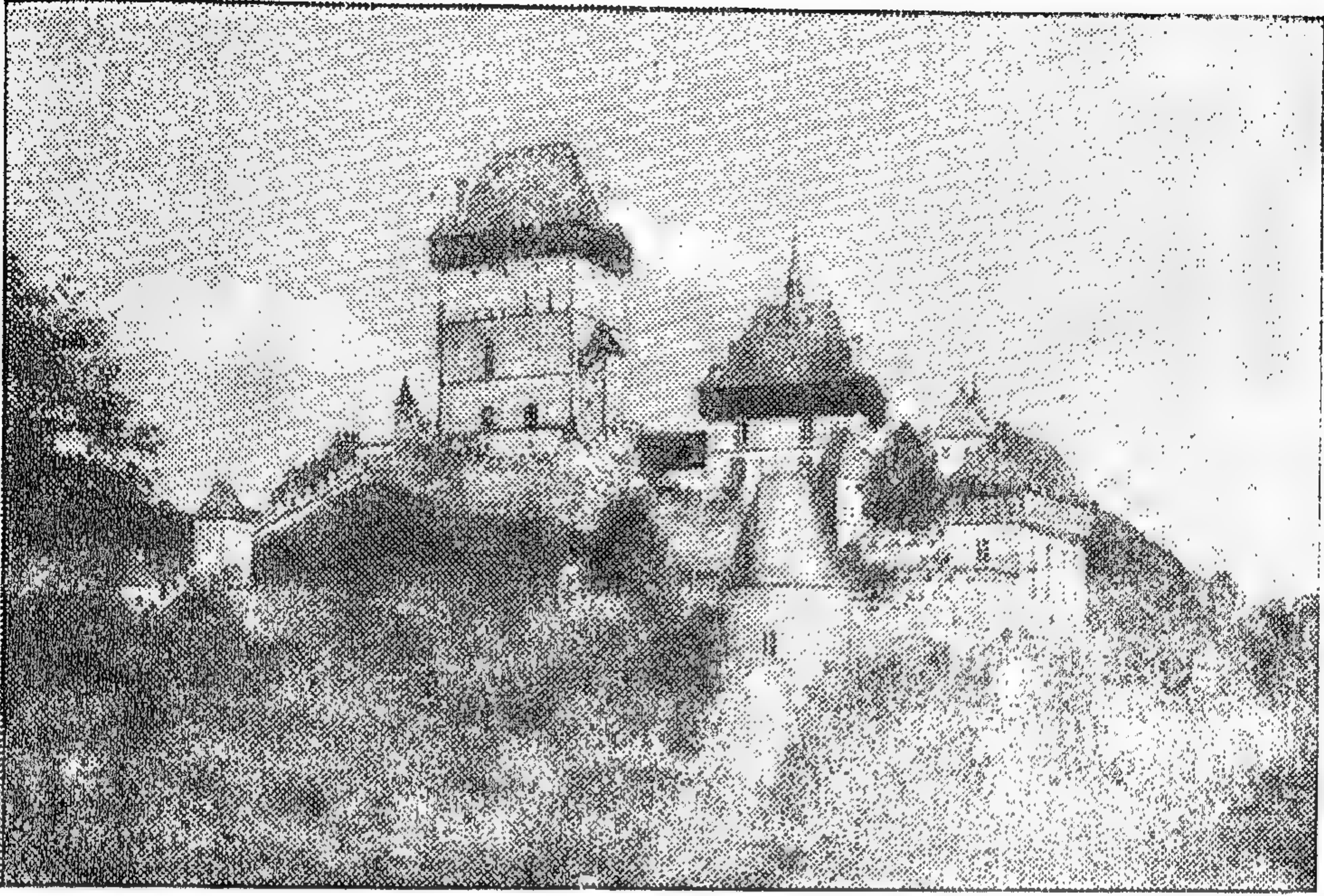
المطارين من حيث الفخامة والحركة والإضاءة وعدد الموظفين ، كما كنت أمر عبر (ترانسيت) براج بأتوبيس شركة الطيران إلى الفندق أنترناشيونال خارج المدينة وكان من حسن حظي أن وجدت غرفة بحمام وكانت الساعة حوالى الحادية عشرة مساء .

ثم قمت فى اليوم التالى لوصولى بزيارة شركة شيدوك للسياحة وهى تقع داخل مبنى كبير فى شارع رئيسى يتوسط براج ، وقد رحبت بى مساعدة المدير العام ومديرة العلاقات العامة التى يدخل فى اختصاصها البلاد العربية عندما قدمت لهما نفسى ، وأهديت إليهما بعض مطبوعاتنا السياحية وبعض الهدايا التذكارية التى كان لهما أجمل وقع لديهما .

ولما كان الوقت ضيقا وكانت أول زيارة لى لبراج فامت إحداهما بدعوتى إلى رحلة لزيارة المدينة والمتحف الأهلئ الذى يضم مجموعة من الأحجار الكريمة والصخور الجميلة ، وعندما انتهت الرحلة القصيرة رجعت إلى مكتب شيدوك وكانت مفاجأة لى أن قابلت السيد ماهدال مندوب السياحة عندنا وقنصل عام تشيكوسلوفاكيا فى الجمهورية العربية المتحدة ، وكنت قد تعرفت به واتصلت به وأنا أدير شركة مينا للسياحة ، وقد أمضى نحو خمس سنوات بالجمهورية العربية ، وقد صمم مشكورا على مد مدة إقامتى يومين للتعرف على معالم البلد خارج براج ولناقشة بعض المواضيع السياحية فى شركة شيدوك .

قلعة بدون حمام :

قمت فى صباح اليوم التالى برحلة منظمة بواسطة شركة شيدوك إلى قلعة شارل الرابع (القرن الرابع عشر) وهى تبعد ٣٠ كيلو مترا من من براج وأهم معالمها الكنيسة ذات السقف الذهبى المرصع بالأحجار الكريمة ، ولكن مما يبعث على الدهشة أنه لا يوجد بها حمام واحد (صورة رقم ٤).



(صورة رقم ٤)

ليديس Lidice :

زرنا الضاحية التي دمرها النازي سنة ١٩٤٢ وقد تسابق في تكريمها كثير من البلاد الأجنبية بإرسال باقات الزهور وخصوصاً أنواع الورود ومعها شعار كل بلد وقد نسقت ببراءة في حديقة الصداقة والسلام وقد أعيد بناء منازلها ومتاجرها من جديد وظهرت في المتحف العام وفي الحديقة مخلفات الدمار .

ذهبنا بعد الظهر إلى برج وكان قد حان موعد زيارة سفارتنا، فذهبت إليها وقابلت السيد السفير وكان حديثنا يدور حول السياحة وألفيته متحمساً لموضوع السياحة وأبدى إعجابه بما شهده من استعداد في مختلف البلاد في المجال السياحي وإن رأيه أنه من واجب مصلحة السياحة أن تقوم بتدريب بعض موظفيها ليكونوا مرشدين لإخصائيين ذوي ثقافة سياحية مع إجادة اللغات الأجنبية .

ثم قص على قصة وزير السياحة النيوزيلندى الذى دعا موظفيه لرحلة إلى الخارج وأصدر تعليماته بأن يعاملوا عند العودة كزوار أجنب وأن تطبق عليهم الإجراءات المعمول بها فى بلدهم، وفعلا طبقت هذه الإجراءات عليهم بكل دقة ولكنهم احتجوا على هذه المعاملة الشاذة ورفعوا شكواهم إلى الوزير الذى طلب إليهم تعديل قوانين السياحة وتبسيط الإجراءات بما يقضى على ما لمسوه من مضايقات ومتاعب وتعقيدات، وبما يكفل للسائحين الراحة ويحقق لبلادهم حسن السمعة فى الخارج وينشط الحركة السياحية ، ولم يلبثوا أن لبوا رغبات الوزير ولم يتركوا المكاتب إلا وكانوا قد قاموا بما كلفوا به .

بريطانيا

الانجليز في بلادهم :

الإنجليز شعب يجرى فى عروقه دم النظام والحرص على التقاليد والعادات الموروثة، فى كل ناحية وفى كل مرفق من مرافقهم تجد النظام سائداً فى كل تصرفاتهم، ومن المظاهر البارزة هذه الطوابير الطويلة كل ينتظر دوره دون مزاحمة حتى أمام بائعى الفاكهة والخضر الجاثلين على عرباتهم يقف المشترون فى طابور دون ملل أو تهرم .

ولعل شغفهم بالألعاب الرياضية التى يمارسونها منذ أقدم العصور هو الذى غرس فىهم هذا التقليد الطيب .

أما الحرية والديمقراطية فحسبك أن تشهدها فى الأماكن العامة وبالأخص فى حديقة « هايد بارك » التى لا تحتاج إلى تعريف .

إن الإنجليز قوم يقدرون الحرية ويتعشقون الديمقراطية وإذا بدأ لك أن فى خلائقهم ترفعاً أو كبرياء أو صلفاً فهذا إنما يحسه الأجنبى ، أما فيما بينهم وبين أنفسهم فالعكس هو الصحيح . ومن بواعث الأسف أن هذه الصفات الطيبة والأخلاق الكريمة لا يمارسهما القوم إلا فى بلادهم فقط ولكنها فى رأيهم غير صالحة للتصدير ، فإذا خرج الفرد الإنجليزى من بلده إلى بلد آخر انقلبت هذه العادات والطبائع إلى عكسهما ، فالتعالى هو أسلوب حياته يمارسه مع الشعوب التى يستعمرها أو يحل بها ضيفاً غير كريم سواء كان ذلك تحت عنوان الحماية أو الانتداب أو بعبارة أصبح الاستعمار .

حديثه هايد بارك :

وفي مساء الأحد من كل أسبوع يبلغ النشاط والحماس ذروتها في هذه الحديقة إذ يتبارى الخطباء لاجتذاب أكبر عدد من الجمهور الذي يقبل على هذه التسلية التي لا تكلفه شيئاً . وإذا أدرك السامع الملل انصرف إلى البحيرة الجميلة .

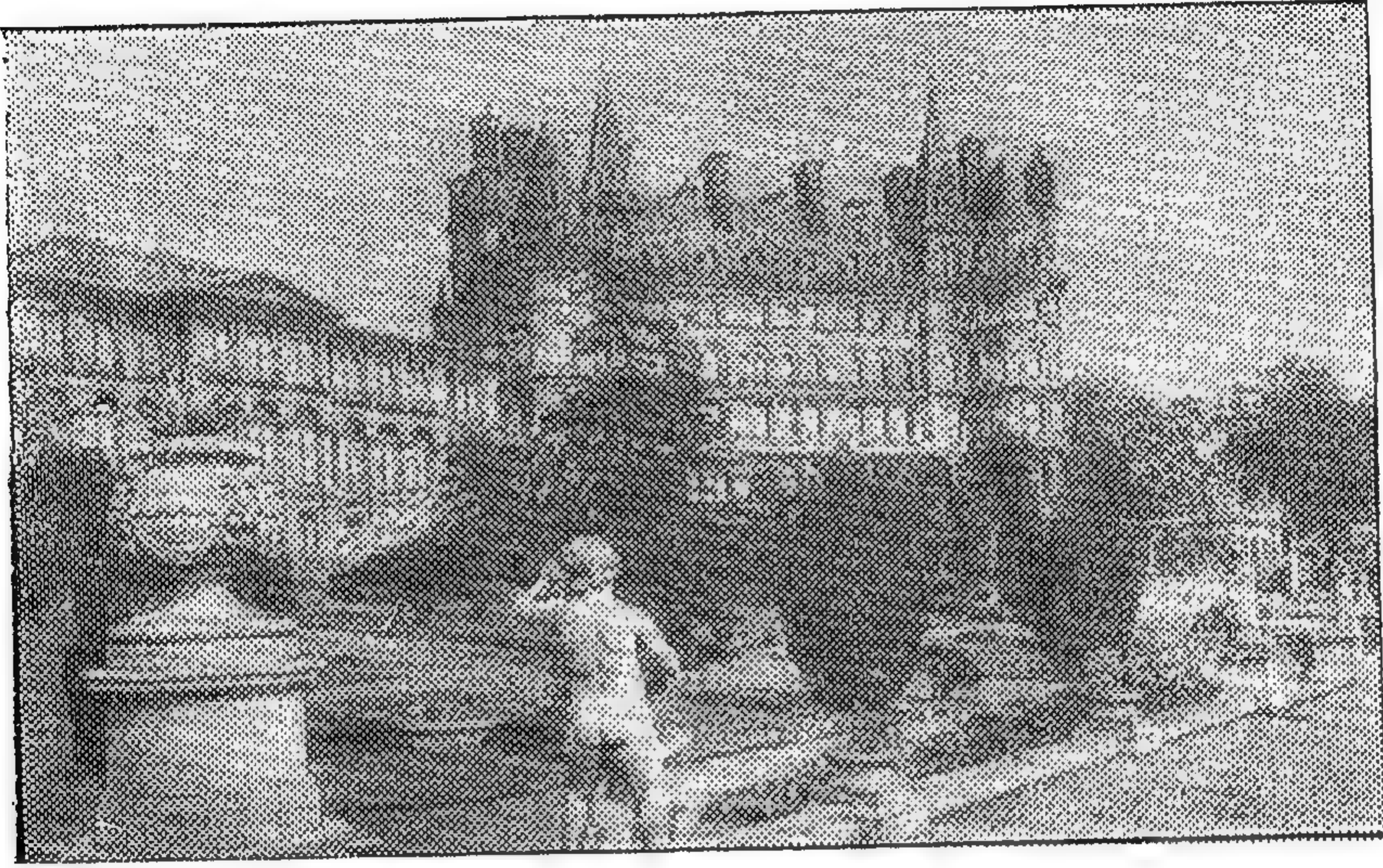
ويبلغ عدد المسارح في لندن ٥٦ مسرحاً وبها ٤٥ داراً للسينما ويعرض في هذه المسارح الروايات العالمية والأوبرات الإيطالية ورقص البالية والرقص على الجليد وقد يستمر عرض بعض المسرحيات شهوراً ، وهناك مسرح « وندميل » القريب من ميدان بيكاديلي ويعرض برامج من المنوعات عرضاً مستمرا من الصباح إلى المساء وتشمل هذه البرامج بعض التابلوهات الحية .

ومطاعم لندن متنوعة فمنها الشرقي والياباني والصيني واليطالي ويعتبر متحف الشمع من أبرز معالم لندن، ويطلق عليه متحف مدام توسو ويعتبر أكبر متحف من نوعه في العالم . وهناك قلعة وندسور التي تطل على نهر التيمس وقد شيدها وليم الفاتح وقد ظلت مقراً للملك زهاء ٨٥٠ سنة، أما كنيسة سان جورج فهي تقع أمام القلعة وقد أقيمت في القرن الخامس عشر وتضم منصة نصبت عليها أعلام النصر ومجموعة أربطة الساق كما تضم عدداً من المقابر الملكية ، وقد أمضينا فيها يوماً كاملاً وتناولنا الغداء في مطعم يجاور الجسر الخشبي القديم الذي يعتبر من معالم المدينة العريقة التي ما زالت تحتفظ بطابعها القديم .

رحلة :

ومن أجمل الرحلات التي قمت بها في إنجلترا سنة ١٩٥٥ تلك الرحلة النهرية في التيمس إلى « هامبتون كورت » قصر الملك هنري الثامن الذي يقع في ضاحية جميلة ، وقد استغرقت هذه الرحلة يوماً كاملاً ، وهناك سيارات

أوتوبيس مريحة منتظمة تسير بين لندن وهذه الضاحية، وهى بطبيعة الحال أسرع من الباخرة النهرية . وإلى جانب فخامة و ضخامة القصر الملكي فإن هناك حدائق الملكية وهى تشبه « بيت جحا » بممراتها الخضراء الجميلة (صورة رقم ٥)



(صورة رقم ٥)

وتعتبر لندن من أكبر العواصم العالمية ، وهى غنية بمتاحفها وكنائسها القديمة وشوارعها ذات الشهرة الذائعة مثل أكسفورد ستريت وبوند ستريت وبيكاديلي سيركس Circus وماريل أرش وميدان (ترافلجار) Troffgar كما أنها تزخر بالمناجر الكبرى التى يجد فيها المرء جميع أنواع السلع كما يجد بها المطاعم المختلفة .

ومن أشهر معالمها برج لندن المعروف وهو حصن قديم من آثارها الباقية على الزمن منذ العصور الوسطى ، وقد استخدم هذا البرج فى عصور مختلفة كقلعة وقصر ملكى وسجن من سجون الدولة وهو يضم الآن جواهر التاج البريطانى ويقوم على حراسته جنود يرتدون زيا تقليديا من أزياء العهود القديمة .

ومن أجمل حدائق لندن العديدة والتي تغني بجمالها الشعراء حدائق كير
التي تشغل مساحة كبيرة لا تقل عن ٣٥ فداناً وتضم مجموعة نادرة من
النباتات :

وهناك حديقة منبر الشعب والحرية (هايد بارك) التي لا يمكن أن
تنسى ما تراه فيها وتشهده من العجائب والغرائب والمفارقات والخطباء.
يعتلون المنصات ويجتمع حولهم الناس ويستمعون لما يقولون ولا معارض
لأقوالهم وأفكارهم ومبادئهم .

وفي إحدى جولاتي لزيارة معالم لندن في أثناء انعقاد مؤتمر المكتبات
العالمية في مقر جمعية المكتبات كنت أجلس بجانب سيدة إنجليزية أتناول
الشاي في مكان قريب فسألني السيدة . « من أي البلاد أنت وما هو عملك ؟ »
فأجبته بأنى مصرية وأعمل أمانة مكتبة كما أنى عضو مجلس إدارة جمعية
المكتبات فسرت الدهشة على وجهها وقالت « هل تسمحين لى بسؤال
بسيط ؟ » فقلت تنصلي . قالت « هل يوجد فى بلادكم مكتبات . وإذا
كان الأمر كذلك فلماذا ؟ » .

فلم أستطع كتمان غضبي وانفجرت قائلة كيف تسمحين لنفسك بتوجيه
هذا السؤال والمضروض أنك أمانة مكتبة ؟ ألم تقرئى أو تطلعى لتعرفى أن
بمصر أقدم جامعة فى العالم وهى جامعة الأزهر وأن عندنا جامعات تقف
على قدم المساواة مع أرقى جامعات العالم . فما كان من السيدة إلا أن قدمت
اعتذارها وأبدت عذرها لعدم وجود مكاتب سياحية أو مراكز إعلام يمكنها
الاتصال بها والاطلاع على ما فيها، ووعدت بدراسة تاريخ مصر القديم والحديث
حتى لا تقع فى مأزق بعد ذلك . وتقبلت عذرها واعتذارها وتصافحنا .
والكلمة الآن للقائمين على شئون الإعلام والدعاية .

مكتبة اليونسكو :

هذه المكتبة العالمية ليس لمصر فيها من يمثلنا ولو بأمين أو أمينة مكتبة كما لا يوجد بها كتب عربية أو دائرة معارف مصرية في حين أن القائمين على شئون الإعلام عندنا حريصون أشد الحرص على نشر الدعاية لجمهوريتنا في كل ركن من أركان المعمورة، فما بالناس وهذه المكتبة من أهم ما ينبغي أن نكون على اتصال به بأية صورة من صور الدعاية .

وإيفاد مندوب كأمين مكتبة يمثلنا في هذه المكتبة فيه الخير كل الخير لبلدنا . فهو إلى جانب اعتباره وسيلة لنشر الدعاية عن طريق الكتب والنشرات والملصقات يضع تحت أنظار رواد هذه المكتبة صورة مشرفة لنهضتنا العلمية والثقافية والاجتماعية ويفند المفتريات والأكاذيب التي يبثها أعدونا في كل ميدن ومجال . ولعل فيما ذكرته هنا أكبر دليل على ذلك ، فقد سألتني إحدى أعضاء المؤتمر هناك . هل توجد لديكم مكتبات وإذا كانت فمن ذا الذي يطالع على ما فيها ؟ .

ومن بواعث الأسف أنه حدث في الاجتماع الذي عقد بهذه المكتبة أن طلب إلى كل مندوب أو مندوبة أن يؤدي أغنية أو نشيد بلغة بلاده . فقام بالغناء أو الإنشاد كل مندوب أو مندوبة سواء من الصين أو إيطاليا أو ألمانيا أو غيرها من الدول، ولما جاء دورنا لم يستطع أحد أن يقدم شيئاً من أغاني وأناشيد بلدنا وكان (دشا بارداً) ولا أقول فضيحة أو كارثة .

مستشفى برمنجهام للأسنان :

شكا أحد الزملاء في البعثة الصينية من ألم في أحد أضراسه فقامت هيئة المدرسة على الفور بالاتصال بالمستشفى الذي رحب بالمريض وأحيل على الطبيب المختص وحجزت له غرفة آية في النظافة والنظام . وقد أمضى فترة علاج قصيرة تحوطه الرعاية والعناية ولم يقف العلاج دون اتصاله بالبعثة وتلقى المحاضرات ، وكان موضع الرعاية الصحية والعلمية في هذه الفترة .

زيارة بيت شكسبير :

شهدت مسرحية يوليوس قيصر على مسرح شكسبير في ستراتفورد أن آفن مسقط رأسه، وهو مسرح ضخم فخم تمثل فيه جميع مسرحيات الرجل الخالد كل عام في أثناء الاحتفال بعيد ميلاده في الموسم السياحي .

أما بيت الرجل العظيم فهو غاية في البساطة والتواضع وقد احتفظ به وبكل ما فيه منذ وفاة صاحبه وقد أصبح متحفاً يضم جميع ممتلكاته حتى الطاحونة وحظيرة المواشى وحظيرة الدواجن . وجميع أهل القرية يحفظون تاريخ هذا الشاعر الفذ كما لا ينسون فضله حتى بعد وفاته في إحالة قريتهم إلى مركز سياحي هام يؤمه معظم من يزورون بريطانيا . كما أنهم يقابلون كل من يفد إلى بلدهم بأجمل مظاهر الحفاوة والترحيب .

زيارة قصيرة لأدنبرة :

أدنبرة بلد جميل لطيف يعاوه جبل تقوم فوقه قلعة أثرية تقام فيها الحفلات في الموسم السياحي كما تقام المهرجانات الموسيقية في أنحاء البلاد .

وكان في برنامجي أن أزور هذه البلدة لمدة يومين اثنين لمقابلة أحد أقاربي فيها ولكنني إزاء هذه المهرجانات التي شدتني إليها الدعاية الضخمة التي تعلن عنها والتي قرأت عنها في أثناء وجودي في لندن، حرصت على مشاهدة هذه الحفلات التقليدية في قاعة الجبل وكان الحصول على تذكرة لمشاهدتها من أصعب الأمور وقد وفقت في الحصول عليها .

وأقيمت الحفلة في المساء في ضوء الأنوار الكاشفة القوية، وكان منظراً رائعاً ذلك الاستعراض العسكري الذي قدم في داخل القلعة ، فهو يضم جنوداً في زي فرسان القرون الوسطى يرتدون الملابس التقليدية ويمتطون صهوات الجياد التي دربت على الرقص الإيقاعي وموسيقى الفرق المعروفة تصدح بأنغامها الحميلة ويرتدى أفرادها الزي التقليدي المشهور .

وكانت لحظات سعيدة تعمّت بها ولم آسف على قضاء بضعة أيام أخرى في هذه المدينة الجميلة والتي لم تدخل ضمن برنامجي المحدد لزيارتها .

ولم يفتنى أن أقوم بزيارة المكتبة الأهلية لهذه المدينة التي كنت قد سمعت عنها كثيراً فتوجهت إليها ووجدت فيها جناحاً خاصاً يحتوى على تاريخ هذه المدينة من الناحية الجغرافية والاقتصادية والسياسية في كتب ومخطوطات وصحف نشرت موجزاً عن المدينة منذ إنشائها .

كما خصص جناح آخر للمؤلفات الموسيقية العالمية وقد سرّني حسن التنسيق وجردة النظام وعلى الخصوص قسم الإعارة وما ابتكر فيه من نظام حديث وما خصصه من كتب ونشرات خاصة لربات البيوت بجانب القسم الخاص بالإعارة ومنطقة البحيرات . هذه المنطقة ساحرة تأخذ بالالباب فطرقاتها صاعدة هابطة ينحيل للمرء إذا مر بها أنه سيتعرض للخطر، ولكن مهارة سائقي السيارات تبعث الاطمئنان، ولاسيما أن الطرق معبده ممهده ليس بها فجوات ولا مطبات .

كما توجد بالمنطقة فنادق صغيرة تناسب هذه المنطقة الجبلية وبحيراتها الجميلة، وقد زرت في أثناء رحلتى استراحة مقامة خصيصاً للأسرة المالكة التي تقضى بها بعض الوقت للاستجمام (ريست هاوس) .

أسبانيا

كانت زيارتي لمدير خاطفة نظراً لاتساع أرجائها وما تحويه من متاحف وآثار وقصور قديمة تجعل الزائر يعيش في جو مدينتها الخالدة العريقة ويشعر بأنه ينزل في القلاع ويعيش في الدير التي حولها الحكومة الاسبانية إلى فنادق .

ولقد شيدت الحكومة إلى جانب تلك الفنادق فنادق أخرى عصرية مخصصة لراحة السائحين على الطراز الحديث .

ومدير مدينة ضاحكة فهي ذات شوارع واسعة مستقيمة حديثة، أما الأحياء القديمة فشوارعها ضيقة متعرجة ويغلب على أبنيتها الطراز العربي بشرافته الأرابيسك المعروفة، وفيها بعض المتاحف الفخمة والسوق المعروفة باسم (الراسترو) وهي أشبه بسوق الكانتو في مصر ، والتجار هناك يعرضون بضائعهم على عربات وبعضهم يعرضها على جوانب الطريق ، وتسمع عند الاقتراب من السوق أصوات الباعة وهم ينادون على بضائعهم ويتغنون بحماسة وجودتها لاجتذاب الزبائن ، مثلهم في ذلك مثل بعض البائعين عندنا الذين يتغنون بأصناف السلع التي يبيعونها ، والأسعار في هذه السوق أقل بكثير من الأسعار في المحال الكبيرة .

ويشتهر أهل مدير بحب الرقص على أنغام القيثارة والصاجات (الكاستانيت) كما اشتهر نساؤها باللون الحمري والملابس ذات الألوان الزاهية والشيلا الدانتلا ووضع الورود الحمراء في شعورهن السوداء الفاحمة .

ويقال إن سبب اختيار مدريد لتكون العاصمة يرجع إلى نزوات رجلين من حكام أسبانيا هما : الملك شارل الخامس الذى وجد فى هوائها الجاف علاجاً لمرض النقرس (روماتزم المفاصل) الذى كان يشكو منه ووالده فيليب الثانى الذى لم يجد مكاناً هادئاً أصحح من السهل المنبسط الذى يقع خارج المدينة فشيّد فيه قصره المسمى (اسكوريال) تخليداً لذكرى انتصاراته على فرنسا سنة ١٧٥٧ وقد بناه على طراز الأديرة التى تتميز بالمظهر الكئيّب الحزين .

الاسكوريال : القصر الحزين :

قرأت عن شهرة هذا القصر ومكتبته الضخمة التى تضم أكثر من خمسين ألف مجلد وآلاف المخطوطات ومنها عشرة آلاف مخطوط عربى ، وقد أسسها الملك فيليب ونقل إليها مكتبة سلطان مراکش كما جلب إليها مجلدات من مختلف البلدان .

بعد كل ما سمعت وقرأت عن ذلك القصر كنت حريصة على زيارته . ركبّت القطار من مدريد فى الساعة السابعة صباحاً إلى ضاحية الاسكوريال وتقع على بعد ٥٠ كيلومتراً شمال غربى مدريد ، وعلى بعد بضعة خطوات من المحطة وجدت البناء الضخم الذى سميت الضاحية باسمه وأضفى عليها شهرة جعل منها قبلة كل سائح وباحث ومؤرخ .

يحتوى هذا البناء على كنيسة ودير ومقبرة ملكية تضم رفات ملوك أسبانيا منذ فيليب الثانى بجانب المكتبة القيمة والمعهد الدينى . أما المتحف فيضم مجموعات من الملابس الكهنوتية الموشاة بالذهب والفضة والسجاد الفاخر الثمين المصنوع باليد والقلائس الدقيقة المصنوعة من ريش العصافير التى لم أر لها شبيهاً فى أى متحف آخر .

وتعتبر مكتبة الاسكوريال ثانى مكتبات العالم بعد مكتبة الفاتيكان من حيث المقتنيات النادرة وقد استرعى انتباهى فى أثناء زيارتى لها—وكنّت أعد

بحثاً عن المكتبات العالمية حين أوفدتني وزارة المعارف وقتئذ في عهد وزيرها الدكتور طه حسين في بعثة لزيارة المكتبات والوقوف على نظمها — طريقها الخاصة التي تنفرد بها وهي وضع المجلدات بطريقة علمية على الأرفف المغطاة بالسلك للهوية ، وأرقام المجلدات مكتوبة على نفس المجلد لا على الغلاف .

قضيت يوماً كاملاً في زيارة هذا المركز التاريخي الزاخر بفنه وتحفه وآثاره وذكرياته ، وقد بلغ من حرص القائمين على مكتبة الاسكوريال أنهم لا يسمحون حتى بمجرد الاطلاع على المخطوطات العربية واللاتينية إلا لذوى الشخصيات المعروفة في دوائر العلم والأدب أو بترخيص خاص من الجهات المسئولة ، وقد سمح لي بالاطلاع عليها نظراً للمهمة التي أوفدت من أجلها فضلاً عن بطاقتي الصحفية التي كنت أحملها كمندوبة عن إحدى الصحف المصرية الكبرى .

ولقد دهشت عندما اطلعت في الصحف المصرية التي تصل إلى سفارتنا في مدريد عقب زيارتي لهذه المكتبة على خبر مؤداه أن بعض جامعاتنا قد طلبت أن ينقل إليها مافي قصرى القبة وعابدين من كتب ومجلدات ، وأغلب الظن أنها من أثمن وأعظم ما أنتجته القرائح والعقول وعلى الأخص المخطوطات . وإننى أخشى أن تنقل هذه النفائس من أماكنها فتعرض للعبث . وفي رأيي أن تبقى في أماكنها ، وإذا كان لابد من نقلها إلى الجامعات فيجب أن يفرد لها مكان خاص ولا يباح الاطلاع عليها إلا لمن يقدر قيمة هذه النفائس من ذوى العلم والخبرة والمعرفة ، كما هو الحال في جامعة كمبريدج ، إذ أفردوا للمكتبة الملكية بهذه الجامعة مكاناً خاصاً لا يباح الاطلاع على شيء مما فيه إلا لطائفة الباحثين والعلماء وفي نفس الجامعة بإذن خاص .

مصارعة الثيران :

عند وصولي إلى مدريد عاصمة أسبانيا وجدت أحد أعضاء سفارتنا في صدد حجز تذكرة لحضور حفلة مصارعة الثيران مع بعض أعضاء أسرته

فتفضل بدعوتي ، كنت مترددة طبعاً لما سمعته من بشاعة عملية قتل
الثيران التي لم أود أن أحضرها ، ولكن أمام إلحاح الأصدقاء وشئ من حب
الاستطلاع السياحي وافقت ، وفي الساعة الثالثة مساء ذهبنا إلى « بلا تزا دي
تورو » الملعب الكبير الذي يؤمه آلاف من المشاهدين الأجانب ومن الاسبان
المعجبين بهذه الرياضة الشعبية التي يعتبرونها نوعاً من الرياضة ، بل أفضل
رياضة عندهم ويجدون فيها لذة كبرى .

وجدت أن أهم ما في هذه الحفلات المثيرة هو الجو الذي تدور فيه
هذه المصارعة وعندما ظهر الثور وبدأ الصراع بينه وبين المصارع
شعرت بدوار وانقباض وتبدد من أممي جو الحفلات والمرح ولم أشعر إلا
بآلام هذا الحيوان المسكين الذي يطارده « البيكادور » ويغرس في عنقه السيف
التريادور فتنزف دماؤه ويخر صريعاً بين تهليل وتصفيق المتفرجين ، ولشدة
دهشتي أن النساء الأسبانيات كن أشد ميلاً وحماساً لمشاهدة هذه المعركة
الدموية التي يسمونها رياضة .

ولم أستطع الاستمرار في مشاهدة أكثر من جولتين وانتابني الصداع
والألم فتركت الملعب واعتذرت للأصدقاء وعدت إلى الفندق ، والمفروض
أن كل حفلة يتم فيها إعداد ستة ثيران في ستة جولات متتالية ويمكن مشاهدة
هذه الرياضة في جميع مدن أسبانيا المشهورة مثل اشبيلية وغرناطة وسان سبستيان
خلال أشهر الصيف .

وأروع الحفلات الأسبانية هي الحفلات ذات الصبغة الدينية وترى
الملابس الوطنية الأسبانية والرقص الأسباني الذي يمتاز بالقوة والحركات
العنيفة التي تبرز الشخصية الأسبانية ، وكثيراً ما تضرب الراقصة بقدمها
في غضب كأنها تعبر عما يخالج نفسها من ثورة ضد القيود والتقاليد التي
تمنعها من العبث كما تعبث نساء أوروبا أو كما يعبث الرجال في أسبانيا

وتقام أكبر هذه الحفلات قبل أعياد الميلاد والفصح ، ولدى الشعب الأسباني عقيدة دينية راسخة ولا سيما المرأة التي مازالت تحافظ على الكثير من العادات الشرقية والحشمة واحترام التقاليد .

الثورة في أسبانيا تخلق المرأة الجديدة :

اشتركت في بعثة إدارة النشاط الاجتماعى لزيارة أسبانيا فى سنة ١٩٥٣ . وإن زيارة واحدة لمؤسسات « حزب الفلانج » النسائى تجعل كل من يزور أسبانيا يشعر بمدى الخطوة الواسعة التى خطتها المرأة الاسبانية منذ الثورة التى قام بها الجنرال فرانكو وبعض الضباط الأحرار فى مراكش الأسبانية وكان من نتائجها إعلان الجمهورية .

وقد كان أول ما زرناه من المؤسسات التابعة للحزب النسائى بيت الشابات الاجنبيات فى برشلونة التى تعتبر من أكبر مدن أسبانيا إذ أنها المركز الصناعى والتجارى للدولة .

وفى هذا البيت المعد لاستقبال الشابات الاجنبيات بأجر زهيد جداً تتوافر فيه كل أسباب الراحة ويقضى النظام أن تقوم كل طالبة أو موظفة من الزائرات بخدمة نفسها إذ لا يوجد خدم بهذه المنازل . وعلى كل طالبة أن تنقل حقائبها إلى الطابق الثانى ، وكان درساً قاسياً للمصرية المدللة إذ قامت بنفسها بنقل حقائبها الثقيلة دون الاعتماد على الخمالين .

أقيمت الحفلة المسائية الشهرية التى يقدمها البيت للتعارف يوم وصولنا بطريق المصادفة ، وقد قدمت الفتيات بعض رقصات شعبية لمختلف الأقاليم وبعض الأغاني الأسبانية وكانت حفلة ناجحة فيها شئ من المجاملة والترفيه عن الأجانب مع الدعاية الطيبة للبلد .

كما زرنا فى صباح اليوم التالى مركز التدريب الذى يقع فى سراى ملكية أهداها فرانكو للحزب النسائى ، وقد حولت إلى مدرسة كاملة بمعدات وملاعب الرياضية كما حولت حديقتها الواسعة إلى ملاعب رياضية .

وكان من العجيب أن نسمع في أثناء هذه الزيارة طرفاً من تاريخ المرأة الأسبانية وكيف ضحت وناضلت حتى استطاعت أن تخرج من الجمود والعادات القديمة لتقف إلى جانب الرجل في بناء الجيل الجديد بعد أن كانت قابعة في عقر دارها أشبه بقطعة من المتاع .

وقد علمت في أثناء وجودي هناك أن الجنرال فرانكو يحرص كل الحرص على حضور حفلات الحزب النسائي الأسباني ويشجعه ، كما أن عقيلته ترأس الكثير من مؤسسانه وتساهم في أهم قسم فيه وهو الدعاية وتوزيع النشرات وإذاعة أخبار الحزب وإقامة المعارض وحضور المؤتمرات في الخارج .

وقد خرجت من هذه الرحلة القصيرة وأنا سديدة الإيمان بأن في استطاعة المرأة أن تقوم بأعمال متواضعة ، إلا أن لها وزنها في كافة ميادين الحياة بجانب الرجل لقيامها في نفس الوقت بواجبها الأول كربة بيت وأم وزوجة .

وكم تمنيت أن تكون لمؤسساتنا وهيئاتنا النسائية في مصر مثل هذا النشاط والنظام الملحوظ في الميدان الاجتماعي مع الصبغة الدينية التي تلعب من غير شك دوراً هاماً في نجاح هذا الحزب الذي انتشرت فروع مؤسساته في أنحاء أسبانيا كلها وأصبحت بها مدارس وملاجئ وجمعيات تعاونية . . . الخ . وهي لا تقل في نظامها عن مصلحة حكومية دقيقة في أعمالها وإدارتها .

مدينة للملاهي على جبل :

قضينا يوماً مشيراً في برشلونة في مدينة الملاهي على جبل (تيبدابو) Tibidabo الذي تسلقناه بواسطة قطار معلق (فينكلير) وعند وصولنا إلى القمة وجدنا برجاً شاهقاً بمقاعد تعلو وتهبط بجهاز كهربائي وتشرف على « بانوراما » للبلد من أروع ما تقع عليه العين . وقد هوننا بمختلف الألعاب وركبنا قطار المفاجآت الذي يشرق الجبل مجهزاً بصور حية مضاءة بالألوان تبرز جمال أسبانيا والمناطق السياحية الشهيرة ومختلف المحلات التجارية الكبرى بحيث

لا تصدق أن كل هذه المنطقة أقيمت على جبل . وقد فكرت في جبل المقطم عندنا واستغلاله بنفس الطريقة في إقامة مدينة الملاهي .

أسبانيا ذات الطابع الشرقي :

انتهيت من زيارة المتحف الكبير (برادو) الذى يضم مجموعة من روائع لوحات أساطين الفن من هولنديين وفلامنكيين وإيطاليين ومجموعة لا نظير لها من أعمال جوبا والجريكو والفنانين الخالدين الآخرين

وعند مغادرة المتحف ظهراً لاحظت أن المحلات معظمها مغلق وعلمت أن مدريد تميل إلى القيلولة بعد الظهر في أيام الصيف نحو ساعتين أو ثلاث ساعات كما نفعل نحن في مصر ، فنجد الطرقات تكاد تخلو من المارة والحوادث والمحلات مغلقة حتى الساعة الخامسة مساء وليس هذا من باب الكسل أو الرفاهية ولكنها ضرورة من ضرورات الجو الحار كما هو الحال عندنا في مصر .

أما في الليل فيظهر سحرها حيث تدب الحياة في مدريد وتمتلئ المقاهي والمطاعم بزوارها ولا تبدأ الحركة فيها إلا بعد العاشرة مساء ، ولبعض هذه المطاعم فروع في الهواء الطلق تعمل في فصل الصيف ويستمر العمل والطعام والشراب والرقص فيها إلى الساعات الأولى من الصباح

ومن أوجه الشبه بمصر أيضاً منظر الأباريق المملوءة بالمياه التي توضع في الميادين والشوارع حتى يشرب منها من يشاء من المسارة كما ترى في أحياء القاهرة الوطنية .

أما بائع البطيخ في السوق التي تشبه سوق الكانتو عندنا فنجدته ينادى بأعلى صوته على بطيخة والسكين في يده ولا يبيعها إلا بعد أن يشقها ليثبت للمشتري جودة الصنف وأنه لم يكن كاذباً في ندائه .

وأحسن ما يشترى من أسواق أسبانيا المصنوعات الجلدية والمصنوعات الزجاجية أو الدفتلا الدقيقة الصنع .

الاتحاد السوفيتى

موسكو لأول مرة :

وصلت الطائرة إلى مطار موسكو فى التاسعة مساءً وكنت أحمل تأشيرة ترانزيت وكان ضمن برنامجى زيارة موسكو بهذه التأشيرة حيث كنت فى طريقى إلى الصين الشعبية بدعوة من الاتحاد النسائى هناك لحضور حفلات العيد القومى فى بكين، ثم القيام بجولة دعائية مع شخصيات مدعوة من بعض البلاد الصديقة للصين .

وطلب منى مكتب الاستعلامات بمطار موسكو أن أذهب إلى فندق خاص بالمسافرين إلى انسىت وهو قريب جداً من المطار ومن المدهش أنى لم أجد موظفاً واحداً بهذا الفندق يتكلم الإنجليزية أو الفرنسية أو أية لغة أخرى غير الروسية ، وكانت صدمة لى حين لم أجد فى الفندق أية وسيلة من وسائل التفاهم . وكانت الغرفة تحتوى على أربعة أسرة ولكنى كنت مصممة على زيارة موسكو مهما كلفنى الأمر خلال هذه الفترة القصيرة فعدت فوراً إلى المطار ، وكان المفروض أن أتناول العشاء فيه ببطاقة خاصة (فوتشر) وقابلت هناك مستر كوينشيب الهندى وهو من الشخصيات المعروفة وكان فى مأزق لأنه لا يحمل تأشيرة دخول فتعارفنا ولم يلبث أن اتصل بإحدى الشخصيات البارزة فى موسكو ليجد حلاً لمشكلته وطلب منى أن أنتظر معه هذه الشخصية السوفيتية ليعالج مشكلتى أيضاً، وفعلاً حضر الرجل وصحبنى معه إلى فندق (سوفيت سكاي) وكانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة مساءً وكان هذا الفندق من أكبر فنادق موسكو وبه قاعة كبرى للمحاضرات وقاعة استقبالات كبيرة خصصت للاجتماعات الرسمية وقدمنى الزميل الهندى لموظفة الاستقبال كمندوبة لمصلحة السياحة المصرية فهيأت لى غرفة فاخرة الطابق الأول، ومما لا حظته أن كل طابق قائم بذاته

وله موظف استقبال خاص ، كما يوجد بالفندق مكتب استعلامات وخدمات في الطابق الأرضي للفندق، وقد طلبت من هذا المكتب في صباح اليوم التالي أن يتفضل بالاتصال بسفارتنا في موسكو وطلبت منه أيضاً بياناً عن بعض المعالم السياحية التي اعترفت زيارتها ، وكذلك الاتصال بمكتب هيئة (الانتورست) السياحة السوفيتية ، ثم ذهبت لزيارة سفارتنا في موسكو ومنها اتصلت تليفونيا بواسطة السكرتيرة الخاصة الروسية للتفاهم مع الشخصية السوفيتية التي قدمت لي هذه الخدمة ، وكان في نيتي أن أقدم له ولابنه الطالب بجامعة موسكو والذي كان يصحبه حين قدم إلى المطار هدية رمزية ، لكنه اعتذر بلباقة مؤكداً أن ما قام به إنما هو من صميم واجبه نحو أي زائر خصوصاً إذا كان من مصر الصديقة وتني لي إقامة طيبة في الاتحاد السوفيتي .

ثم رافقتني الأنسة الموظفة بالسفارة المصرية في زيارة المتحف الزراعي الدائم وهو يعتبر من أقوى الأدلة على تقدم روسيا ونشاطها في المجال الزراعي والصناعي ، وقد بهرني جمال النافورات والتماثيل الزاهية القائمة وسط المباني في حديقة واسعة تتميز بطابعها الخاص وكل جمهورية من جمهوريات الاتحاد السوفيتي أقامت ما يرمز إليها من منتجات وصناعات . . . الخ .

رعاية المرأة في روسيا :

وبرغم ما تراه من تقدم المرأة ومساواتها بالرجل حتى في الأعمال الشاقة سواء في الزراعة أو الصناعة أو في العمل أو في الحقل ، لم تغفل الدولة أنوثة حواء ، إذ خصصت للمتقدمات في السن والحوامل عدداً من المقاعد الأمامية في الأوتوبيسات ، كما منحتهن امتيازات أخرى في الصعود والنزول من الباب الأمامي على حين يقضي العرف السائد هناك الصعود من الباب الخلف والنزول من الباب الأمامي .

وفي اليوم التالي قبل مغادرة موسكو قمت بزيارة مكتب (الانتورست)
فقابلني نائب المدير ومدير القسم الخارجي ، قال : ، الهمما بعض مطبوعاتنا

السياحية . وقال لى المدير إن المنظمة حديثة العهد إذ أنشئت منذ سنة ١٩٥٣ ولكنها تشعبت . كل أنحاء الاتحاد السوفيتى ، ولما استفسرت منه عن اختصاصاتها أجاب بأنها تشرف على شئون السكك الحديدية وشركات الطيران وبعض الفنادق الخاصة ، وقال إن المنظمة ترحب بتبادل السياح بين البلدين ثم دعانى إلى القيام برحلة فى الاتحاد السوفيتى ولكنى اعتذرت آسفة لارتباطى بزيارة الصين الشعبية .

ثم صحبتهى المرافقة اللطيفة إلى المطار وكنت أحمل معى عشرين كيلو من حلوى المولد النبوى الشريف لبعض الاصدقاء والأقارب فى بكين ، ولم يطلب منى دفع رسوم عن زيادة الوزن لهذه المناسبة الكريمة — وهكذا تعنى الدولة بتكريم السياح — وكان وداعا حاراً بين الآنسة وبينى كانت تكرر لى اسمها لأنه يشبه الأسماء العربية .

العودة الى الاتحاد السوفيتى : موسكو للمرة الثانية

ليت دعوة هيئة الانتورست السوفيتية بصفتى مديرة شركة ميناء المصرية للسياحة لقضاء بضعة أسابيع هناك .

وكان الفندق الذى حجزت لى به غرفة يطل على الميدان الأحمر فندق (انترناسيونال) وفى صباح اليوم التالى لوصولى استيقظت على شروق الشمس وهى تملأ الغرفة .

عندما خرجت لشراء بعض البطاقات لإرسالها للأصدقاء والأهل وجدت مدخلا على ناصية بجانب الفندق ودرجات عددها حوالى عشرين ، فوجدت نفسى أنزل ظنا أنها توصل إلى محل تجارى وإذا بى أجد نفسى فى بهو واسع محلى بالتابلوهات على الحوائط ومقاعد وثريات آية فى الجمال وكأنه صالون فى قصر وكانت محطة من المحطات الكبيرة للمетро وتحت أرض موسكو .

والحقيقة أنى بهرت وكدت لا أصدق أنى فى محطة مترو، وكنت مضطرة للعودة للفندق لانتظر زيارة السيد السفير ، وقد اصطحبنى والسيدة قرينته فور وصولى إلى جولة خارج موسكو فى منطقة غابات جميلة وقمنا بزيارة قصر الملكة كاترين الذى لم يتم بناؤه، ثم زرنا حوض السباحة المستدير الذى يعتبر فريداً فى نوعه من حيث البناء والهندسة والتقسيم، ومما يدهش الزائر أن هذا الحوض فى العراء إلا أنه يحتوى على أجهزة لتدفئة المياه وإطلاق أبخرة تغطى سطحه .

وبعد انتهاء الزيارة السريعة لهذا الحمام الفريد كان قد حان موعد تناول الغذاء على مائدة السفير المصرى الذى أبى كرم أخلاقه إلا أن يشرفنا بجولة ووليمة قبل قيامه بإجازته الصيفية فى مساء نفس اليوم .

وبعد انتهاء الغذاء عدت إلى الفندق بعد أن تمنيت للسيد السفير الدكتور مراد غالب وحرمة التمتع بإجازة طيبة •

وعندما عدت إلى الفندق وجدت بانتظارى دعوة لأعضاء السفارة ولى من مدير (هيئة الانتورست) رداً على دعوة السفارة التى أقامتها لنا .

بدأ الحفل بحديث المدير الذى حيانا واحتفى بنا وأعرب عن سعادته بالمناسبة اللطيفة التى جمعت الوفد السياحى وأعضاء السفارة وشرب نخب توطيد العلاقات بين البلدين وتبادل السياح .

اجتماعات هيئة الانتورست :

وكان الهدف من دعوتى لقضاء بضعة أسابيع فى الاتحاد السوفيتى هو الاجتماع بأعضاء هيئة الانتورست لمناقشة بعض الشؤون السياحية وكنت أستقبل فى مصر مجموعات من السائحين السوفيت وأقوم بحجز أماكن لهم فى الفنادق وأقوم بتنظيم الرحلات للأقصر وأسوان بمقتضى اتفاق بين الشركة التى أديرها وشركة الانتورست . وكانت هذه المجموعات تصل على البواخر الروسية درجنسكى وليتشيا .

وقد قمنا بمناقشة هذه الموضوعات في أكثر من اجتماع مع المسؤولين في جو من التفاهم والتفقا على الأسعار وحسن اختيار التراجمة والأدلاء ونظام الرحلات بما يتفق وأمزجة السائحين، ثم انتهى آخر اجتماع مع مدير السياحة مستر انكودينوف Ankodinof بتنظيم رحلتى السياحية في الاتحاد السوفيتى .

بدأت رحلتى بركوب القطار الخاص إلى ليننجراد بعد الظهر فوجدته مريحاً والخدمة به ممتازة وعربات النوم مكيفة وكانت ترافقنى السيدة دنيروفا الموظفة بهيئة الانتورست وهى تجيد اللغة الإنجليزية .

وصلنا ليننجراد حوالى الساعة الثامنة صباحاً وكان الجو ممطراً ووجدنا فى انتظارنا مندوب السياحة الخاص بمكتب ليننجراد وذهبنا إلى فندق استوريا الذى يقع على الميدان الكبير فى وسط المدينة وهو فندق تم مبانيه عن حضارة قديمة ومجد عريق .

ثم قمنا بجولة سريعة فى المدينة وقضينا حوالى ساعة فى المتحف العظيم الذى ذكرنى بقصر فرساي فى فرنسا وقد اقتصرت الزيارة على بعض أقسامه نظراً لضيق الوقت ، ثم زرنا مصنع نسيج اتضح أنه يصدر لنا آلات النسيج والتريكو ، وقد زارنا مديره عام ١٩٥٧ ومارال يذكر حسن الضيافة التى لقيها وأثنى على سير العمل فى مصانعنا الحديثة فى المحلة وكفر الدوار والنهضة الصناعية الحديثة التى كانت ضمن أهداف زيارته ويود لو أتيحت له فرصة أخرى لزيارة الجمهورية العربية المتحدة ، وشكرته بعد زيارتنا للمصنع على حسن استقباله وحفاوته ثم عدت إلى الفندق .

مدينة ليننجراد :

ويسرنى أن أقدم بعض الطرائف عن تلك المدينة الخالدة التاريخية الجميلة التى تقع على الضفة الجرانيتية من نهر النيفا التى كافحت ببسالة فى أثناء الحرب العالمية الثانية وضرب عليها الحصار زهاء ٩٠٠ يوم .

وهى تعتبر من أكبر موانئ الاتحاد السوفيتى وتضم ١٠١ جزيرة، ومنذ نحو ٣٠٠ عام تبارى مهندسون عالميون فى إقامة مبانيها الفاخرة المنسجمة وتخطيط شوارعها المستقيمة وميادينها الواسعة والكبرى التى أضفت عليها طابعاً هندسياً رائعاً مما جعلها تقف فى مصاف أكبر مدن العالم .

وعندما وصلت إلى ميدان بطرس الأكبر وقفت مشدوهة أمام تمثال الفارس البرونزى كما يطلقون عليه هناك، وهو يمثل القيصر بطرس الأكبر ممتطياً صهوة جواده بالحجم الطبيعى على حين يقف الجواد على قدميه الخلفيتين فقط وقد ارتفعت قدماه الأماميتان فى الهواء وهو يعتبر بحق تحفة فنية رائعة .

والمدينة الخالدة كما ذكرت تزدهر ميادينها بالحدائق الواسعة والتماثيل الفنية الضخمة . ولما كان الطبع غلاباً فقد استفسرت من الدليل فى أثناء تجوالى : أجنحة القصر الشتوى - قصر القياصرة والقريب من متحف الارميتاج الذى يضم مجموعة نادرة من القطع الفنية - عن المكتبات فى هذه المدينة العظيمة ، فنظر إلى الدليل وهو طالب جامعى واستغرق فى لحظة تفكير كن يستجمع ذكريات قدمته ثم قال : لا تندهى ياسيدتى إذا قلت لك إن المدينة تضم ٢٦٠٠ مكتبة بها ما يزيد عن ٥ ملايين مجلد وتعتبر المكتبة الأهلية من أقدم المكتبات فى العالم، وزيارتها تحتاج إلى تحديد موعد سابق ولكن الوقت كان ضيقاً فأرجأناها إلى زيارة أخرى .

وفى المساء شهدت حفلة فى المسرح القديم هناك، وقد عرض ثلاث رقصات من فرقة إيطالية وكانت القطعة الأخيرة هى البوليرو المشهورة ، ثم عدت إلى الفندق .

مدينة كييف : عاصمة أوكرانيا

[انطلقت بنا الطائرة المحلية الساعة ٧,٣٠ صباحاً من مطار ليننجراد فوصلنا كييف الساعة ٢,٣٠ بعد الظهر ويبعد المطار عن المدينة نحو ٢٥ كيلومتراً وقد بنيت على هضبات عالية خضراء تحيط بها غابات

كثيفة وتقع هذه المدينة على نهر الدنيير الذى يشتهر بالكبارى الخمسة والشاطىء الذى كان يزخر بمجموع عشاق السياحة والاستجمام .

وهذه المدينة الجبلية القديمة تتميز مبانيها بطابع هندسى خاص بالنسبة للحدائق المنشأة أمام كل مبنى مما جعلها ذات طراز متميز، وهى إلى جانب ذلك بلد صناعى متخصص فى صناعة المراكب الشراعية والدراجات والسيارات. . . الخ .

ومعظم الآثار فى هذه المدينة يرجع إلى أيام الحرب العالمية الثانية، فقد أقيمت كتذكارات لكفاح المدينة وبسالتها وبطولة أهلها الذين استماتوا فى الدفاع أمام العدو

أما كاتدرائية سانت صوفيا، فيرجع تاريخها إلى القرن الحادى عشر

وأما النصب التذكارى للجندى المجهول فيقع على ضفة نهر الدنيير وبجانبه. مقبرة ضحايا الحرب الأبطال الذين تصدوا للزحف النازى ويوجد بها خط مترو تحت الأرض يصل قلب المدينة بشاطىء نهر الدنيير. وهى المدينة الثالثة فى أهميتها فى الاتحاد السوفيتى .

وعندما وصلنا إلى الفندق الكبير فوجئت بوجود اثنين من الضباط المصريين كانا فى بعثة ثقافية لبضعة أشهر، وخرجنا سويا إلى نفق محطة المترو وهذه المحطة وإن كانت على جانب كبير من الفخامة إلا أنها ليست فى فخامة محطات موسكو، واقترح أحد الضباط أن نزور الجزيرة الغربية التى أقيم فيها معسكر الشباب، وركبنا باخرة صغيرة فوصلنا الجزيرة الجميلة بعد نصف ساعة وبعد زيارة قصيرة وفقنا خلالها على أحدث النظم الرياضية كان قد حان موعد إقلاع الباخرة الصغيرة فعدنا إليها وكنا خلال سبرنا نتجاذب أطراف الحديث عما شاهدناه.

كـيـيـف :

وباعتبارى عضو مجلس إدارة جمعية بيوت الشباب المصرية كنت حريصة فى رحلاتى على زيارة بيوت الشباب فى مختلف البلاد للوقوف على مدى نشاطها وما استحدثت فيها . . الخ .

وعندما سألت فى كـيـيـف السيدة المرافقة عن أحد هذه البيوت بادرت بالاتصال بالمسؤولين لزيارة أحد هذه البيوت . فنظمت لنا زيارة خارج المدينة لمعسكر تابع للجمعية معسكر (القيادات Pioneer Camp) يضم عدداً من الطلبة المختارين من الجيش ، ومدة الإقامة فى المعسكر ثلاثة شهور وقد استقبلنا الزلاء بالترحيب والغناء وعرضوا علينا نشاطهم الموسيقى والرياضى وعلمت أن الدولة تسهم بما يوازى ٥٥ ٪ من نفقات هذه البيوت خلال هذه الفترة ، وينقسم المعسكر إلى مجموعات كل مجموعة تضم ٣٠ تلميذاً والمدرسون متطوعون وكذلك المشرفون وفضينا وقتاً ممتعاً بين النظام والرياضة التى لها الفضل الأول فى تأهيل الشباب صحياً وعقلياً .

زيارة مصنع الشمبانيا :

كان ضمن البرنامج زيارة مصنع الشمبانيا الحديث الذى يبعد عن كـيـيـف بحوالى نصف ساعة بالسيارة فى طريق بعضه جبلى ، ووصلنا إلى بوابة كبيرة اجتزناها بالسيارة وسط حديقة تحتوى على عدد من المباني الحديثة ، وقفت بنا السيارة أمام أكبرها حجماً فاستقبلنا مدير المصنع وأحد الموظفين ، وقد قمنا بجولة بين الأجهزة الحديثة الخاصة بالتقطير والتعبئة والتجهيز فى مراحل عديدة والآلات التى تسجل الحرارة والسرعة وحالة التخمر . . الخ .

و كنا نلبس جميعاً معاطف بيضاء معقمة فى أثناء الزيارة ، ويرجع تاريخ هذا المصنع إلى سنة ١٩٥٠ ، وقبل ذلك كان "مصنعاً لإنتاج الفودكا وينتج ٣ مليون زجاجة سنوياً قابلة للزيادة للحد من استهلاك الفودكا . ثم عدنا

إلى بهو الاستقبال وهو المكان المخصص لاجتماع اللجنة العليا الفنية لتجربة أنواع الشامبانيا وتذوقها ثم اطلعنا على استمارات مقسمة إلى بنود منها التاريخ والنوع والكثافة والطعم واللون . . . الخ .

عددا إلى الفندق بعد انتهاء الزياره وشكر القائمين على شئون المصنع والمرافقين لنا بعد أن قدمنا بعض الهدايا لهم على سبيل الدعاية والتذكار .

كنت أسمع في شوارع موسكو والمحال المامة لغات مختلفة من الألمانية إلى الإنجليزية إلى الإيطالية . الخ . فسألت زميلاً عاش هناك منذ سنوات فقال : لو أنك حضرت إلى موسكو منذ سنوات لما سمعت هذه اللغات المختلفة ولكن الدولة أرادت أن يكون للسياحة شأن فيها ، فقامت بالدعاية لبلادها في جميع أنحاء العالم حتى حج إليها مختلف الوفود من جميع أقطار الأرض ، ولذا فإنك تسمعين الآن مختلف اللغات وهذا يدل دلالة قاطعة على ازدهار حركة السياحة في الاتحاد السوفيتي .

فقلت له : « إن الاتحاد السوفيتي في الحقيقة بلاد عظيمة لها تاريخها ومناطقها السياحية التي تستحق الزيارة » . وكنت ألاحظ شعور الكثير من السائحين بالسعادة والغبطة في أثناء زيارتي للبلاد .

وبينما كنت في انتظار الطائرة التي سأركبها من كييف إلى سوتشي وجدت (البوتيك) وآنسة لطيفة تباع بعض التذكارات فيها والحلوى ، تعلق شفنها ابتسامة مريحة ، وبعد دقائق وجدت سائحاً أمريكياً كان يشتري منها شكولاته وسمعته ينهرها ويوجه إليها ألفاظاً مهينة ويتمهمها بالمغالطة في الثمن ، ثم اتضح أنه هو الذي لا يعرف العملة الروسية ويبدو أن الشعور السائد بين الكتلتين طغى عليه برغم أنه في رحلة سياحية وبرغم أنه يخاطب آنسة لطيفة لم تقصد مغالطته كما يدعى .

وبالرغم من موقف هذا السائح الأمريكي فإن البائعة السوفيتية ظلت محافظة بابتسامتها وبصوتها الهادي الذي كانت نبراتة تنم عن الاعتذار .

الدجاجة المشوية :

دعاني بعض أعضاء سفارتنا في موسكو إلى حفلة في إحدى المسارح وكانت تمثل فيه رواية (فاوست)، والحقيقة أنها كانت رائعة من ناحية التمثيل والإخراج والمناظر وسرعة تغييرها، وبعد انتهاء الحفلة ذهبنا إلى مطعم من المطاعم المحلية وكان مشهوراً بتقديم الدجاج المشوى وتقدم الدجاجة كاملة ومعها المشهيات والسلطات والثوم المخلل الذي رأيته لأول مرة، وحجم الفص منه كحجم اللوزة الكبيرة ويقدم كالحيار عندنا، ولأول مرة أيضاً أرى الفودكا على المسائدة وبجانب كل كأس منها زجاجة شربات قيل لي إنها شراب فراولة يقدم مع الفودكا — المشروب الوطني — ولأنه شديد التأثير فالشربات تحب من غضاضته، ولكل بلد عاداته في أثناء الطعام. وكان الجو عمومًا غريباً على ولكنه كان مرحاً لطيفاً .

زيادة الكرملين :

وكان في برنامجي زيارة الكرملين فقممت بزيارته التي تركت في نفسي أثراً لا يمكن وصفه بعد عودتي من الرحلة .

يقف الكرملين شامخاً في الميدان الأحمر في موسكو رمزاً لعظمه الاتحاد السوفيتي بأبراجه الشاهقة وآثاره التاريخية العريقة من قصور وكنائس ومتاحف شيدت داخل أسوار من الصخر القوي المتين لحماية قياصرة روسيا من غضب رعاياهم وبطش منافسيهم من الأمراء في ذلك الوقت ، وليست الأسوار التي نراها اليوم هي التي شيدت في بادئ الأمر ، فقد أعيد بناء أجزاء كبيرة منها فيما بين عامي ١٤٨٥ — ١٤٩٥ ، كما أزيل بعضها واستبدلت به أجزاء حديثة في القرن الثامن عشر وشقت الطرق الفسيحة وزرعت الحدائق الغناء، ولكن في القرن السابع عشر فقد الكرملين بعض أهميته كقاعة وأضيفت إلى الأبراج تلك القمم التي شيدت على هيئة الخيام والأبصال، وفي ذلك العهد انتقل بطاركة الكنيسة من الكرملين حينما انتقلت العاصمة من موسكو إلى بطرسبرج (ليننجراد)

وقد أصاب الكرملين الدمار والحراب في القرنين الثامن عشر وأوائل التاسع عشر، ولكن سرعان ما عاد إليه رونقه وبهاؤه بما شيد في داخله من الكنائس والقصور . ولما نشبت الثورة الشيوعية عام ١٩١٧ وجه فريق من الثوار نيران مدافعهم الضخمة إليه فأصبحت بعض مبانيه بتلف جسيم . وقد أنقذ ماكسيم جوركي الكاتب الروسي الكبير ثروة الكرملين العريقة الضخمة من أيدي الثوار في ١٩١٧ عندما وقف يخطب فيهم قائلاً : «إخواني المواطنين لا تلمسوا حجراً واحداً من هذه الثروة، إنها تاريخكم، إنها فخركم إنها رمز لقوتكم الروحية وتضحيات آبائكم وأجدادكم فحافظوا عليها ولا تمسوها بسوء» وقد لبى الثوار دعوة كاتبهم الكبير وانسحبوا، وهكذا أنقذ لينين وجوركي تراث روسيا واحتفظا بكل النفائس والمتحف التي تزين اليوم المتاحف وهي لا تقدر بثمن .

ويشبه تخطيط الكرملين مثلثاً متساوي الساقين وتعلو أسواره الأبراج المنيعة وتحرقها خمسة أبواب، أهمها باب الخلاص وقد بنى سنة ١٤٩١، واليوم هو الباب الرئيسي للكرملين ويؤدي إلى الميدان الأحمر .

وقبيل اندلاع الثورة كان على كل من يعبر هذا الباب أن يخضع قبضته تخيه للصورة التي تمثل السيد المسيح والتي تقع بالقرب من هذا الباب، وفي داخل الكرملين عدة مبان تتصل كلها بتاريخ روسيا السياسي والديني والثقافي . وهناك أربع كاتدرائيات ونحو اثنتي عشرة كنيسة أهمها كاتدرائية أوبيتسكي، وهناك برج إيفان الهائل الذي يضم أهم النفائس الروسية ففيه عدة عروش للقيصرة وعربات مرصعة بالأحجار الكريمة ومجموعة من التيجان أهمها تاج قازان المصنوع من الذهب المحرم المرصع بعشرات الأحجار الكريمة كالفيروز والأولو والتوباز، وقد صنع سنة ١٥٥٣ في ذكرى الاستيلاء على خانات قازان من أصحابها التتار .

ومما استلفت نظري في هذه الزيارة أن المتحف مفروش بالسجاد الفاخر ويلبس الزائرون له الحف .

ويجتمع أعضاء مجلس السوفييت في أحد أقسام القصر الكبير، أما مجلس السوفييت الأعلى فيجتمع أعضاؤه في صالة العرش الكبرى وهي التي تعرف بقاعة القديس اندرو .

وتشغل إدارات الحزب الشيوعي بعض المباني التي شيدت في أعقاب الثورة، وهناك دار القضاء القديمة وثكنات ومخابئ منيعة وداران للسبيل ومحيط بهذه المباني الحدائق الفاتنة الواسعة .

ويطل الكرملين على الميدان الأحمر الكبير الذي تقام فيه معظم الاحتفالات الوطنية وقد حضرت استقبال رائدى الفضاء بوبوفتش ونيقولايف في هذا المكان التاريخي . وقد سعدت بحضور هذا الاحتفال الشعبي الكبير الذي اشتركت فيه جميع الهيئات الرسمية والشعبية لتكريم رائدى الفضاء .

سوتشى :

قمنا من مطار كييف الذى يبعد عن سوتشى بنحو ٢٥ كيلو متراً وكانت المواعيد قد تغيرت بسبب تغير موعد إحدى الطائرات المحلية الخاصة بالركاب السوفييت وهم في طريقهم للمصيف فوصلنا الساعة ١٢ مطار دويتشك .

تناولنا غداء خفيفاً سريعاً وقمنا إلى سوتشى فوصلنا مدينة أدلر Adler التى يقع فيها المطار الساعة ٣ مساءً ، أما سوتشى وهي المصيف الجبلى النهري فتبعد عن المطا بنحو ٤٥ كيلو متراً وكنت أظن أن مطار أدلر هو سوتشى ولكنى فوجئت بمندوبة الانتورست ترحب بنا قائلة : « لعلها كانت رحلة طيبة وموفقة لم تعانوا فيها إرهاقاً فنعن على أهبة رحلة أخرى إلى سوتشى » فأبدت دهشتى وسألتها : « أين نحن إذن ؟ » فقالت : « نحن في أقرب مطار لمصيف سوتشى لأن طبيعة البلد وجمالها ووجودها بين مجموعة من الجبال الخضراء وحدائق النباتات وبعضها قريب من الشواطئ الرملية الجميلة كل هذا حال دون إنشاء مطار فيها » .

وبدأنا الرحلة في طرق جبلية ساحرة بعضها على حافة الجبل والبعض في الداخل بين أشجار كثيفة خضراء موازية لساحل البحر الأسود ، والطريق يعلو ويهبط ، ثم جتزنا منطقة غابات وبعدنا عن الساحل لبضعة كيلومترات ثم خرجنا إلى الساحل وعندما وصلنا سوتشي وتجولنا فيها تبين لي أنه ليس من المناسب إطلاقاً إنشاء مطار فيها ، بل من الواجب الإبقاء على هذه الحنة الخضراء الوارفة الغنية بأجمل وأندر أنواع الزهور وبالأحراج الكثيفة وأشجار السيدر المعمرة التي يبلغ عمر بعضها ٥٠٠ ، ٦٠٠ عام ، وحتى الشوارع فيها منسقة ومرصوفة مزدانة بأشجار السرو والنخيل والماجنوليا ، ثم مررنا على البحيرة (ريتا) التي تعلو ٩٥٠ متراً عن سطح البحر ، وهي بحيرة ساحرة بمناظرها وخاصة بالحديقة التي تحيط بها تحت الجبال الصفراء .

وبعد هذه الجولة السريعة وصلنا فندق الانتورست الكبير ومررنا خلال الحديقة إلى المبنى الحديث الفخم وبه شرفة كبيرة مكونة من طابقين تطل على البحر الأسود .

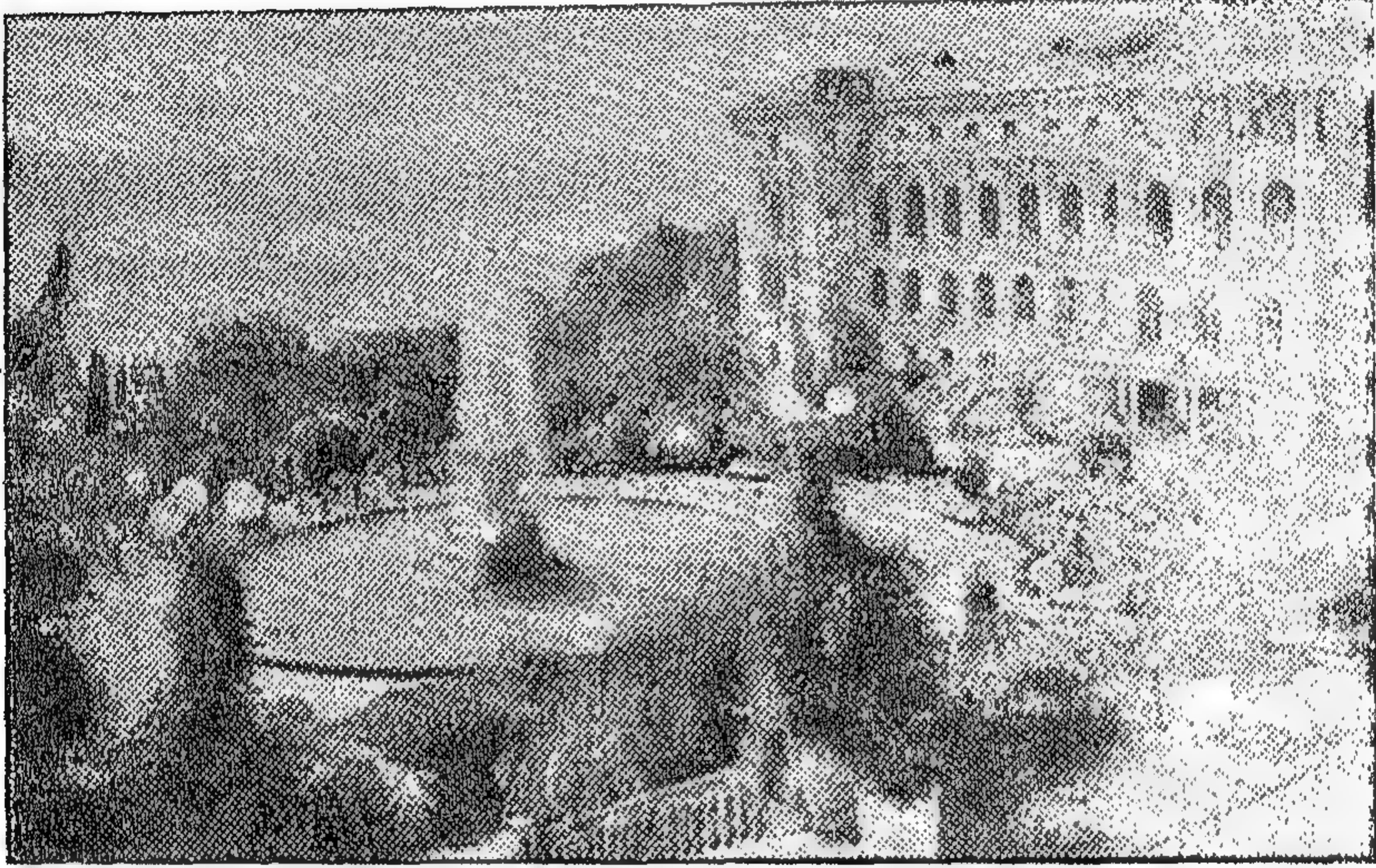
قمنا في الصباح الباكر بزيارة للشاطئ الخاص بالفندق فوجدت مجموعة من الكبائن الملونة المنتشرة على الطرق الحديثة الواسعة وتقع على الساحل مباشرة ، وبعضها في حوض الجبل والطرق معبدة جميلة تربط الجبل وكبائنه والشاطئ والفندق وشرفته الكبيرة .

وعندما كلمتنا السيدة المرافقة عن بعض المصحات وزيارة إحداها في اليوم التالي ، رحبت بهذه الفرصة لأنني كنت قد اطلعت على نشرة بها معلومات عن البلد وما فيه من مصحات وحدائق وشواطئ ، والواقع أنه بلد المصايف والحدائق والاستشفاء كما يسمونه .

مصحة فورو كلوف : (اسم الرئيس السابق للاتحاد السوفيتي)

كان من أول المعالم الموضوعة في برنامج زيارتنا لسوتشي هذه المصحة الكبيرة (صورة رقم ٦) والملحق بها مصيف خاص

أيضاً للمرضى . ومما استرعى نظري فخامة المبنى المشيد على نمط القصور
التي تتوسط حدائقها نافورات ، ثم الدرجات الرخامية الكبيرة المتفرعة إلى
اليمن واليسار والشرفات الواسعة التي تطل على البحر الأسود ثم الصالونات
المخصصة لانتظار المرضى وما تزدان به من تحف ولوحات لكبار الفنانين ،
والصالات المخصصة للبياردو (صورة رقم ٦) .



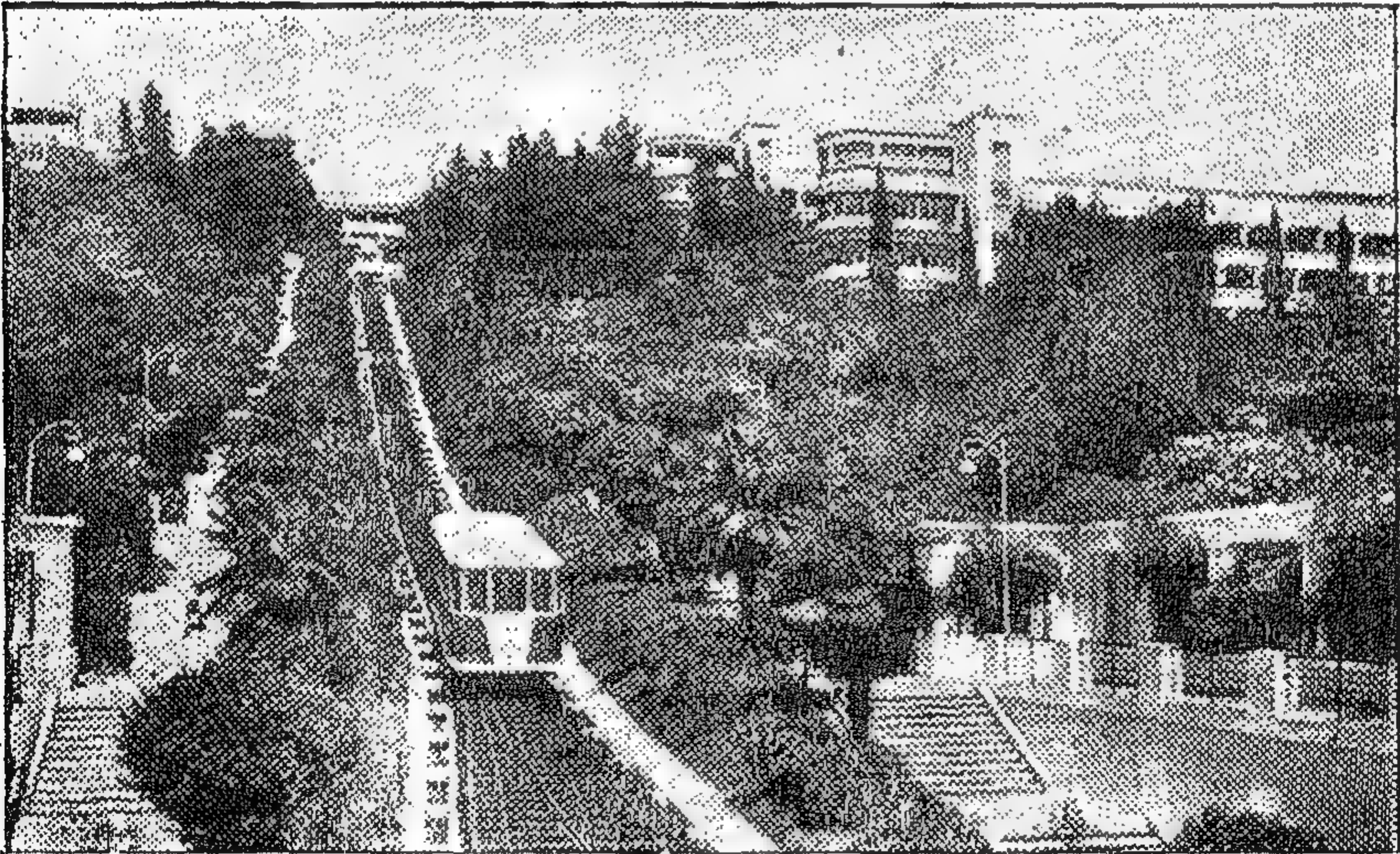
(صورة رقم ٦)

وقد يأخذك العجب حين تعلم أنه بالرغم من هذه الفخامة يوجد قسم
مباني للمواطنين وقسم للأجانب بتكاليف معتدلة ودرجتان أولى وثانية .
وتتمتع هذه المنطقة بينابيع كبريتية ومعدنية ومدة العلاج بها قد تمتد
إلى ٢٦ يوماً بين حمامات كبريتية وعلاج بالتدليك والكهرباء بأحدث الأجهزة
لأمراض الروماتزم والربو والأمراض الجلدية والأعصاب تحت إشراف
أطباء متخصصين في هذه الأمراض .

ويوجد قطار جبلى « (فينو كولير) يخترق الجبل من حديقة المصحة إلى الشاطئ المخصص للمرضى وفيه مكان للترفيه والعلاج (صورة رقم ٧) .

غادرت المصحة بعد قضاء بضع ساعات فى العلاج الطبيعى إلى ميدان محطة السكك الحديدية بمبناها الضخم وصالة الانتظار الكبيرة كأنها صالون فى قصر كبير ثم عدد من النوافذ فى الجهة اليمنى من المدخل لحجز تذاكر الفنادق والمصحات حتى توفر الراحة للمصطافين والمرضى على السواء، وتعتبر هذه المحطة من أهم معالم المدينة .

أما ميناء سوتشى البحرى فهو تحفة فنية سواء فى البناء أو الزخرفة المعمارية فكل جدران صالون البهو الرئيسى مغطاة بالصينى الملون (القيشانى) أما السقف فيمثل السماء الصافية ويطلق فيه الحمام الأبيض رمزاً للسلام، ثم قطع من المرايا الكبيرة فى إطارات من الخشب الثمين . أما الجدار الأمامى فى البهو فقد نقشبت فيه خريطة بارزة تبين الاتصالات مع قارتى آسيا وأفريقيا والخطوط المنتشرة فيها وهى آية فى الفن والجمال، وفى المساء تضاء بالأنوار الخلابة .



وفي طريقنا من المحطة البحرية إلى الفندق الذي نزل فيه مررنا على حديقة الخالدين وهي تضم طائفة جميلة من الزهور والأشجار التي غرس بعضها الزعماء والأدباء السوفيت عند زيارتهم لهذه الحديقة الجميلة تاركين فيها أثراً طيباً . وقد ازدانت الحديقة بأكشاك صغيرة من البامبو وتمثيل بعض العظماء بحيث يستطيع الزائر أن يدرس من خلال جولته فيها تاريخ هذه المدينة ومن أنجبهم من زعماء وأقطاب استحقوا وفاءها مدى الدهر .

وقد شهدت بنفسى أسراً كثيرة كانت تنزه في هذه الحديقة وكان الآباء يهتمون بتوجيه أنظار أبنائهم إلى ماتضمه هذه الحديقة من تراث تاريخي وفوقى يتمثل في الأشجار التي تحمل كل منها بطاقة شخصية للأدباء والعظماء الذين لعبوا دوراً في التاريخ أو في الأدب حتى يغرسوا في أولادهم الوطنية الصادقة وليعلموا أن الوطن لا ينسى أبناءه الأبرار .

عزبة على مائدة القمار :

قمنا بالسيارة من سوتشى مجتازين نفس الطريق المؤدى إلى أدلر التي يقع فيها المطار والطريق مواز للشاطئ ويخترق جبال القوقاز الخضراء .

توقفنا عند قرية صغيرة لزيارة إحدى العزب التي تشتهر بذلك (البيت الأخضر الطبيعي) الذي كان يملكه محافظ مدينة ليننجراد وكان قد فاز بها على مائدة القمار وسماها (سلوخاينوى) Slokhaynoy وتبلغ مساحتها ٣٠٠ هكتار وجمع فيها المحافظ مئات من أنواع الزهور والفواكه واستخدم فيها إخصائين في فلاحه البساتين والزراعة إلى أن قامت الثورة واستولت عليها الدولة وأدخلت عليها التحسينات واستغلها لصالح الشعب وهي الآن تضم نحو ألف نوع من النباتات والأشجار المتنوعة من مختلف بلاد العالم وتقوم العزبة بتصدير الزهور إلى جميع البلاد السوفيتية عن طريق مطار أدلر .

أما قسم تفريخ الدجاج من النوع الممتاز في العزبة فيمتاز بكمية البيض الهائلة التي يربو عددها على ١٦ مليون بيضة سنوياً يصدر معظمها إلى المصحات

وبعد انتهاء زيارتنا للعزبة توجهنا إلى فندق جاجرا في الساعة الثانية بعد الظهر وهو يقع في قلب الجبل وسمى باسم البلد القديم (جاجرا) الذي يرجع تاريخه إلى القرن الرابع عشر ومعظم أهل هذه المنطقة من الفنانين من مختلف الجنسيات وعدد المسلمين هنا كبير، لذلك يوجد كثير من الالفاظ العربية في لغتهم .

والطعام في الفندق قريب الشبه جداً من الأطعمة الشرقية .

وبعد تناول الغداء قمنا بجولة قصيرة على الشاطئ بين الكبائن ذات الألوان المختلفة والملاعب الرياضية التي تقع أمام الفندق ثم عدنا إلى سوتشي ومنها إلى موسكو بطريق الجو .

وفي موسكو تبين لي أن المبلغ المحول إلى لم يصل بعد، وبمرورى على بعض المحال الكبيرة القريبة من الميدان الأحمر وجدت أن أحذية السيدات مرتفعة السعر وكان معى لحسن الحظ حذاء جديد من النوع الفاخر فكان بمثابة نجدة للحصول على مبلغ لا بأس به .

الصين الشعبية

انطلقت بي الطائرة من مطار موسكو ظهراً في اتجاه منغوليا فوصلت ميناءها الجوى وهو مبنى صغير متواضع في استعداداته، وكان علينا نحن المسافرين أن نقضى ليلتنا في هذا المطار ، ولكن نظراً لفارق الوقت بين روسيا ومنغوليا فوجدت بالصبح وقد لاح بعد ساعة من وصولنا وهكذا وفرت الشركة بفضل خطوط (مير كادور) قيمة أجر مبيتنا ليلة ، وتقديم منا أحده ضباط المطار واحبطينا إلى الطائرة الصينية ، وكانت صغيرة الحجم ، وتناولنا عليها وجبتى الإفطار والغداء ، ووصلنا مطار بكين حوالى الساعة الرابعة مساء فوجدت في انتظارى وكالة الاتحاد النسائى وسكرتيرتها وبعض أعضاء سفارتنا وبعضهم من أفرابى ، وقد سبق أن اتصلت بهم تايفونيا من موسكو .

فندق شينشاو :

خصص جناح من هذا الفندق الكبير لعضوات الاتحاد النسائى والوفود المدعوة من مختلف البلاد وكان الاستعداد رائعاً وبرنامج الزيارات مكتوب بمختلف اللغات الإنجليزية والفرنسية والروسية كما أن المرافقات يتكلمن هذه اللغات . وكان الفندق يبدو كأنه خلية نحل تعمل في سكون وانسجام . ووجدت في غرفتى بعض الزهور الجميلة و« ترموس » به ماء ساخن ولفافات الشاي الياسهينى لإعداد كوب من الشاي ، وطريقة إعداد الشاي هى إفراغ اللقافة الصغيرة في كوب مخصصة له بغطاء من الزجاج ، ويصب الماء المغلى من الترموس على الشاي بالكوب وبعد خمس دقائق نتناول كوباً من الشاي ذى الرائحة الجميلة .

وقد لاحظت أن هذه الطريقة متبعة في كل مكان أثناء جولائى في ربوع

الصين .

أما في زيارة المصانع فيقدم الشاي جاهزاً من الترموس الكبير للزائرين .
وفي الدرجة الأولى في القطارات كانت الأكواب وأكياس الشاي على المنضدة
الصغيرة بين المقعدين ، وتمر إحدى الآنسات بإبريق ماء ساخن كبير في
أوقات معينة .

سألني إحدى المرافقات عند وصولي للفندق عما إذا كنت أود تناول
الطعام في المطعم الصيني أو الأوربي ، وكان الفندق يضم الاثنين معاً ،
والمدعوون أحرار في اختيار أحدهما وفضلت مبدئياً المطعم الصيني مجاملة ،
ولكن بعد ذلك كنت أتناول الطعام الصيني يومياً إذ وجدته طيباً وصحياً
وخفيفاً ، وأقول ذلك دون مغالاة أو مجاملة .

وبجانب البرنامج الموضوع للزيارات كانت المرافقات تسأل كل مدعوة
عن الأمكنة التي يهمنها زيارتها ، فثلاً الرياضية تود زيارة بعض المعاهد
الرياضية والصحفية بعض دور الصحافة والمدرسة بعض المدارس ، وأنا
شخصياً كنت أود زيارة المكاتب السياحية في كل بلد . فكانت هذه لفظة
رقيقة حتى لا تشعر الضيوف بأنهن مقيدات بزيارة أماكن مفروضة عليهن .

وقد عجبت من عدم قبول أي موظف في الفندق (للبقشيش) ، ولما
سألت مدير مكتب السياحة قال إن هذا ممنوع منعاً باتاً ولأن الموظفين يمنحون
مرتبات كافية ويعتقد أن قبولهم البقشيش يحط من كرامتهم مهما كانوا موظفين
صغاراً وقد حاولنا إعطاء بقشيش للعراشين في الغرف ، فكانوا يعتذرون بأدب
حتى حلاق الفندق رفض أخذ أكثر من السعر المحدد .

دعوة مدير السياحة بكين :

عندما ظهرت رغبتى في زيارة مصلحة السياحة حدد لي موعد مع
المدير فذهبت مع إحدى المرافقات « مسر تشن » وبعد تبادل التحية سألني
السيد المدير عن رأيي في السياحة في هانشو وتشانجهاى وتينشن .

و كنت أول من زار الصين من دنيا السياحة في مصر، وكنت صريحة في ملاحظاتي في مجال العمل المحدود في هذه المكاتب، فهم ينتظرون حضور الوفود المدعوة من قبل الحكومة لتلبية ما يرغبون من زيارات ورحلات داخلية، فقلت له: ينبغي أن يتناول العمل في هذه المكاتب السياحة المحلية - والخارجية خصوصاً أنه لا توجد شركات سياحية أجنبية أو أهلية، فلو توسعت هذه المكاتب في مجال العمل وقامت بالدعاية في الخارج لازدهرت السياحة وعلى الأخص في وقت التعمير والإشياء والتقدم الصناعي العظيم الذي تنهض به البلاد الآن .

فأجاني المدير بشئ من المرارة بأن الأمريكيان يقومون بدعاية سيئة ضد الصين إذ يزعمون أنها تقع وراء ستار حديدي وأنها بلاد فقيرة متخلفة بائسة ... الخ .

فقلت: « إذاً من واجب مصلحة السياحة ومكاتبها أن تنفي هذه الأكاذيب والمهاترات بالدعاية المضادة القوية لجلب السائحين ليقفوا بأنفسهم على مدى النهضة في البلاد، وهذا هو العنصر الأساسي للسياحة، ونحن الدول العربية نعاني أيضاً من نفس هذه الأكاذيب والمقتربات من أعدائنا، ولهذا أنشأنا مكاتب في الخارج لهذا الغرض، ثم قال مدير السياحة إن شركة الطيران الصينية خفضت ٤٠٪ والسكك الحديدية ٥٠٪ من الأجر للوفود السياحية داخل الصين لتنشيط السياحة، وهذا جهد وإن كان قليلاً فإنه بمرور الوقت سيكون أقوى من ذلك .

ثم شكرني على هذه الزيارة وعلى الملاحظات التي وعدت بأن تكون موضع بحث واهتمام .

ربات البيوت يشرفن على دار الحضانة في تينس : Tienain

تضم الدار حوالي ٣٠٠ طفل من سن ٢ - ٧ سنوات كل ثلاثين طفلاً في رعاية مدرسة وممرضة، وتعمل المدرسة نصف يوم تبرعاً وأطفال الدار من أبناء الموظفات والمدرسات والناظرات والمحاميات والعاملات على وجه العموم .

ولفت نظري طريقة تنسيق الدار ، ونظام الرعاية فيها فلكل طفل مشجب خاص عليه فوطة ومريلة وقد ازدانت برسم طير أو حيوان بدل اسم الطفل حتى يعرفها ، وقد رأيت أمارات الصحة والسعادة تبدو على وجوه الأذنامال .

تينسن بلدة صناعية حرة : Tientsin

تحررت هذه البادة سنة ١٩٤٩ وبها أكثر من ١٣٤٠ مصنعاً وعدد سكانها ٣ ملايين نسمة وقبل التحرير كان عددهم ٦٠٠٠ وقد سبقت بلاداً أخرى في فن الصناعة الحديثة وكثرة أنواعها وطريقتها الكيماوية الدقيقة ، وهي على اتصال تجارى مع حوالى خمسين دولة منها العراق والجمهورية العربية المتحدة وأهم منتجاتها الدراجات والزهور والفوانيس المصنوعة من الورق للزينة .

وفي اليوم الثالث زرنا قبل سفرنا إلى شنجهاي معرض المنتجات للتصدير وهو مكون من ١٧ صالة للمعرض تضم المنسوجات القطنية ذات الرائحة الذكية والأنسجة برائحة تطرد الذباب وأثاثات خفيفة يمكن طيها وفردها وأدوات طبية ومراوح كهربائية ينبعث منها روائح زكية، وقد رأينا لأول مرة نموذجاً لبیت متحرك يصلح لعائلة صغيرة وهو مصنوع من الخشب، ويصدر هذا المصنع المنتجات من شمال الصين وشرفها وهو محاط بحديقة كبيرة بها عدة بحيرات صناعية وتسمى (الحديقة العائمة فوق الماء) .

كانت زيارة هذا المعرض آخر زيارتنا في ميناء تينسن .

وقد أقام لنا الاتحاد حفلة شاي في دار الحزب دعا إليها بعض سيدات المجتمع هناك من مختلف الهيئات من فنانات ومدرسات . وبعض العاملات في الشؤون الاجتماعية وألقت الرئيسة كلمة ترحيب ثم قدمت تلميذات معهد الموسيقى بعض القطع الموسيقية والغنائية . ثم اشتركت العضوات الأجنبية في إحياء الحفل بتقديم الأناشيد الوطنية لبلادهن واشتركن نحن في ذلك .

ثم انتهت الحفلة بالغناء والتصفيق والوداع الحار . فذهبنا مباشرة إلى المحطة — وكانت الساعة قد بلغت السابعة مساءً — لنأخذ القطار إلى شانجهاى وهى المحطة الغربية ، وتوجد محطتان أخريان فى الشمال والشرق فى هذه البادية الصناعية .

كان الجو بارداً فى عربة النوم وكانت بصحبتى الصحفية البولونية والسيدة النرويجية وهى عضو بارز فى جمعية السلام العالمية ويظهر أن البرد لم يمنعهما من النوم . وقضينا اليوم فى القطار بين المناظر الخلابة ، من مراعى خضراء إلى تلال قليلة والطريق عموماً يشبه الريف عندنا ، وفى إحدى المحطات وجدت عربة أكل تشبه عربات الكشرى والفول المدمس عندنا ونزل عدد من المسافرين لشراء الفطور ، وقد تبين أن العربة تحتوى على الأرز والبطة البيكينى وفى علب ورق صغيرة تشبه علب جروبي وزنها (نصف كيلو) مليئة بالأرز وقطعة من البطة حسب الطاب (والتشوب ستكى) أى الأعواد التى تقوم مقام الشوكة والملعقة فى تناول الطعام وأصابع الموز الممتاز ، أما فى القطار فكان الحساء يقدم إلى جانب صحن الأرز .

وصلنا محطة شانجهاى الساعة السابعة مساءً فوجدنا وكالة الاتحاد فى انتظارنا مع بعض العضوات فى أتوبيس سياحة أنيق فوصلنا للفندق وكان معظمنا يبحث عن محل الكوافير كان ملحقا بالفندق ، ومجاملة للزائرات استمر فى العمل حتى الساعة العاشرة مساءً واعتذر عن البقشيش بمنتهى الأدب والإصرار . وكانت غرفتى فى الفندق دافئة ومريحة بعد ما عانيت من مستكة السفر وبرد القطار ، وكان العشاء الصينى من ألد ما يمكن ولاسيما البطة وهى الأكلة الشهيرة هناك (بطاة بكين) ، وتطهى بطريقة خاصة فى فرن خاص ، وقد حضرت طريقة طهو بطاة بكين فى أشهر مطعم مختص هناك فى هذه الأكلة من زمن طويل .

شانجهاى : جنة المغامرات :

هى مدينة كبيرة عدد سكانها ٨ ملايين وتاريخ حرب الأفيون هناك من ١٨٤٠ إلى ١٨٤٢ لا ينسى ، وكذلك تاريخها الحافل بالكفاح وما زالت آثار الاستعمار باقية حتى اليوم ويوجد بها معرض دائم يصور مراحل هذا الكفاح ، والمدينة صناعية هامة بها ٦٧٠٧ من المصانع وتنتج ٢٥ ٪ من منتجات الصين .

وعلمت فى إحدى الندوات أنه يوجد إلى جانب التقدم الصناعى والزراعى نهضة ثقافية فقررت إلى الأمام فعدد الطلبة فى ٢٢ معهداً عالياً فى شانجهاى نحو ٤٧,٠٠٠ منه ٢٧ ٪ من الطالبات وعدد المدارس المتوسطة ٣٢٦ تضم ٣٥٩,٠٠٠ من الطلبة ٣٨ ٪ منهم من الطالبات أما المدارس الابتدائية فيوجد منها ٢٧٨٣ مدرسة بها مليون و ١٨٢ تلميذاً ٤٧ ٪ منهم من البنات كما توجد مدارس لوقت الفراغ ، وملحق بكل مصنع مدرسة للتدريب وفى هذه المدارس نحو المليون ومنهم موظفون وعدد النساء بها يصل إلى ٧٠ ٪ - تقريباً .

كانت هذه المعلومات ضمن محاضرة ألقها إحدى أعضاء الاتحاد النسائى ووكيلة وزارة الشؤون الاجتماعية فى الدور الحادى عشر فى فندق شينج كيانج Ching Kiang الجميل وكانت تتكلم عن المدينة بمنتهى الحماسة والوطنية .

قمنا بجولة فى المدينة والميناء ثم بزيارة حرم الزعيم (صان ياتسن) فى منزلها الذى كان قد تهدم عند غزو اليابان وسرقت منه المكتبة الخاصة بالزعيم المكافح وبعض مذكراته الوطنية، وفى سنة ١٩٤٥ أعيد ترميم الدار بعد التحرير وعادت إلى حالتها الأولى وتشغل السيدة جناحاً منها، أما باقى الدار فقد أصبح متحفاً يضم ملابس الزعيم الراحل وأدواته الطبية ومكتبته وقد قدمه الشعب هدية لشريكة حياته التى مازالت تقيم فيه .

وكان استقبالها لنا حاراً وأخذت تتبادل معنا المحاملات الشرقية وترحب بنا كوفد مصرى من بلاد تربطها بها حضارة وصداقة قديمة ثم تبادلنا الهدايا الرمزية بعد تناول المرطبات الصينية معها وودعتنا بنفس الحرارة التي استقبلتنا بها .

مركز التسلية والترفيه :

المركز يتألف من مبنى كبير، جزء منه يقع فى الهواء الطلق وبه سينما ومسرح يعرض فيه أوبرات محلية وغرفة بها المرايا المضحكة ومسرح آخر تعرض فيه برامج مختلفة من تمثيلات وتابلوهات حية ... الخ، والمركز يجمع بين الثقافة والرياضة والملاهى والاشتراك فيه زهيد .

ولقد أطلقوا على هذا المركز اسم (العالم العظيم) لأنه يجمع بجانب الثقافة والتسلية الفنون الحميلة بأنواعها، إذ أنه يعطى الفرصة لكل مشترك لإشباع هوايته من رياضة أو فن مع التسلية والمرح .

وقد لاحظت حفاوة الشعب الصينى بالزوار الأجانب فمن الباب الخارجى للمسرح يرحب بهم القائمون على العمل فيه ويرشدونهم إلى الطريق فى هذا (العالم العظيم)، وعندما وصلنا إلى المسرح وكان فى بدء عرض التمثيلية، كانت الصالة غاصة بالنظارة وليس بها مكان خال، ولكن سرعان ما قدمت إلينا المقاعد ووضعت لنا أمام الصف الأول وكم كان جميلاً من الممثلين أن يظهروا على المسرح فى أثناء الاستراحة لتحيتنا .

قصر الطلائع :

بدأنا فى اليوم الثانى من زيارتنا لشانجهاى بزيارة هذا القصر الفاخر الذى يقع فى أرقى أحياء المدينة، وتحيط به حديقة غناء، وقد كان منذ ثلاثين سنة ملكاً لتاجر إنجليزى، ووجدنا فى استقبالنا عدداً من الطلبة والطالبات، لا تتجاوز أعمارهم السادسة عشرة يرتدون زياً خاصاً فالبينات بجونلات وبلوزات

موحدة من لونين والأولاد يرتدون بنطلونات طريئة وجاكينات قصيرة بأزرار مذهبة وفوق صدورهم شارة ترمز إلى التفوق أو المادة التي امتازوا فيها، وكانت طريقة استقبالهم لنا وترحيبهم بنا رائعة جميلة .

وقد رافقنا هؤلاء الطلبة والطالبات مع بعض القائمين على شئون المعهد في جولة لمشاهدة مختلف أقسام المعهد ؛ وقد علمنا أن حوالى ٢٠٠٠ تلميذ يحضرون يومياً للتمرين والدراسة في مختلف الفروع كل على حسب مؤهلاته وميوله سواء كانت رياضية أو فنية أو عملية . . الح و يقوم بإلقاء المحاضرات على التلاميذ نخبة من الأساتذة الممتازين والعائدين من الخارج لتزويدهم بآخر ما وصلت إليه الدول من تقدم أو نهضة في مختلف المبادئ .

وفي البهو الكبير الذى يتوسط القصر وجدنا حوالى ٦٠٠ تلميذ يستمعون في هدوء واهتمام لمحاضرة أحد العمال الذى اخترع نوعاً من الفاز (الزهريات)

وبعد انتهاء مدة الدراسة المحددة يعود التلاميذ إلى مدارسهم كرواد أو مدربين لباتى زملائهم. وقد دهشت وسررت من ذكاء التلميذ الذى رافقنى وزودنى بهذه المعلومات فى جولتى ، وقد انتهت زيارتنا بنفس الحفاوة التى قوبلنا بها .

١٩٥٨/١٠/١٩ :

وعندما علمت مرافقتى بأنى مسلمة ذهبت معى وصلينا الجمعة مع بعض الزميلات فى مسجد شوفينان واستقبلنا إمام الجامع السيد محمد خضر الذى علمت منه أنه يوجد فى شائجهاى نحو ٣٣,٩٠٠ مسلم وعدد السكان ٧ ملايين نسمة .

وقد أهديت الإمام نسخة من القرآن الكريم ، فسر بها جلدًا .

كيف تخلصت الصين من الرواسب الاجتماعية ؟

كان من ضمن برنامج الرحلة زيارة قرية Tso yung وهي قرية نموذجية أنشئت سنة ١٩٥١ بعد التحرير (سنة ١٩٥٠) وانتقل إليها السكان الذين يربو عددهم على ٣٠,٠٠٠ نسمة وسوف تستوعب بعد الانتهاء من بعض المباني حوالى ٩٠,٠٠٠ نسمة وقد روعى فى الإسكان أولوية الحاجة ، إذ أن عدداً كبيراً منهم كان يعيش فى العراء وفى قوارب خشبية ، وعهد إلى لجان خاصة مكونة من بعض السكان فى تقرير الحاجة لكل طالب سكن كما روعى فى تخطيط هذه القرية النموذجية إنشاء خمس مدارس إعدادية وخمس دور للخضانة وأربعة أسواق للخضر وعيادات خارجية للعلاج ومكتب بريد وبنك وناد للرياضة ودار كتب وحديقة عامة ومستشفى كامل المعدات وسبعة مكاتب للتليفونات العمومية وحمامات ومحطات لبيع الماء المغلى للشرب . ومما يبعث على العجب أن الأمية قد انمحت فى هذه القرية بفضل دقة هذا التخطيط ، وأصبح كل السكان يعرفون القراءة والكتابة اللهم إلا عددا قليلا منهم لا يزيد على ١٨٠٠ نسمة وهم طائفة العجزة والمرضى من الطاعنين فى السن .

كما تكونت لجان من السكان للإشراف على الصيانة والنظافة . وقد أنشئ مطعم للأماكولات الجاهزة لمن لا يستطيع طهو الطعام فى منزله من أسر العمال وبعضهم يأكل طول الأسبوع عدا يوم الأحد فإنهم يتناولون الطعام مع أسرهم فى المنزل .

ثم ذهبنا إلى قاعة الاستقبال (على حسب خطة البرنامج) لتناول المرطبات بعد جولتنا فى القرية النموذجية وكانت تصحبنا السيدة تسو مديرة إدارة المدينة بدار بلدية شانج هاى وقد شاء خلقها الكريم أن تزودنا بمعلومات عن البيئة الصينية قبل وبعد الاحتلال ، وتركت الأرقام تتكلم — وما أعظم لغة الأرقام — قالت السيدة تسو : « كانت شانج هاى مخنلة لوقت طويل مما خلف لها مشكلات اجتماعية خطيرة كالسرقة والقمار والبغاء وإدمان الأفيون ... الخ حتى لقد خصصت

بيوت للبغاء الرسمى بلغ عددها ٨٠٠ تضم نحو ٤٠٠٠ من النساء المرخصات وكان اللصوص موزعين على الأحياء فبعضهم متخصص فى سرقة الموائى وبعضهم للمحال العامة وآخرون فى محطات القطارات وكل رئيس فى هذه الأحياء يتبع المدير العام الذى يقوم بتوزيع المسروقات والغنائم .

أما عدد محترفات البغاء فقد كان ثلاثين ألفا غير مرخصات وكان ذلك فى أوائل عهد التحرير حسب الإحصاءات الرسمية .

أما عدد اللصوص والبلطجية فكان ١٣٠,٠٠٠ .

تنبهت حكومة التحرير الصينية إلى هذه الرواسب الاجتماعية فقامت بثورة على هذه الأوضاع العفنة الفاسدة التى خلفها الاحتلال البريطانى والفرنسى وأخذت سبيلها إلى العلاج الفورى فأغلقت دور البغاء بالضرب على أيدي المجرمين العابثين ، ثم أقامت المصانع والملاجئ والمستشفيات وشكلت لجاناً متخصصة لبحث ودرس حالة كل فئة وتوجيهها للعمل فى المكان الذى تصلح له التماساً للكسب الشريف ، أما المرضى منهم فكانوا يلقون العناية التامة بالمستشفيات ثم يدرسون على العمل الذى يتناسب مع حالة كل فرد منهم صحياً وعقلياً .

وهكذا استطاعت الصين الحديثة التخلص من تلك الوصمات الاجتماعية بفضل نشر الوعى بين السكان .

وكانت محدثى عن هذه الثورة الاجتماعية هى إحدى رائدات هذه الحركة .

زيارة مدير مكتب السياحة فى شانجهاى :

مصلحة السياحة يضمها مبنى فخم كبير ولكنه قديم ويوجد المدخل الكبير بضع نوافذ لحجز التذاكر والاستعلامات والطرود وجد رانه مزينة ببعض الملصقات والمطبوعات السياحية لمختلف بلاد الصين ، وكان المدير

فى انتظارى مع المرافقة فتبادلنا التحية وعبارات المجاملة ثم تحدثنا عن تاريخ الصين القديم والحديث ثم قال إن فى مصر من الجمال والآثار ما يترك أحسن الأثر فى نفس السائح ، وقال إنه مع نمو العلاقات والصدقة سوف يعمل المكتب على تنظيم رحلات سياحية لمصر مع تبادل السياح .

أما عن تنشيط السياحة الداخلية فى الصين فقد ذكر أن أول خطوة قامت بها مصلحة الطيران والسكك الحديدية هى تخفيض ٤٠ ٪ من الأجور داخل البلاد الصينية وعندئذ سألته : « هل هذا يرجع إلى جهود مصلحة السياحة وحدها » ، فقال : « لا إن الفضل فى ذلك يعود إلى التعاون بين جميع الهيئات المعنية بالسياحة » .

وهذا نموذج لما ينبغى أن تقوم به الهيئات المعنية بالسياحة عندنا ، ثم قال إن الصين الشعبية ترحب بالزائرين وتعمل على كل ما يحفزهم إلى زيارة الصين ثم أهدى إلى شارة المصلحة وهى موشاة بالميناء وأظهر اغتباطه بزيارتي له التى لم يكن يتوقعها .

ولست أغالى إذا قلت إننى كنت أول زائرة لهذا المكتب كمندوبة سياحة خارجية ، فقدمت إليه بدورى بعض الصور السياحية والمطبوعات التى تحمل اسم مصليحتنا ، ثم اصطحبني بعد ذلك لزيارة المتحف الأهلى القريب من المكتب فوجدت به بعض الأواني من الصينى والفخار وهى قريبة الشبه بالأواني المصنوعة فى مصر .

ثم ذهبنا إلى قسم الورق المقصوص على شكل أزهار وشخصيات ، ويعتبر هذا الفن من الفنون الدقيقة هناك ، فشكرته وعدت إلى الفندق لأبجل انطباعاتى .

مديرة مصنع الأقلام (البطل) :

تكلمت السيدة مديرة مصنع عن تاريخ المصنع وازدهاره ومراعاته للوفرة والجودة وزيادة الإنتاج وكيف أن العمال أقسموا على أن يصلوا بالقلم

الصيني إلى مستوى الباركر في خلال ٢٤ يوماً وكانت هي لا تصدق، ولكن الحقائق أثبتت أن القلم الصيني قد زاحم القلم الباركر فعلاً ولمست المنافسة الشديدة بين البطل الصيني والباركر الأمريكي .

ودعنا البطل ومصنعه وذهبنا لزيارة مصنع الالحاد، في القاعة الرئيسية على المائدة الكبيرة وجدنا مجموعة من الالحاد والمرجان في تماثيل بديعة من سن الفيل والالحاد بألوانه المختلفة من الأخضر إلى الوردى، وفي فناء المبنى توجد كميات من الأحجار الخام بالألوان الطبيعية من أخضر داكن إلى أرزق زاه ... الخ وتمر هذه الأحجار على مراحل في المصنع حتى تتطور وتأخذ أشكالاً متعددة فتصنع منها اللعب الصغيرة والتماثيل والزهرات ... الخ، والعمال يؤدون عملهم في منتهى الدقة والكفاءة ويعملون بالساعات وهم ذوو خبرة في هذا الفن، وقد صنع في معبد تماثيل بوذا بالحجم الطبيعي من حجر الالحاد يصوره جالساً وآخر نائماً وكانت رائحة البخور الزكية تنطلق من مبخرة أمام التماثيل .

هانشو جنة الأرض في الصين :

كانت هانشو تزعم قائمة الزيارات في البرنامج الذي وضع للمجموعة لأنها في اعتبار أهل الصين من أجمل المدن السياحية وهي تحمل اسم الجنة منذ آلاف السنين وعندما وصلنا بالقطار بعد أربع ساعات من شانجهاى إلى محطة هانشو لم نتبين جمال الطبيعة حيث كان الوقت مساءً فركبنا الأتوبيس إلى الفندق الذي حجز لنا فيه الاتحاد النسائي غرفاً لإقامتنا . وبرغم ظلام الليل فقد بهرنا موقع الفندق المطل على البحيرة مباشرة والأنوار تنعكس على صفحة الماء ، هذا إلى هدوء المكان وسكونه .

وقالت السيدة المرافقة : « إن هانشو تشتهر بهذه البحيرة التي تبلغ مساحتها نحو ثلاثة كيلو مترات من الشمال إلى الجنوب ونحو كيلومترين ونصف من الشرق إلى الغرب ومحيطها خمسة عشر كيلومتراً وطريق سومباى يقسم البحيرة إلى

إلى ثلاثة أجزاء؛ الخارجية والداخلية والخلفية وأجملها في نظري هو البحيرة الخارجية ففيها البرج الذي يعكس نور القمر على البحيرة وتحكى عنها معظم الاساطير القديمة .

كان الجو جميلا معتدلا فخرجت إلى شرفة الفندق الكبيرة المطلة على البحيرة ولولا متاعب السفر وطول مشقته لما فكرت في النوم، وقد فوجئت بدخول السيدة المرافقة إلى الشرفة واستفسرت مني عن سبب استيقاظي إلى هذه اللحظة فأجبتها بأني أشهد جمال الطبيعة فقالت: «وأنا كذلك»، ثم طلبت مني أن أرافقها إلى خارج الفندق لتحدثني عن هذه المشاهد الرائعة . — واستطردت في الحديث قائلة : « إن الذي شق هذا الطريق الذي يقسم البحيرة الحالدة والذي جددها وزينها بالأشجار وجعل الشعراء والفنانين يتغنون بمناظرها هو مستر باي شوى الشاعر القديم الذي كان الحاكم الإقليمي لها نشو . » ثم قادتني إلى حديقة الدكتور صان ياتسن San Yat Sen وهي تقع على مقربة من أول الطريق الشاعري الذي يقع فيه الفندق .

وعلى مسافة قريبة من الحديقة تناثرت الاكواخ الصغيرة ثم بقايا قصر قديم كان يستخدمه أباطرة أسرة شنج كاستراحة في أثناء أسفارهم ونزهاتهم وقد أصبح بعد ثورة سنة ١٩١١ أطلالا عني عليها الدهر، وبجانب القصر نصب تذكارى يرمز لانتصار جيش نانكين في نفس السنة .

وفي أثناء تجوالنا نظرنا إلى الساعة فرأينا أن الوقت قد تأخر فعدنا إلى الفندق . وفي صباح اليوم التالى لزيارة هانشو خرجت مجموعتنا من الفندق إلى نزهة بالزوارق الصغيرة التى تسير فى البحيرة وهى تختلف فى حجمها وهيكلها عن الجندول فى فينسيا . وكانت هذه الزوارق مجهزة بأربعة مقاعد تتوسطها منضدة صغيرة عليها ترموس شاي كبير مع الأكواب بالأغطية التقليدية، ثم قصدنا إلى الابراج الثلاثة التى تتوسط البحيرة وهى تشبه زجاجات (الفياسكو) وهى تعكس ضوء القمر على سطح البحيرة وتقع فى أعرق مكان منها .

ثم سرنا في طريق سو كوزواى وبای كوزواى وتتجلى شاعرية
وخيال أهل هانشو في إطلاق التشبيه الآتى على كل ما هو جميل رائع فيقولون
مثلا : « إن هذا الشيء يشبه في روعته وجماله فجر الربيع على طريق سو كوزواى
أو ضوء قمر الخريف على طريق باى كوزواى » .

جبل اكسير الحياة :

في غرب الحديقة الكبيرة وعلى سفح الجبل تقع المصحة الخاصة باتحاد
البحرية التجارية الصينية وقيل إنه حدث في القرن الرابع أن كان الكيائى (كى
هونج) يقوم بتجارب كيميائية على أنواع الأدوية للبحث وراء إكسير الحياة
فسمى الجبل بعد ذلك باسمه ، وهناك معبد البطولة والإخلاص نسبة إلى (البطل
هيوفاى) من أسرة سنج ١١٠٣ - ١١٤١ وهو الرجل الذى دافع عن الصين
وقهر الأعداء في عدة مواقع إلى أن دبرت مؤامرة لاغتياله من بعض الخونة
ودفن في حديقة المعبد مع ابنه ، وأمام المقبرة أقيم تمثالان من البرونز يرمزان
إلى الخائنين الذين اغتالاه ، وهذا هو أول عمل من نه رأيت في بلاد الصين
أو أى بلاد أخرى لأنه يعطى الشعب فكرة عن عظمة البطولة ونخسة ودناءة
الخيانة .

ثم تابعت رحلتى مع زميلائى واثنين من المرافقات إلى نافورة هانشو
وهى نبع طبيعى يقع وسط (باجورا) صغيرة وتسبح فيه أسماك ملونة وعلى
مقربة من المدخل لافتة كتب عليها (مملكة السمك السعيد) ، وبالقرب من
البحيرة الصغيرة وأسماكها السعيدة أقيم معبد صغير خلفه نبع طبيعى أطلق
عليه اسم (نافورة اللؤلؤ) وسمى بذلك إشارة إلى الطريقة الغريبة التى يخرج
منها الماء على شكل فقاقيع تشبه حبات اللؤلؤ في صفائها .

وكم كنا نود البقاء لمشاهدة جمال الأسماك والنافورات ، ولكن كان
أمامنا الكثير من المناظر كالمغارات ، والكهوف القائمة وسط الجبال الخضراء
الحميلة والتي لا تمل العين رؤيتها .

وقفت عند كهف يعرف باسم (الطريق الموصل للسماء) وعندما دخلنا هذا الكهف الممتد داخل الجبل وجدنا فتحة صغيرة في سقفه ينفذ منها شعاع رفيع من النور ولهذا سمي الكهف بهذا الاسم .

وبعد هذا صعدنا إلى الجبل نفسه لمشاهدة (بافيليون) أى جوسق أقيم كتذكّار لإحياء ذكرى نفس البطل (هيوفاى) فى منتصف المسافة بين قمة الجبل وسفحه .

ثم أمضينا يوماً كاملاً فى الصعود إلى الجبال وزيارة المعابد القديمة ، والنافورات وينابيع المياه المعدنية ومن أهمها عين (نبع النمر) ويقال إنه حدث فى الماضى السحيق أن أحد النور عطش عطشاً شديداً دفعه إلى حفر حفرة فى أحد الكهوف لعله يصل إلى الماء الذى يروى ظمأه فتفجرت منه هذه العين التى روت ظمأه فأطلق عليها من ذلك الحين (عين النمر) .

وهذه العين غنية بالمعادن التى اختلطت بها المياه فجعلتها صافية رقراقة وأكثّر رواد هانشو يفضّون صنع الشاي من مياه هذه العين . وبجانب هذه العين معبد وباجودا نضم فبر الراهب (شى كونج) ولا يوجد بلد أغنى من هانشو فى جمال الطبيعة ولا فى مجموعة الباجودا والمعابد الفريدة الرائعة فى بطون الجبال .

الباجودا ذات سبعة الألحان :

تقع الباجودا فوق جبل يخيل إليك وأنت تنظر إليها من الخارج أنها تضم ١٣ طابقاً، ولكن السلم الحلزونية من الداخل توصل إلى ٧ أدوار فقط . والألحان السبعة ترمز إلى فوائين البوذية وهى : الجسم — والكلام — والفكر والاقراء — العقيدة — الغنى — التحكم فى الرغبات .

وفى الدور العلوى ونحن نستمتع إلى تاريخ المعبد كانت البحيرة بأجزائها على مرمى البصر فسبحان الخلاق العظيم!! وعلى رأى زميلاتنا السوريات .
« يا لطيف على الجمال ! » .

و كنت أود أن أسجل انطباعاتى على كل ما وقعت عليه العين ، ولكن الوقت كان ضيقاً ومحدوداً لم يسعنى فى تحقيق هذه الأمنية .

وعندما هبطنا من الجبل مررنا بمزارع الشئى بجانب (بئر التبن) وهناك كان منظر المياه وهى تنحدر من كل مكان فى الجبل وأحراج البامبو الى تحتضن طريقاً طوله نحو كىاو متر وأشجار البامبو على الجانبين تحجب عنه أشعة الشمس ، ومن العجيب أنه حتى فى هذه المنطقة أقيم معبدان أتريان وتندخيل إلى أنى تأتية بين هذا التراث الحالى والمناظر الخلابة .

وفى نهاية هذا اليوم الحافل بالزيارات عدنا إلى الفندق وألستنا تسبح بذكر الله وصنعه الذى أنقن كل شئ والذى يسر لى القيام بهذه الرحلات الممتعة الحافلة بالعجائب والطرائف من حضارات قديمة وعادات وتقالييد غريبة .

زيارة مصنع الحرير الطبيعى والقطيفة :

كانت مديرة المصنع هى إحدى العاملات فيه وقد بدأ بآلة غزل بدوى واحدة وبعد فترة من الزمن لا تتجاوز ٣٦ سنة أصبح عدد المغازل ٣٥ عددا الماكينات ، وبلغ عدد العمال ١٨٠٠ عامل ، وينقسم المصنع أقساماً أحدها للتصوير وآخر للرسم وآخر للتكبير ثم نقل الرسم بالتخريم على القماش ثم التحضير وأخيراً النسيج ، ومن منتجات المصنع الحديث حقائب اليد للسيدات والمناديل والإشارات والكرفات . . . الخ .

وكانت المجموعة المعروضة فى مكتب المديرة نماذج لإنتاج المصنع وهى آية فى الدقة والجمال الفنى خصوصاً المناظر الطبيعية والألوان الزاهية المنقوشة على المفارش المتعددة الأحجام .

وقد ألحق بالمصنع مستشفى ومكتب للإدارة وناد رياضى .

وأهم مالفت نظرنا أن هذا المصنع يمنح العاملة أجازة وضع لمدة شهرين بمرتب كامل مع مراعاة نوع العمل فى أثناء الحمل .

مصحة العلاج الطبيعي في الجنة :

يقع المبنى الناصع البياض ذو الطابقين والشرقة العريضة و الحديقة المدرجة الجميلة على ربوة متوسطة الارتفاع تطل على الجنة

كانت في استقبالنا مديرة المصحة وهي سيدة مهذبة تشرف على المدار من الناحية الإدارية ومعها مشرفات اجتماعيات إلى جانب عدد من الأطباء الاكفاء في الأمراض الباطنية كضغط الدم التهاب الرئوى والروماتزم .. الخ ، و علمنا منها أن طريقة العلاج في المستشفى تختلف عنها في المستشفيات فهى تفوم بالعلاج بواسطة الكهرباء وأشعة إكس ، ويوجد قسم للأمراض النفسية ويعتمد العلاج فيها على الطب الطبيعى كالرياضة البدنية والعقلية التسلية . الخ .

وينظم المستشفى رحلات أسبوعية في الخارج كما تقام حفلات موسيقية بجمع كل الثلاثاء ، ومدة العلاج شهر قابلة للتجديد ويدفع المريض ٢٠ / من المصروفات فقط وتدفع الباقي نقابة العمال . أما الأدوية فعلى حساب المصانع وقد حرصنا على زيارة كل أقسام الدار ثم جلسنا فى الشرفة نستمتع إلى موسيقى خفيفة وأمامنا بانوراما رائعة ، وما أجمل وما أبدع منظر غروب الشمس على البحيرة الغنية بالحدائق والأشكال المختلفة .

عدت إلى الفندق عند غروب الشمس وكان مدير مكتب السياحة انتظارى وقد علمت منه أن المكتب ينظم رحلات لزوار هانشو الذين يحضرون عادة للراحة والاستجمام ، وقال إنه يوجد إلى جانب هذه الرحلات السياحية زوار يقدون إلى هانشو للمعاملات التجارية والاطلاع على ما تنتجه المصانع ، كما توجد فى هانشو معاهد زراعية ومصانع للحير الطبيعى والفطيفة وهذه الأماكن تحمل الرواد على زيارة هانشو ، كما أخبرنى أنه يوجد بها ست جامعات ومعاهد للمعلمين والمعلمات ، وقال إن المكتب يتبع بكنين فى الإدارة وهى التى يتصل بها السائح عند وصوله لأرض الصين ثم يتصل بمكتب بكنين بالجهات التى سوف يمسدها الزائر لتتولى إرشاده .

سألته عن طريقة الدعاية عندهم فأجاب بأن أهمها المطبوعات لمعرفة البلد ومنها الخاص بكل منطقة على حدة . ويوجد قسم للترجمة ملحق بالمكتب فيه من يجيد الإنجليزية والفرنسية، وعندما سأله عن اللغة العربية أجاب بأنهم في صدد تدريب بعض الموظفين على تعلمها وأنهم عند الحاجة يستعينون بطلبة الجامعات لمرافقة الزوار ، ثم أهداني صوراً جميلة للفندق من الداخل والخارج وبعض المطبوعات عن هانشو فشكرته، وانتهت المقابلة على أن نعمل على توطيد العلاقات وتبادل الزيارات بين البلدين وقد أشاد في حديثه بيورسعيد الباسلة .

اذاعة القطار :

عندما تحرك القطار من هانشو في طريقنا إلى بكين سمعت كلمات التحية والترحاب بالركاب ، وأخذت أتساءل وأنظر يمينا ويسارا لعل أجد راديو ترانزيستور أو أى شئ من هذا القبيل ، فلم أجد شيئا ، ثم توقف الصوت الرقيق الذى كان يتحدث وتاه في مناقشاتنا وتعليقاتنا عن وداع أعضاء الاتحاد النسائي الحار لنا وحفاوتهن وتكريمهن لنا . وبعد فترة قصيرة سمعت الصوت من جديد يصف المنطقة التى يمر بها القطار والمحطة التى كان على وشك الوصول إليها .

سألت (مس نى) المرافقة للوفد عن مصدر هذا الحديث . . فقالت : « إنها مذاعة تتحدث من محطة إذاعة فى القطار الذى نستقله ، هل تريدون أن تزورى هذه المحطة ؟ » . . فرحبت بذلك طبعاً .

قمنا بالمرور على عربة بعد عربة حتى وصلنا فى النهاية إلى غرفة أو ديوان صغير به جهاز كبير هو راديو وجهاز إرسال ومكبر صوت وجرامافون لإذاعة الأسطوانات الموسيقية ، كما يوجد به سرير مرتفع تحته مقعد تجلس عليه آنسة فى ربيع العمر ، وعندما سألتها بعد التحية عن عملها قالت : « أنا تخرجت من مدرسة السكة الحديدية المتوسطة وهى خاصة بأولاد موظفى المصلحة

وأعمل في محطة الإذاعة المتنقلة منذ سنوات ، ثم قالت « أنا أعمل ثلاثة أيام في القطار وثلاثة أيام في بلدى هاتشو وفي هذه الأيام الثلاثة أستجمع معلومات وأعمل في الحقل مع أولاد بلدى يوماً ، ويوماً آخر في المصنع حتى أكون على علم بكل ما يجرى في هذه المناطق ، ثم إنك لاشك تعلمين طول المسافة بين بكين وهانشو فأنا أعمل على تقصيرها بالنسبة للركاب المواطنين ثم أقوم بشرح معالم البلاد للأجانب لتعريفهم بالمناطق الهامة ومنتجاتها وما تشتهر به حتى يجد كل زائر ما يريد معرفته عن كل بلد ، فالزراع مثلاً يرغب في زيارة مزرعة نموذجية وآخر ينشد زيارة المصنع وهكذا .. فقلت لها : « وكيف تقومين بتسلياة أهل البلد ؟ » . قالت : « أذيع بعض القطع الموسيقية ومن خلالها أوجه نظر الركاب إلى المحافظة على نظافة القطار وخصوصاً (دورة المياه) ، ثم أذيع عليهم نشرة الأخبار المحلية وبعض الأخبار ذات الأهمية من الخارج ثم بعض الفكاهات والفوازير والقصص القصيرة ثم أنبه الركاب إلى اقتراب المحطة التي سينزلون بها فربما كان من المسافرين المواطنين ولكنه يسافر لأول مرة ... وأنا أعشق عملي هذا إلى أقصى حد » . ومن عجب أنى رأيت المديعة تتكلم بحماس وثقة فشكرتها وعدت إلى الصالون وأنا أذكر بهذه المناسبة حادثاً معيناً في قطار أسوان ، فقطار الليل يقوم من القاهرة في الساعة الثامنة مساءً ويصل الأقصر في الساعة السابعة صباحاً ثم يستأنف السفر إلى أسوان فوجدت بعض السياح يتساءلون عن اسم المحطة التي وقف عليها القطار — وكانت محطة الأقصر — الذى كان على وشك القيام وكان هدفهم / محطة الأقصر طبعاً ! !

بكين :

بعد ذلك قمنا بزيارة قصور الإمبراطور وغرفها تعد بالآلاف وقد قام بتنفيذ بنائها أحد عشر مهندساً واستغرق البناء ثلاث سنوات وعمل فيه أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ عامل ثم زرنا معبد السماء وحديقة السلام ، والواقع أن مدينة بكين غنية بالمتاحف والقصور والحدائق .

مرصد بكين :

وقد لفت نظرى مبنى دائرى كبير شبيه بمسرح البالون فى القاهرة يقع فى أحد ميادين المدينة العظيمة . ولم يكن ضمن برنامج الزيارات الذى وضع لنا ، وكنت فى فترة الفراغ أو حرية الانتقال فرجوت السيدة المرافقة أن نقضى به بعض الوقت فذهبنا إليه ووجدنا صالة عرض كبيرة تحتوى على مجموعة أجهزة فلكية وتليسكوب وآلات دقيقة وساعات زمنية . وفى أثناء مشاهداتى لهذه المعروضات تركتني الآتسة المرافقة وذهبت تسأل أحد القائمين على شئون العمل هناك عن شئ وعندما عادت وجدتني تبسم وتقول : « يظهر أنك راغبة حقاً فى مشاهدة هذا المرصد » ، فقلت لها : « طبعاً لماذا ؟ » . . قالت « هناك فترة الشرح الثانية بعد عشر دقائق ويوجد أماكن إذا أردت » فسررت بذلك وأخذنا أماكننا فى البهو المستدير وأول ما استرعى نظرى التابلوهات المعروضة على الحوائط المستديرة والتي تصور مدينة بكين بمبانيها الكبيرة وأشهر معالمها ، أما طريقة الإضاءة فهي فى غاية الدقة والمهارة .

ثم بدأ الشرح ابتداء من شروق الشمس إلى غروبها وقضينا نحو الساعة بين الكواكب والأبراج والسماء بنجومها وكأننا نعيش فعلاً فى هذه الجولة بين الشمس والقمر والكسوف والخسوف وكانت محاضرة شائعة فى عالم الفلك مبسطة يستطيع أن يهضمها المرء حتى لو كان محدود الثقافة . .

وينتهى العرض بتحية لطيفة من المديعة . وقد علمت أن هذا المرصد يقوم بهذا العرض ثلاث مرات يومياً حتى يعطى الفرصة لكل الزوار سواء من الأجانب أو المواطنين للاستمتاع وتنمية المعلومات ولم نسمع حتى الهمس فى أثناء هذا العرض القيم العظيم .

زيارة مكتبة بكين العامة :

استقبلنى مدير المكتبة فى صالون أنيق ورحب بى باسم المكتبة وموظفيها كزملة وأمينه سابقة لإحدى المكتبات وبدأ يقص على تاريخ المكتبة قبل أن

أسأل قائلًا : « تأسست هذه المكتبة بواسطة وزارة التربية في عهد أسرة تشن سنة ١٩٠٢ ، وعندما تحررت البلاد سنة ١٩٣١ اتسع المبنى وبدأ بمليون كتاب ومائة موظف أما الآن فتضم المكتبة ٥ ملايين مجلد ومائة ألف ونحو ٤٠٠ موظف ولها فروع في كل بلاد الصين وبها مجموعات خاصة من مختلف الهيئات ومن البلاد الأخرى بطريقتة التبادل ، ويوجد هنا مجموعة نخرائط قديمة وقيمة . وبعد زيارة أقسام المكتبة والاطلاع على المخطوطات القديمة عاينت أن المبنى كان اسطبلًا لخيول الإمبراطور .

وقد وجدت بعض الكتب العربية منها : تقرير رقم ١ عن مرض المانثريا : من سنة ١٩١٩ إلى ١٩٢٠ وقصة رد قاي ليوسف السباعي ، والذئاب الجائعة لمحمود البدوي — قاموس المنجد — مفتاح العلوم . . الخ وكتب في الفلسفة ونسخة من القرآن الكريم والتفسير .

ولما سألت أحد الأمناء عن السر في عدم وجود كتب عربية إلا هذا النزر اليسير منها في هذه المكتبة الكبيرة قال : « إنه يرجع إلى عدم وجود من يعرف اللغة العربية ، ولكن يوجد الآن عدد لا بأس به من الطلبة المهامون العربية في الجامعة وقد اتصلت مكتبة الجامعة بالسفارة المصرية في بكين وتبادلت بعض المطبوعات مع دار الكتب بالقاهرة »

وإنني أرجو بهذه المناسبة أن تتسع حركة التبادل الثقافي بيننا وبين الصين .

وقد وجدت في أثناء مروري في قسم المخطوطات القديمة كتباً هي لتأليف من نوع يشبه ورق البردي عبر عليها في المقابر ولم تتأثر بمرور الزمن كما شهدت بعض الكتابة القديمة على ظهور ساحفنة ، وهي موضوعة في خزانات صغيرة ، وهناك دابة معارف تحوى تفسيراً لبعض المقطوعات من اشهر الصينى القديم .

ويوجد قسم لتجديد الكتب القديمة بطريقة كيمياوية بواسطة مساحيق وتستغرق هذه العملية وقتاً طويلاً ولكنها في النهاية ناجحة .

وفي المعرض الصناعي :

قضيت في هذا المعرض ساعتين مع إحدى أعضاء الاتحاد وهو يقع في مبنى حديث يطاق عليه المبنى السوفيتي ، وهو في غاية الفخامة ومقسم إلى أبناء كبيرة في كل منها خريطة مفصلة توضح مدى اتساع الصناعات المعروفة في كل بلد من بلاد الصين ، ويحوى عدداً من نماذج المصانع . وقد استرعى نظري كثرة عدد الطلبة والطالبات الذين يشرفون على هذه النماذج التي يتولون شرحها ولا يزيد أعمارهم عن الثامنة عشرة ، ثم وقفنا أمام قسم الصناعات الطبية وسألت الطالب الذي كان يشرح لأحد الزائرين جهازاً حديثاً لعلاج مرض السل عن كيفية استعماله ، سألته (الآنسة تاي) : « كم سنك وهل أنت طالب ؟ »

أجاب : « نعم أنا طالب أذهب إلى المدرسة صباحاً وعمرى ١٣ سنة وأنا أعمل هنا متطوعاً بعد الظهر وهذا لا يتعارض مع فترة الدراسة » .

قلت « إنك تقوم بشرح هذا الجهاز الطبي فهل ستدرس الطب مثلاً ؟ »

أجاب المرشد الصغير : « لا أعلم بعد ولكني أحصل على معلومات عامة لأخدم بلادي مستغلاً وقت فراغي » .

وفي صالة أخرى وجدت طالبة عمرها ١٥ سنة كانت تضع على صدرها شارة الطلائع تقف بجانب نموذج لمنجم كبير خارج بكين . وكانت تدير جهازاً كهربائياً يصور العمل في المنجم تقوم بشرح أهميته وكيف أنه أمن العمال الذين شيدت لهم منازل قريبة من المنجم ومستشفى ودار حضانة ومكتبة وناد .. الخ ، وكانت تتحدث عن كل هذا بلغة الأرقام والإحصاءات .

وقد لاحظت أن الكل يعمل في نشاط وهمة و شعور بالواجب . فقبل أن تسأل تجد المكلف بالشرح يبدأ بالتحية ثم الشرح ، وقبل انتهاء الموعد المحدد للزيارة رأيت المشرفين على البهو يقومون بتنظيف وترتيب المعروضات حتى تظهر في اليوم التالي كأنها تعرض للمرة الأولى .

ولم أر في أثناء زيارتي لكل أقسام المعرض أوراقاً متناثرة أو أعقاب سجاثر على الأرض أو علامة على الحائط أو على الأرض مع أن عدد الزوار كان كبيراً جداً .

وقد أدهشني النشء الحديث المثقف بنشاطه وروحته الوطنية الوثابة وحرصه على وقته ، وهذا هو عنوان النهضة والتقدم في أي شعب .

النادي الرياضي الأهلي في بكين :

كان ملعب (الباسكيت بول) في أحد أبناء النادي الكبير وكان يلعب فيه فريق منغوليا مع فريق الصين في أثناء زيارتي ، فحضرت المباراة إلى أن انتهت بفوز الصين ، ثم واصلت زيارتي للنادي فشهدت حمام سباحة طوله ٥٠ متراً وهو معد لإقامة المسابقات ثم حماماً أصغر بجانبه للتمرين ويتسع لألف متفرج في المدرج الخاص به .

وقد نفذت إلى أنفي رائحة زكية عند دخولي باب المبنى الكبير تشبه الكافور وهو سائل لتنقية الجو وتطهيره وعندما سألت عن عدد من يتدربون

فيه قيل لي إن عدد من يؤمنه يومياً لا يقل عن الخمسمائة ، والفرق الأولى لا تدفع اشتراكاً أما الفرق المتوسطة والمبتدئة فإنها تدفع اشتراكاً رمزياً . وفي مدخل المبنى أقيم تمثالان بالحجم الطبيعي لبطلين من الأبطال « فتاة وفتى » .

أما خط الأتوبيس الموصل للنادي فيعتبر من أهم الخطوط ، وهو سريع ونظيف ومنتظم يقوم كل ثلاث دقائق والمحطة على بعد خطوات من النادي .

مشاهدات وتجارب المرأة في الصين :

يرجع عهد تحرر المرأة الصينية وتحررها من التقاليد القديمة إلى ما يقرب من سبعين سنة تقريباً .

وكانت « تشيوتشن » الشاعرة أول من حمل لواء هذا التحرر حيث أخذت في التمهيد للحركة الوطنية والنهوض بها منادية بمساواة المرأة بالرجل معبرة عن مبادئها بين الجموع بشعر حماسي كانت تنفذ معاريه إلى القلوب والافتدة ، ولم يكن هناك مفر من أن تواجه « مانشو » إلقاء القبض عليها وإيداعها السجن في عام ١٩٠٧ ، ولكن بعد أن أثبتت بدور التحرر وحصلت المرأة الصينية على مساواتها بالرجل مساواة كاملة أصبحت تتمتع اليوم بـ ١٤٨ مقعداً في البرلمان الصيني وهذه نسبة مرتفعة جداً إذا قورنت ببرلمانات العالم .

لقد نالت المرأة النصر بعد نضال عنيف واستردت حقوقها بعد أن كانت مسلوبة ، كانت تضرب وتهان فأصبحت تكرم وتضان ، استطاعت القضاء على المثل الصيني القديم « إن الزوجة التي تضرب تصبح كالعجينة اللينة » كان القانون يبيع ضربها فأصبح اليوم بفضل نضالها يحرمه ويحميها ، لقد حصلت المرأة الصينية منذ إنشاء الجمهورية الصينية الشعبية على جميع حقوقها .

تعقد المؤتمرات النسائية في الصين بصفة منتظمة ويشترك في كل مؤتمر ما لا يقل عن ١٣٠٠ امرأة يمثلن مختلف طبقات الشعب من العاملات والموظفات والفلاحات . . . الخ ، وبفضل انعقاد هذه المؤتمرات تمكنت ١١٣ مليون سيدة من العمل في كافة الميادين مع الرجل جنباً إلى جنب .

في الزراعة تشترك المرأة في فلاحه الأرض وريها مستعملة الآلات الحديثة وتسهم مساهمة فعالة في جميع الصناعات الثقيلة منها والخفيفة ، كما أنها قطعت شوطاً بعيداً في التجارة والاقتصاد والفنون والخدمة الاجتماعية ، كما أنها انضمت للجيش ، فهناك سيدات حصلن على رتبة « قائد عام » .

ولم تهمل المرأة الصينية يوماً ما على الرغم من هذا التطور السريع ما توارثته من الأجيال الماضية من فن حياكة الملابس وخاصة شغل الإبرة (البرودرى) ذات الشهرة العالمية والتي لا يضارعها أحد فيها .

وللمرأة الصينية التزامات أخرى تؤديها بنفس العناية وبحكم وضعها الطبيعي ، فهي أم مثالية وربة بيت تعتر بيتها فتنظمه في جدود إسكاناتها وتهتم كذلك بالطهو فتتحف أسرتها من آن لآخر بوجبة سمك أو أكلة من البط الصينى — وهى أفخم وجبة صينية — أو بالحلوى المفضلة « حساء الأناناس الساخن » .

وقد حدد القانون سن الزواج فجعله اليوم ، ١٨ سنة للفتاة و ٢٠ سنة للفتى ، ومن دلائل الرقى والتقدم فى هذه البلاد ازدهار صناعة وإنتاج الأفلام السينمائية التى انتشرت وحلت محل الأفلام الأمريكية التى كانت تعرض فى دور الدرجة الأولى بالرغم من الأضرار التى كانت تعود على البلاد منها بسبب الدعاية الرخيصة التى كانت تقوم بها . وقد وفق المهيمنون على السينما إلى تسجيل معظم قصص النضال وأدوار البطولة التى لعبتها المرأة فى الصين ولا سيما أثناء حروب العصابات الصينية ضد القوات اليابانية المحتلة وفنداك وإننا لنلمس فى هذه الأفلام قيمة المرأة الصينية وفضلها فى خدمة الوطن والدود عنه ، ولقد اشتركت النجمة السينمائية (مانج سانج) كعضو فى المؤتمر الآسيوى الأفريقى الذى عقد فى مصر أخيراً فكانت خير سفير لأمته .

وكان من بين أعضاء هذا المؤتمر أيضاً الأدبية مسز « تشن » والتى رافقتها مع بقية أعضاء المؤتمر إلى الأقصر ، ولشدها أعجبنى فيها قوة ملاحظتها ودراستها للتاريخ المصرى القديم ، وقد برهنت على ذلك بالمقارنة بين مقابر ملوك الفراعنة فى وادى الملوك وبين المقابر القديمة فى الصين من حيث تسجيل حياة وتاريخ الملك صاحب المقبرة وانتصاراته وحروبه ، وقد نظمت قصائد عن كل بلد مصرى زارته وكل ما أعجبت به كالنيل وبور سعيد والأهرامات والأقصر .

وقد تجاذبنا الحديث عن أزياء المرأة الصينية فقالت إن لكل إقليم ملبسه الوطنية المميزة له ، فمثلا في مقاطعة لاهيا يعتبر زى المرأة هناك من أجمل الأزياء الصينية فهى ترتدى روبا دون أكمام حتى القدم وجاكته بأكمام طويلة من الحرير الأحمر تحت هذا الروب وتلف حول وسطها حزاما عريضا يظهر رشاقة جسمها بشكل واضح .

وقد يدهش القارئ إذا علم أن المرأة فى الصين هى التى تقوم بصناعة الأحذية من بقايا الأقمشة لها ولزوجها وأولادها ، كذلك تصنع الجاككات القطنية المبطنة (الكابيتونية) وتقضى ربة البيت وقت فراغها فى الحياكة بعد أعمال المنزل ، وأما العاملة الصينية فشهود لها بالدقة والصبر والجلد .

فمثلا عندما افتتحت السفارة المصرية فى بكين ووصل معظم أئاثها فى حالة تستدعى الترميم ، تولت هذه المهمة (مسزىنج) فأظهرت مهارة فائقة فى فن النجارة إذ أعادت كل شئ فى الأثاث إلى أصله .

والمرأة فى الصين تهوى الزينة بشكل واضح فهى مغرمة بارتداء عقود من الخرز الملون والأساور العريضة والملابس ذات الألوان الزاهية .

وتتميز ملابسها بفتحة فى الجونلة الضيقة الجنبين تصل إلى مافوق الركبة وبياقة منشئة عالية مقفولة بشريط أو بروش ، وعادة تكون مطرزة وكذلك فتحات الجونلة .

والمرأة الصينية لاتستعمل المساحيق فى وجهها قط ولكنها تستعمل مزيجاً من الدهان أو الكريم للوقاية من الشمس والرياح ، أما شعرها الأسود الفاحم فتستعمل له نوعاً من الزيت النباتى لتقويته وزيادة لمعانه وتضع القليل جدا من أحمر الشفاه فى المناسبات .

الشرق الأقصى

إكانت حتمية السفر غير مغلفة في أثناء إقامتي بالصين سواء في القطارات أو في الفنادق ، وكنا نترك أثمن ما عندنا في غرف الفنادق أو في أى مكان ثم نجده في مكانه كما تركناه ، وكنت قد اشتريت من مدينة شانغهاى أربعة فوانيس للزينة مصنوعة من الحرير المشغول وهى من الصناعات التى تشتهر بها الصين ، وفى طريق العودة نسيتهما فى فندق كانتون وبعد يومين وفى فندق هونج كونج استلمت الصندوق الورق الذى يحوى المصاييح وكان اسمى وعنوانى مكتوبين عليه ، ولكن فى هونج كونج سمعت عن الأيادى السحرية الخفيفة وعن ضرورة إقفال الحقائق فسارعت بشراء قفل للحقيبة التى لم تغلق فى أثناء الرحلة كلها .

تناولت آخر وجبة صينية فى محطة سكة حديد كانتون وقد استعملت العصي فى الأكل بمهارة مردها إلى الجوع والتمرين وعدم وجود ملاعق أو شوكة . ثم مررنا على مبنى كبير نظيف هو مركز الحجر الصحى بعد الجمر كطبعاً ، ودخلنا فى حدود هونج كونج الإنجليزية فوجدت القطار يختلف نوعاً ما عن القطارات الصينية ، وكانت المناظر خلابة من بحيرات وجبال إلى مراعى خضراء والكوكاكولا واللبن والفول السودانى كل ذلك موجود فى القطار .

وصلت هونج كونج بعد ساعة ونصف وحالفنى التوفيق إذ عثرت على غرفة فى فندق كلوثر الفخم وأخذت معى حقيبة واحدة وأرسلت باقى الحقائق إلى الباخرة (تشوسان) الإنجليزية التى كنت سأستقلها فى طريقى إلى الوطن العزيز بعد قضاء يومين فى ميناء هونج كونج ذلك الشجر الكبير الذى كنت أحلم بزيارته والذى كنت شديدة الرغبة فى رؤية معاملة قبل القيام بجولاتى فيه خصوصاً وأن مدة إقامتى كانت قصيرة :

كانت جزيرة هونج كونج إحدى ممتلكات عائلة صينية أرستقراطية حتى عام ١٨٤٠ في عهد أسرة يونج، وعندما احتلتها بريطانيا كان تعداد سكانها نحو ٢٠٠٠ نسمة من الصينيين .

ولما زرتها وجدتها تختلف وتتميز عن باقي الموانئ بمالها من طابع فريد ومناظر طبيعية مختلفة لا تبعث على الملل بل تحفز الزائر على الإحاطة بكل ما فيها ومن فيها .

وأول ما قمت به في جولتي السريعة في الجزيرة زيارة قمة جبل فكتوريا وهي أعلى قمة في الجبال هناك، ويبلغ ارتفاعها ١٨٠٩ أقدام، ومنها يشاهد الزائر الجبال الخضراء والغابات الواسعة وزرقة السماء التي تنعكس على صفحة البحر والمباني ذات الطلاء الأبيض الناصع، وناهيك بالحركة الدائمة فيها كمركز تجارى من الدرجة الأولى .

وعلى الرغم من أن سلسلة الطرق سواء في الجزيرة أو في الجبال على جانب كبير من التنسيق الهندسى فما زالت (الركشا) وهي العربة التي يجرها الإنسان وسيلة الانتقال في بعض أحياء المدينة .

وفي اليوم التالى قمت برحلة سريعة بصحبة الدليل داخل عربة سياحية وكانت المناظر الخلابة تسود كل ركن من أركان الجبل ؛ فباني البنوك شاهقة وفيلات أصحاب الملايين فاخرة وخزانات المياه وهي تبدو للمناظر كأنها تريد أن تشق أجواء الفضاء .

أما الجبل فهو عبارة عن حديقة ساحرة متنوعة المناظر وفي الجانب الغربى منها توجد شواطئ طبيعية هي خاجان منها ؛ «ستانلى باى» الذى ينافس سببية المصرى فى جمال منظره ورماله الحريرية وفى هذا الشاطئ نجد الفنادق الفخمة التى تليق بسكان الجزيرة الأغنياء ثم الفنادق المتوسطة التى تناسب مع حالة السائحين المتوسطى الدخل .

ترك منطقة الشواطئ بعد تناول الغداء في فندق ريبالس Repulse Bay ثم استأنفت السفر بالعربة فزرت حديقة (تيجر بوم) Tiger Baum الرجل الصيني الذي اتخذ من تجارة الأفيون مهنة في فترة من الزمن درست عليه أموالاً هائلة ثم تركها واخترع دواء يعالج أمراض البرد أطلق عليه اسمه ، وما زال يباع في الأسواق للآن . وهذه الحديقة هي إحدى الحدائق القائمة عند سفح الجبل وبها هضاب وممرات مزدانة بتماثيل لشخصيات سجلت ذكرها القصص والأساطير الصينية القديمة ، كما تحتوي على تماثيل لأسماك وحوريات البحر والطيور النادرة . . الخ .

ثم زرت منطقة الصيادين في خليج يصل الجزر فيه إلى درجة الجفاف وهي منطقة فقيرة جداً يعيش فيها الصيادون مستخدمين مراكبهم مع عائلاتهم كدار للسكن في نفس الوقت .

أما المطاعم القائمة فهي قريبة من هذه المنطقة وتنافس هذه المطاعم بعضها بعضاً في تقديم فنون التمثيل والموسيقى إلى جانب ألوان الطعام الجيد .

وقد لاحظت دقة سائقي السيارات السياحية في تحديد المسافات والمواعيد في أثناء الرحلات وفي ليلتي الأخيرة في هونج كونج حضرت عرض فيلم الوصايا العشر وهو لا يخرج عن كونه دعاية صريحة لليهود إلى جانب تشويه الحقائق التاريخية المعروفة .

وركبت في اليوم التالي الباخرة الإنجليزية في طريقى إلى بلادى المحبوبة وكان الجو حاراً ، وقد لاحظت على سطح المركب وعلى الرصيف أن عدد المودعين أكثر من عدد المسافرين على الباخرة ، أما أنا فلم أودعنى أحد ولكنى ودعت الميناء الجميل الذى قضيت فيه يومين فقط وأنا أدعو الله أن تتاح لى فرصة أخرى لقضاء فترة في هونج كونج ومعى مايكنى من نفقات « مصارى » على رأى الزميلات السوريات ؟ .

وفي عرض البحر ذهبت إلى غرفتي بالباخرة التي سأقضي عليها نحو ٢٥ يوماً وانهمكت في فتح حقيبة الملابس فلم أشعر في بادئ الأمر بجو القمرة الخانق لأن هواء المروحة الكهربائية كان مسلطاً على ظهري، وعندما فرغت من ترتيب ملابسني في الدولاب الصغير أردت أن ألقى نظرة أخيرة على الميناء من بعيد وكم كانت دهشتي كبيرة عندما وجدت أنني في علبة سردين محكمة ليس فيها منفذ، وكان هواء المروحة ورطوبة الجو والعرق المتصبب سبباً في ارتفاع حرارتي وأصبت بقشعريره مصحوبة بآلام شديدة في كتفي اليمنى ولم يغمض لي جفن طيلة الليل— وخصوصاً أنني لا أطيق البقاء في غرفة مغلقة— ولما طلبت في الصباح من مكتب الاستقبال استبدال الغرفة تردد الموظف المختص قليلاً ولكنه أمام حالتي الصحية حمل حقائبي إلى قمرة فيها نافذة وظلت الحمى تلازمني ثلاثة أيام برغم ما كنت أتجرعه من أدوية، ثم تحسنت حالتي إلى حد ما قبل وصولنا إلى سنغافورة بساعات، فحمدت الله وتهيأت لزيارة الجزيرة ولم أتردد في النزول إليها .

ركبت سيارة أجرة من الميناء إلى مكتب كوك السياحي في شارع كوبسون وهو شارع رئيسي قريب من المحال التجارية وأخذت معي بعض المطبوعات وخريطة البلد، كما أهديت إلى المكتب بعض مطبوعاتنا للدعاية وقد سر بها جداً مدير المكتب ووعد بتنظيم رحلات للقاهرة .

قضيت حوالي ساعتين في البلد وشوارعها المزدهمة وتناولت فنجان قهوة في محل صغير ولكنه مكيف الهواء ثم اشتريت بعض الأشياء والتذكارات الصغيرة في حدود ميزانيتي وكانت أسعار العطور مغرية جداً ولكن العين بصيرة واليد قصيرة . وفجأة بدأ المطر يهطل بغزارة فعدت إلى الباخرة وكان الليل قد أرخى سدوله والسائق لا يعرف أية لغة سوى لغته وبعد صعوبة وترجمة أحد المارة فهم أغرضي ووصات الميناء بسلام ودفعته له ٤ دولارات .

وفي صباح اليوم التالي كان الجو صحوً والشمس مشرقة وكنت قد درست الخريطة ووجدت الأتوبيس رقم (١٠١) أخضر اللون بعشرة سنتيمات، فركبته

إلى ميدان رافل Raffles Squire ، وهو في وسط الباد، ووجدت السوق
في شوارع ضيقة وممرات تشبه خان الحليلي وسوق الحيط بالإسكندرية ثم تغير
الجو فجأة فأسرعت إلى الباخرة ، ثم علمت أن موعد الإبحار قد تأخر أربع
ساعات ولم أرد أن أضيع هذه الساعات دون الاستفادة من زيارة أخرى .
للمدينة .

سنغافورة

سنغافورة أو بوابة الشرق الأقصى :

تقع هذه الجزيرة في منتصف الطريق بين الصين والهند وقد جعل منها موقعها الاستراتيجي مركزاً تجارياً ممتازاً بجانب كونها ميناء حراً تصدر منه خيرات الشرق الأقصى من المطاط وزيت النخيل وجوز الهند والاششاب الثمينة وأنواع البهارات . . الخ .

هذا إلى جانب تبادل البضائع والمصنوعات الأوربية والأمريكية ويجتمع فيها أكثر من خمسين خطاً ملاحياً كبيراً من دول العالم المختلفة ، وكذلك أكثر من خمسة عشر خطاً للطيران تجتمع في مينائها الجوى العالمي Paya Lebar ولهذا فهي تربط بين الشرق والغرب وتذوب فيها الفوارق ويعمل سكانها من مختلف الأجناس في انسجام عجيب وخصوصاً في الحياة الاجتماعية .

ويرجع تاريخ اسمها الذي أطلق عليها إلى القرن الثالث والرابع عشر (سنجا) ومعناها الأسد (وبورا) ومعناها المدينة أي أسد المدينة أو مدينة الأسد .

وقد ظهرت سنغافورة الحديثة عام ١٨١٩ عندما اكتشفها سير (ستافورد رافلز) وكان عدد سكانها وقتئذ لا يزيد على المائة نسمة وخلال خمس سنوات وصل عددهم إلى عشرة آلاف .

ثم أنشأ بها بلدية ومركزاً ثقافياً ومازال اسمه يجمع في ميادين المدينة كما أنشأ بها المتحف الذي جمع فيه أشهر مجموعة من النباتات التاريخية وعادات ومعالم جزر الملايو وجزيرة بورنيو بطريقة فريدة شائقة .

ومن معالم الجزيرة الرئيسية أيضاً خزان موزبان الحديث ويعتبر من أهم وأعظم خزانات المياه في العالم إذ تبلغ سعته ٥٦ مليون جالون من الماء ، ومسجد السلطان .

« حقائق بتجر يوم » :

قضيت يوماً سعيداً في هذه الحقائق كما تجولت داخل متحفها الفريد الغريب في تنسيقه ، ولقد استمعت إلى قصة أو بون هاو رجل الأعمال الصيني الذي نشأ في فقر مدقع دفعه إلى الاتجار في الأفيون وإلى المغامرة فأثرى ثراء فاحشاً وأصبح (أسد وملك آسيا) كما يسمونه .

وتبرز في المتحف الحضارة القديمة في لوحات متسقة الألوان وتماثيل كبيرة الحجم وتاباو هات تشهد بعظمة تلك الحضارة وتاريخها الذي ولي والمعتقدات القديمة الموروثة وتصوير الخير والشر . وكانت الساعات تمر سريعة في هذه الزيارة الممتعة ، والحقيقة أن هذا المتحف لا تكفي زيارة واحدة للإحاطة بمافيهِ بل تلزم زيارات وزيارات .

وفي نهاية زيارتي لهذه الحديقة كنت أسأل الدليل عن شخصية صاحبها فقال : « إن هذا الأسد تزوج ثلاث زوجات إحداهن في هونج كونج والثانية في الصين والثالثة في سنغافورة والأخيرة مازالت تعيش في قصرها بعد وفاة زوجها الأسد عام ١٩٥٤ بالسكتة القلبية وقد حولت القصر إلى متحف ، وهي تشغل فيه جناحاً خاصاً ولا مانع لديها من استقبال زوار المتحف ، فانتهزت الفرصة وأبدت رغبتي في زيارتها وعندما قابلتها وجدتها تقف في البهو الثاني للقصر الذي يضم أفخم مجموعة من تحف السجاد والمرمر والفيروز والأحجار الكريمة وهي معروضة في خزانات فخمة ، كما كانت الحديقة مزينة بالتماثيل التي اشتهر الأسد باقتنائها من جميع أنحاء العالم وبعد أن انتهت زيارتي عدت إلى الباخرة التي أبحرت في الساعة السابعة مساءً ، وقد أخبرني (مسترفولي) رئيس الخدم في غرفة الطعام أن زميلة مصرية ركبت من سنغافورة إلى بورسعيد مع أولادها وهي موجودة على الدور العلوي — مضيت إليها وتعارفنا واتضح لي أنها سورية وتزوجت من أندونيسي فأصبحت أندونيسية بالزواج ولكنها ما زالت تتكلم العربية طبعاً وكانت سيدة رقيقة ، وقالت إن زوجها يشغل وظيفة

قائم بأعمال في سفارة أندونيسيا بالقاهرة وأنها كانت مع زوجها في طوكيو حين كان يعمل بها مدة عامين .

وسألته عن اليابان ومدينة طوكيو بالذات إذ أني لم أحظ بزيارتها فقالت إنها مدينة عظيمة وحديثة ، وهى البلد الذى تخاف الزوجة فيه على زوجها لأن الرجل هناك هو معبود المرأة وهى تنظر إليه نظرة احترام وتقديس وتبالغ فى تدليله .

وبينما نحن فى حديثنا هذا عن اليابان والحيشا وعن عادات أهلها إذ برجل فى الحلقة الخامسة من عمره تتأبط زراعه سيدة فى مثل عمره يقتربان منا وينصتان لحديثنا فى شئ من الدهشة والغرابة ، ثم تجرأ الرجل بعد أن تبادل ابتسامة مع زوجته وقال موجهاً الكلام لنا : أية لغة تتكلمون فىنى لم أسمع لهجة مثلاً من قبل ؟ ..

بادرنا بهذا السؤال بلغة إنجليزية تشويها ركافة لاتينية فرددت عليه قائلة : إننا نتحدث باللغة العربية فأنا من مصر أم الحضارة ، فقد يده بالتحية كما فعلت زوجته بدورها وعرفت أنها من الأرجنتين وأنه طبيب كان مدعواً من الحكومة الصينية لقضاء سنتين فى مستشفياتها التى تقوم بدراسة الطب القديم إلى جانب الطب الحديث والمقارنة بينهما فيما يتعاقى باستعمال الوصفات البادية التى لا يزال يأخذ بها العامة من الشعب الصينى ، وأنه كان يقوم مع زملائه الأطباء الصينيين وغيرهم من بعض الدول الأجنبية بإجراء تجارب على العقاقير الشعبية القديمة لتحسين وسائل استعاضة بعدما اتضح من نجاحها فى معالجة أمراض يطول أو يتعذر علاجها بالطب الحديث ، وضرب لى مثلاً بما شاهدته بنفسه من علاج كسور العظام بواسطة أعشاب ونباتات معينة تحاط بطريقة خاصة ثم توضع على مكان الكسر فإذا بها تتحالم بفعل حرارة الجسم نفسه فيلتئم الكسر بطريقة تبدو سحرية لمن يعالج بها ، وقدم لى نموذجاً من هذه الأعشاب التى أخذ منها كمية لا بأس بها لإجراء التجارب عليها أمام زملائه من أطباء

الأرجنتين ، ثم عرضها على الكيميائيين هناك لاستخراج المادة الفعالة منها على أن تعطى عن طريق الحقن أو التجرع أو الدهان .

ثم سألته بدورى عما إذا كان من أطباء العظام ، فرد قائلاً بأنه إخصائى فى مرض البرص وقد تخرج على يديه ١٢٠ طبيباً صينياً خلال السنتين اللتين قضاهما فى مستشفيات الصين . ثم أردف قائلاً إن الشعب الصينى يمتاز بالصبر والمثابرة إلى حد يفوق الوصف .

و لست أدري كيف خطرت لى فكرة سوء اله عن انطباعاته عن النظام الشيوعى الصينى فى الفترة التى قضاهما فى الصين برغم أنى بعيدة كل البعد عن السياسة وميدانها . وقد أجب بأننى يعتقد أن الشعب يعيش فى سعادة فى ظل هذا النظام كما لمس ذلك فى أحاديثه مع الكثيرين ، وضرب لى مثلاً برجل صينى من ذوى اليسار كان يملك عدة مصانع استولت عليها الدولة وعينته مديراً لها ومنحته مرتباً يضمن له الحياة الرغدة ، وزاد على ذلك بأنه أصبح لا يحمل من الهموم والمتاعب ما كان يحمله وهو يملك عدة مصانع .

ثم سألته عن رأيه فيما يطلق عليه (وخز الإبر الذهبية) لعلاج أمراض كثيرة منها الصداع وآلام الروماتزم . الخ . وهى طريقة علاج معترف بها فى مستشفيات خاصة وقد زرت إحداها فى مدينة بكين وجربت هذا العلاج لبضعة أيام وشعرت ببعض التحسن إلا أن اضطرارى إلى العودة حال دون استكمال العلاج .

فأجاب الدكتور بأنه قد تدرب على هذا النوع من العلاج ورأى أن نتائجه مضمونة فى بعض الأمراض ولا سيما آلام المفاصل واللمباجو والروماتزم أما الطريقة فهى أن تغرز هذه الإبر الرفيعة جداً فى مكان الألم بطريقة علمية فنية ثم تدفأ بواسطة حشائش معينة من الخارج لمدة تتراوح بين ١٠ وعشرين دقيقة وأن مثل هذه الجلسات تستمر يومياً أو يوماً بعد يوم على حسب الحالة .

ثم سألتى الدكتور الأرجنتيني عن مصر وما حققته الثورة من نهضة وتقدم في شتى المجالات ولا سيما المجال الطبي ، فأجبتة بأن مصر الآن لاتعنى ببناء نهضتها في الطب فحسب بل إنها تشيد صرح اقتصادها وتجاريتها إلى جانب النهضة الاجتماعية والثقافية والعلمية طبقاً لنظام اشتراكي ينبثق من البيئة نفسها ولا يتبع أى نظام آخر سواء كان شيوعياً أو رأسمالياً .

وكانت زوجته خلال هذا الحديث الطويل تستمع إلى ترجمته باللغة الأسبانية إذ هي لاتعرف لغة سواها ، وسألتى عن القاهرة وهل هي تشبه المدن الأوروبية ؟ فأجبتها بأن من يزور القاهرة من الأجانب لايسعه إلا أن يقف مشدوهاً أمام عظمة مبانيها الحديثة وجمال نيلها وآثارها الخالدة فأبدت رغبته في زيارتها في العام المقبل وطلب منى الطبيب اسمى وعنوانى ليراسلنى .

وتبادل الزوجان نظرات تدل على أن هناك شيئاً كان مبهت حيرتهما وأرادا استجلاء الحقيقة عنه ، فسألتها عن الباعث على تلك النظرات فاعترفا لى بان كلامى عن القاهرة يتناقض تماماً مع كلام رجل هندى مسافر معنا على الباخرة فهو لايكف عن التشهير بالقاهرة حتى إنها صرفا النظر عن زيارتها بعد أن كانا معترمين ذلك .

وهنا رجوتها أن ينتظرانى قليلا ريثما أعود بمجموعة من الصور السياحية التى حرصت على أن تكون معى فى رحلتى ، وما أن وقع نظرها عليها حتى قفزا فرحاً وإعجاباً ثم تبادلوا الحديث بلغتهما وفهمتا من الطبيب أن هذا المسافر الهنذى كاد أن يجرمهما من مشاهدة القاهرة عند رسو الباخرة فى ميناء السويس والقيام برحلة سريعة لمدة ١٢ ساعة يشاهدان فيها معالم القاهرة ثم يلحقان الباخرة فى بورسعيد .

وإذا بالمصادفة السعيدة تجعل هذا الهنذى يمر أمامنا فى أثناء هذه الجلسة اللطيفة فى صالون الباخرة وقد تناثرت معالم صور القاهرة القديمة والحديثة على المنضدة فطلبنا منه أن يجلس معنا ، وما أن اقترب حتى قال الطبيب مداعباً

«هل تسمح لنا أن نصصح لك معلوماتك الخاطئة عن مصر» : فما كان من الرجل إلا أن تصبب جبينه عرقاً بعد أن علم من الحاضرين أنى مصرية وأنى أنا صاحبة هذه الصور ثم اعتذر بحرارة وقال : «الذنب ليس ذنبى فأنا أقرأ الصحف الإنجليزية بصفتى صاحب فندق فى لندن وما نقلته كان من واقع ما أقرؤه فأنا إذن غير ملوم ولكن لا تغضبى ياسيدتى إذا قلت، إن الذنب ذنبكم أنتم أيضاً لعدم قيامكم بالدعاية المضادة فى الخارج مما يقضى على هذه المفتريات عنكم» ثم مسح جبينه بمنديله وقال : «سأكون أول المشتركين فى الرحلة السريعة إلى القاهرة من السويس فأنا شرقى وأحب أن أدافع بحق وصدق عن البلاد الشرقية» ، ثم انصرف وإذا به يعود بعد نحو عشر دقائق ومعه لفيف من المسافرين الإنجليز ليصحح لهم بدوره معلوماتهم عن مصر .

بينانج أولوة الشرق :

انفض المجلس الدولى الذى جمع الشرق والغرب من الهندى للأرجنتينى للعربية للإنجليزى . . الخ بسبب قرب وصولنا إلى ميناء بينانج (الملايو) وهى ترقد فى حضن الجبال التى تعتبر من أجمل الجبال وأكثرها غنى بأشجارها ونباتها الذى يكسوها من السفح إلى القمة .

تسلقنا التل الغربى فى وسط الجزيرة ويرتفع إلى ٢,٧٧٢ قدماً وينحدر إلى سواحل الجزيرة الجميلة بنفس الحضرة التى تتخللها ألوان الزهور والورود التى تشابهها ألوان ملابس السكان المتنوعة الزاهية الصارخة . . وتعتبر الملايا أغنى بلد فى جنوب شرق آسيا، وتنتج ثلث كمية المطاط الطبيعى فى العالم و ٣٥٪ من الصفيح ، إلى جانب ما فيها من عدد كبير من المناجم كما أنها غنية بمزارع الموز والأناناس والأشجار التى تبهر الأنظار بجمال نظامها وترتيبها وتنسيقها .

أما عدد سكانها فيبلغ ٧ ملايين ونصف والسكك الحديدية هى أهم وسائل الانتقال فى هذه البلاد وقد أنشئت سنة ١٩٠٣ وهى تمتاز بنظامها

ونظافتها ودقة مواعييدها وتعتبر من أهم السكك الحديدية في العالم كما أن العاملين فيها من أكفأ المهندسين والموظفين .

اشتركت مع عائلة إنجليزية في زيارة قمة أعلى جبل بالجزيرة بواسطة سكك حديدية كهربائية خاصة تعتبر في تصميمها عملاً هندسياً متميزاً، وقد أنشئت عام ١٩٢٣ وكل عربة من عرباتها تتسع لأربعين راكباً وهي تسير في خطين منفصلين أحدهما للذهاب والآخر للإياب وتقطع المسافة إلى القمة في ثلاثين دقيقة وكان المطر ينهمر بغزارة، ومنظر الجبل الأخضر من علو ٢٥٠٠ قدم من أجمل ما رأت العين .

وبالرغم من صغر حجم الجزيرة فإن بها عدداً كبيراً من ناطحات السحاب الضخمة التي تلتف الحدايق الحميلة حولها بأزهارها وورودها

المختلفة الأشكال والألوان ، وقد قمت بزيارة مسجد قريب من معبد بوذا في أثناء جولتي في المدينة ثم اصططحبنا الدليل بعد ذلك إلى معبد الشعابين وكنت أعتقد أنه مجرد اسم للمعبد ولشدة دهشتي وجدت الشعابين تزحف وتمرح بحرية في المعبد ومحرابه الذي وضعت فيه سلة مليئة بالبيض الذي يقدم كقرايين للشعابين التي يعبدونها عدد كبير من سكان الجزيرة .

وكانت هناك سيدة بالملابس الوطنية قد أحضرت هذه السلة، وبعد أن وضعتها أخذت تسجد ثم ترفع وجهها إلى السماء أمام المحراب وتهز شخصيخة من الصفيح في يدها ولما سألت الدليل عنها قال إنها إحدى الزائرات المصابات بالعقم وهي تتوجه بالدعاء في هذا المعبد لكي تحمل وتلد وعليها أن تصلي هكذا عدة مرات عسى أن تستجيب لها الآلهة .

ومن العجيب أن هذه الشعابين الضخمة لا تؤذى أحداً وقد حمل أحدها طفل صغير كان يصحبه والده في الرحلة، والتقط صورة لهذه الأعجوبة وكانت الشعابين يتلوى على ذراعه الصغير دون أن تمسه بأذى .

ثم عدنا إلى الباخرة بعد هذه الجولة الحاطفة ولكنى كنت قد استمتعت بها ولم أشعر بأى إرهاق برغم المطر الذى لم يحل دون القيام بهذه الزيارة الممتعة .

وعلى مائدة العشاء وكنت أجلس عليها منفردة وجدت رفيقين قدمهما لى (مستر فولر رئيس السفرجية) أحدهما ضابط بحرى إنجليزى ثرثار عمل فى الصين والملايو أربع سنوات وحضر الانقلاب وخسر مركزه الكبير كما يقول وهو متزوج من سيدة روسية .

أما الآخر فهو ضابط كبير برتبة جنرال فى الملايو وكان فى مصر سنة ١٩٤٧ وهو من ابردين فى اسكوتلانده وكان فى أجازة وتبدو عليه أمارات النبل والذكاء من طريقة لمجته، وقد رأيت إدارة الباخرة أن تضمنا مائدة واحدة نظراً لأنها اعتبرتنا من الأجانب إذ أن معظم ركاب الباخرة من الإنجليز .

وقد دار الحديث — الذى لا مفر منه — بين أفراد لا ينتمون إلى جنسية واحدة ، ونظراً لاختلاف اللغات بين هذه المجموعة فقد كان من حسن الحظ أن السيدة الأرجنتينية تعرف الفرنسية كما أعرفها أنا فضلاً عن لغتها الأصلية ، فكنت أقوم تارة بالترجمة من الإنجليزية إلى الفرنسية وبالعكس .

سيلان

مملكة تحت الماء :

عندما رست الباخرة على شاطئ سيلان الدافئ الذى يمتد مئات الأميال على المحيط الهندى فى ميناء كولومبو وهى مدينة الصناعة والورد ، تقابلت مع مجموعة من الصيادين الأجانب الذين يقومون بالصيد فى أعماق البحار وبعيداً عن الشواطئ ، وسألت أحدهم عن هدفه فقال إنه وأصدقاؤه يقصدون إلى سيلان لقضاء بضعة أيام فى صيد الأسماك الغريبة فى قاع البحر بالبندقية بطريقة الغوص فى الماء ، وكانوا يحملون مختلف أدوات الصيد ويقصصون منطقة المرجان الجميلة .

وفى أثناء جولتى السريعة لاحظت الطرق الممهدة فى المدينة وشهدت الجبال الزرقاء والوديان الخضراء التى تتخللها قنوات من الماء العذب النضى كما شهدت جميع أنواع الرياضة من جولف وتنس إلى صيد الأسماك فى قاع البحر ، والخطوط الجوية تسير بانتظام بين مناطق الصيد وخصوصاً الشاطئ الشرقى المشهور بهدوء مياهه فى الفترة بين شهرى أبريل وسبتمبر وهى أفضل مواسم الصيد هناك .

ويبلغ عدد سكان كولومبو حوالى المليون نسمة وأهم شوارعها هو شارع يورك إذ توجد به محال عديدة لبيع المجوهرات وهو يشبه شارع الصاغة عندنا ، ولصاغة الجواهر هناك شهرة عالمية سواء فى صياغة الذهب أو الأحجار الكريمة .

و«Pettah» هى المركز التجارى للبضائع المحلية وبها بعض المعابد وحوانيثها متوسطة ومعظم التجار فيها يرتدون الملابس الوطنية ويغطون رؤوسهم بعمائم بيضاء .

والمعابد الهندوسية والبوذية تلفت النظر بمبانيها الغريبة، ولاسيما الحدائق الغناء والأشجار الاستوائية المورقة التي تحيط بأفخم المعابد وأشهرها (استخوراميا) .

استرحنا قليلاً على ساحل النخيل الشاعري (مونيت لافينا) حيث المناظر الطبيعية تأخذ بالألباب ثم زرنا حديقة الحيوان وبها مجموعة كبيرة من الحيوانات الاستوائية ومجموعة من الفيلة المدربة على الألعاب وتسلية المتفرجين مما يجعل الزوار لا يملون متابعة هذه الألعاب لساعات طويلة ثم اشترينا نوعاً من جوز الهند أصفر اللون من محل بيعه واحتسينا شرابه المرطب المنعش والتقطنا صوراً تذكارية .

وعدنا إلى الباخرة قبل غروب الشمس بدقائق وكانت ساعة الغروب على هذه البقعة من أروع المشاهد . وقد قيل لي إن هناك أسطورة عن الإسكندر الأكبر تقول أنه قضى فترة استجمام في زيارة هذه المنطقة الجذيلة منذ ٢٣٠٠ سنة .

أبحرنا من ميناء كولومبو الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر على بركة الله وكنا نتناول الغداء وكان الميناء التالي هو بومباي في الهند .

ميناء بومباي :

وصلنا الساعة السابعة صباحاً وأول ما استرعى الأنظار بوابة بومباي المشهورة القريبة من رصيف الميناء والتي تقع على جزيرة من سلسلة الجزائر التي تكونت من عملية المد والجزر أيام موسم المانسون عندما كانت قرية صيد صغيرة .

ويبلغ عدد سكانها الآن ثلاثة ملايين وسبعمائة ألف نسمة وهي شبيهة بميناء بوينس أيرس في أمريكا الجنوبية وتعتبر مركزاً وميناء تجارياً هاماً .

المرأة ودنيا السياحة :

كان من المقرر أن ترسو الباخرة لمدة يومين في ميناء بومباي الذي يشبه إلى حد كبير مرفأً بوينس أيرس للشحن والتفريغ وعزمت أن أقضي هذا الوقت في زيارة البلد ومعالمها . . . وجدت على سطح المركب سيدتين إنجليزيتين تحملان شارات المرشدات السياحيات تدعوان الركاب إلى القيام برحلة كنت أنشدها ، فاشتركت فيها مع كثير من المسافرين وعند النزول إلى الرصيف كان في انتظارنا أتوبيس سياحي أنيق ، واستهلت إحداهما الرحلة بكلمة عن الجمعية الخيرية التي تقوم بتنظيم هذه الرحلات وهي جمعية نسائية تعمل في ميدان الخدمات الاجتماعية ، أما السيارة فقد أهدتها الحكومة للجمعية حتى تستخدمها في الشؤون السياحية ، وفي هذه الجمعية عضوات متطوعات لا يتناولن أجراً وعضوات موظفات بمرتبات تم شكرت السيدة في كلمتها المشتركين قائلة : « إن اشتراككم في هذه الرحلة يعتبر خدمة إنسانية والجمعية تشكركم وتتمنى لكم رحلة ممتعة » .

وقد شعرت بعظمة هذا العمل السياحي الخيري الذي تقوم به الجمعية فهو :

أولاً — يتيح الحصول على معلومات صحيحة عن المعالم التاريخية بواسطة العضوات المثقفات اللاتي يقدرن أهمية الدعاية السليمة للبلد .

ثانياً — أنه يمكن استغلال دخل هذه الرحلات في أعمال خيرية عظيمة كبناء المستشفيات والملاجئ . . الخ .

ثالثاً — يحفز عضوات الجمعية على معرفة الكثير عن البلد وذلك ينمي معلوماتهن فضلاً عن الثقافة العامة .

رابعاً — الفائدة التي تعود على العضوات من مرافقة السائحين من ناحية الوقوف على أذواق وميول كل منهم وفي هذا تثقيف ودراسة لهن أيضاً .

ثم مررنا على المباني الهامة كدار البلدية والمكتبة العامة والمغسلة العامة التابعة للبلدية وهي مقامة في العراق، وبوابة بومباي التي أقيمت بمناسبة زيارة ملكة بريطانيا ، وفندق تاج محل الفخم وقد سميت أن المهندس الذي بناه أخطأ في التصميم وكان يقصد أن يجعل مدخل الفندق العمومي والحديقة من ناحية البحر فجعله من الناحية الداخلية فما لبث أن انتحر بأن ألقى بنفسه من سطح الفندق .

عدنا بعد نهاية الجولة في المدينة إلى الباخرة .

وفي صباح اليوم التالي ركبنا سيارة أجرة صغيرة ، وسيارات الأجرة في بومباي نوعان : صغير لا يتسع إلا لثلاثة ركاب وأجره أقل من أجر النوع الكبير الذي يتسع لخمس ركاب ووجدتها فكرة اشتراكية وليتأ تطبيق هذا النظام عندنا .

تم ذهبت مع زميلتي الأندونيسية (مهديّة) إلى البلد فقابلنا رجل هندي عرض علينا خدماته بالإنجليزية ثم قادنا إلى السوق القديم هناك وهو يشبه حي الموسيقى وخان الخليلي هنا واسمه (سوق ركر وفورد) وأحسن ما كان في هذه الرحلة أننا وجدنا الجامع الكبير الذي كنا نبحث عنه فقضينا به بعض الوقت ، وعند العودة طلب منا المرافق بضع روبيات ليشرب زجاجة بيرة مثلجة ثم طلب سباير ليعطيها لزوجته فمئنا ما طلب وشكرناه وعدنا إلى الباخرة قبل إبحارها بساعات .

وبعد تناول العشاء على المركب عرض فيلم . (ثلم بارد في الأسكندرية) وهو فيلم عن الحرب العالمية الثانية في الصحراء في طريق مرسى مطروح وهو دعاية للإنجليز يبين كيف أن أحد الجواسيس الألمان كان يرافقهم وبمتهى الشهامة تركوه يرجع لبلده لأنه خدمهم في رحلة شاقة في الصحراء ولم يكونوا يعرفون الطريق .

سمعنا صوت موسيقى صاخبة في طابق الدرجة السياحية فاقرحت صديقتي مهديه أن نذهب لقضاء بعض الوقت مع أصدقائنا وزيارة أولادها أيضاً .

وفي أثناء السهرة اللطيفة مع عائلة ما كفرلين ونللى على الطابق السياحي وجدت أحد البحارة الشبان يهمس في أذني: « أرجو أن تعودى إلى قمرتك في الدرجة الأولى يا مداد يسرى » نظرت في ساعتى وكانت السهرة تكاد تنتهى ، فلم أشأ أن أصطدم مع التزمت الإنجليزى برغم أنى أعلم أنه محظور على ركاب الدرجة السياحية أن تتخطى الحاجز إلى الدرجة الأولى ولكن العكس غير ممنوع فشكرته على محافظته على النظام الإنجليزى المبالغ فيه وقلت له إنى سوف أنتظر انتهاء أصدقائنا من الرقص حتى نحييهم ونودعهم ثم أعود إلى غرفتى في الدرجة الأولى . . . لأن الوقت قد حان لإنهاء السهرة على كل حال وكانت آخر رقصة تانجو إنجليزى يرقصها إنجليزى ، وبعد تحييتهم عدت إلى غرفتى وأنا أصحك في سرى من البروتوكول الإنجليزى وتذكرت بعض النوادر نتيجة هذا التزمت في إحدى الحفلات التى تقام عند الإبحار من ميناء للتعارف بين القومندان والركاب الجدد ، فقد حصل أن كان الموعد الساعة السابعة مساءً ، فذهبت ومعى سيدة إنجليزية الساعة السابعة إلا أربع دقائق فوجدنا نائب القومند ان عند باب الصالون ، ومنعنا من الدخول لأن الموعد لم يكن بعد ، والقومندان صاحب الدعوة لم يحضر وطلب منا —نحن السيدتين— الحضور بعد عشر دقائق على الأكثر . . ولم يستقبلنا .

عدن

عندما اقتربنا من عدن أرسى الباخرة بعيداً عن الميناء في الساعة السادسة صباحاً ، وكان النظام الإنجليزي المترتب يأبى إلا أن يتناول الأطفال من أولاد الركاب الإفطار بمفردهم قبل موعد إفطار الكبار بساعة ، ولما كانت الفترة التي ترسو خلالها الباخرة قصيرة جداً وكنت راغبة في مشاهدة ذلك البلد العربي الشقيق المحتل فكثرت في تناول طعام الإفطار مع الأطفال كسباً للوقت المحدود وخاصة أن زميلتي في السفر السيدة حرم القائم بأعمال سفارة أندونيسيا في القاهرة كانت مع أولادها السبعة في غرفة الطعام وكانت ستراغقني في زيارة ميناء عدن. ولكن رئيس الخدم (المتردو تيل) اعتذر لي عن عدم إمكانه تقديم الإفطار طبقاً لقانون الباخرة قائلا: «من الممكن أن تعودى إلى الكابينة وتطلبى طعام الإفطار فيها» ، فاضطرت مرعمة إلى قبول هذا النظام الشديد الذي ترك طابعه على الباخرة .

ركبنا أحد المراكب البخارية الصغيرة ووصلنا إلى الميناء ورحبنا بنجوبه مترددين على المحال التجارية المتناثرة على الشاطئ وكان سرور أصحاب هذه البيوت التجارية بلقائنا كبيراً عندما علموا أنى مصرية بينما لم يخفوا اشمزازهم وكرههم للاستعمار وأهله ، ولكم ينتظرون اليوم الذى تتحرر فيه عدن وبأى الإمارات العربية من نير الاستعمار ، وهم يعملون الآن على الاتحاد وضم الصفوف لطرد المستعمر مهما كلفهم ذلك من بذل النفس والنفيس .

وشجعتنى هذه الروح العربية الأصيلة على سؤال أحدهم : كم عدد المسلمين في عدن ؟ : فأجاب بأن ثمانين فى المائة من سكان عدن من المسلمين ويوجد قليل جداً من اليهود وأهل عدن فى شوق ولهفة إلى الاتحاد مع مصر والبلاد العربية ، للقضاء على الاستعمار القضاء الأخير

ولما عدنا إلى الباخرة واتخذت طريقها إلى بور سعيد أردت أن أنال من كبرياء الإنجليز في نظامهم الاستعماري المطبق على ركاب الباخرة فناديت السفريجي بعد الغداء وطلبت منه إحضار ماء ساخن لأنى أريد إعداد قهوة على الطريقة العربية ليتذوقها بعض الأجانب الذين كانوا على مائدتى بما فيهم بعض الإنجليز ولكنه رفض بكبرياء قائلاً : « إن هذا ليس من عملى فأنا مكافئ بإحضار القهوة كاملة الصنع على الطقة الإنجليزية » .

فما كان منى إلا أن أحضرت الماء الساخن بنفسى وأعددت القهوة وقدمتها لرفقاء السفر الذين راحوا يرتشفونها فى لذة مرددين عبارات الاستحسان وهم يرجون أن يتناولوها فى القاهرة قريباً فى هذه الرحلة السريعة . وكم سررت عندما وجدت أن عدد الذين رغبوا فى زيارة القاهرة فى هذه الرحلة السريعة قد بلغ أكثر من مائة ، فلم ألبث أن طلبت مقابلة مندوب الشركة السياحية المنظمة لهذه الرحلة وهى شركة كوك عند وصولنا بعد منتصف الليل ميناء السويس وطلبت منه العناية بشأن هؤلاء السائحين بصفة خاصة فى برنامج الزيارة وسرف أظل على الباخرة حتى تعبر القناة وأكون فى انتظارهم فى ميناء بور سعيد مساء لاطمئن على مدى ما قدم لهم من خدمات وما لاقوه من أسباب الراحة والمتعة لكى يكونوا فكرة صادقة عما زاروه وشاهدوه وقدمت نفسى باعتبارى موظفة فى مصلحة السياحة فوعدتى بأنه سوف يكون عند حسن ظنى .

قضيت فترة عبور القناة أستمع إلى تعليقات وآراء باقى الركاب الذين لم يشتركوا فى الرحلة السريعة ، وكنت أوافق على بعضها ، مثلاً الأرض القاحلة على جانبي القناة العالمية وخلوها من لوحات دعائية ومناظر سياحية . . الخ وفى اليوم التالى قبيل الغروب عاد ذلك الفوج من رحلته إلى بور سعيد وكنت فى انتظارهم فأسدوا إلى شكرهم بطريقة لمست فيها مدى ما لاقوه من حسن^{١٩} معاملة وما شاهدوه فى هذه الجولة السريعة وأظهروا استعدادهم للقيام بهذه الرحلة السريعة فى عودتهم إلى هونج كونج مقر عملهم .

وكان لحديث هؤلاء مع بقية الركاب الذين لم تتح لهم فرصة هذه الرحلة أثر طيب في نفوسهم حتى إنهم طلبوا منى استبقاء الصور في الباخرة فتركها مع بعض النشرات الدعائية التي كنت أحملها ضمن حقائبي .

سبعة وعشرين ألف ميل بين المحيطات :

وفيل مغادرتي الباخرة نهائياً في بور سعيد ألقيت نظرة على الخريطة الكبيرة المثبتة على جدار الباخرة فوجدت أني قطعت في رحلتى هذه نحو ٢٧ ألف ميل مجتازة البحر الصينى والمحيط الهادى والمحيط الهندى ثم خليج عدن ثم البحر الأحمر .

السويد

تزهر السويد وتشمخ بأنفها على باقى سكان شبه جزيرة اسكنديناوه
إذ تعتبر نفسها أرقى سكان بلاد الشمال لضخامة ثروتها وكثرة عدد سكانها.
ولعل مصدر هذا الزهو يرجع إلى أن السويد كانت فيما مضى الدولة الحاكمة فى
شبه الجزيرة ولم تتأثر بالحرب كما تأثرت بها النرويج والدنمارك لأنها لم
تشارك فيها بل حافظت على حيادها .

والشعب السويدي شعب مهذب إلى حد بعيد بل هو شعب عملى نشيط
حساس يتقن عمله حتى يصل به إلى درجة الكمال. وتتميز صناعاته بالجودة
والإتقان، وهذا هو سر ارتفاع أسعارها. وفى رأي أن ارتفاع مستوى هذا
الشعب هو من أهم أسباب حرصه على التمسك بالأمانة وحسن المعاملة ،
وإن كان فى مظهره يبدو ميالاً إلى التحفظ والجمود ولكن هذا المظهر
يخفى وراءه روحاً عالية، فالسويد يرحب بالأجانب، وتعقد معهم الصداقات
إذا وثقت بهم . وهذا الأمر يقتضى فترة قد تطول أو تقصر ولكنها مع
ذلك تمتد حتى آخر لحظة من الحياة .

ومما يسعدنى أننى أتمتع بعلاقات الصداقة مع بعض السويديين
ولازلنا نتبادل الرسائل والهدايا حتى الآن .

ولعل أهم مظهر من مظاهر الحضارة فى هذه البلاد تلك الحياة التى
يسودها الهدوء والأمن، فإنك لاتسمع ضجيجاً أو صخباً حتى فى أهم
الشوارع المزدهمة بأنواع المركبات المختلفة، ويرجع هذا إلى دقة نظام المرور
وحرص الشعب على تنفيذ التعليمات بروح طيبة ، ولأن كل سائق يعرف
تعليمات المرور ويطبقها ، أما المشاة وراكبو الدراجات فإنهم يسرون فى
نظام عجيب داخل حدود لا يتجاوزونها .

ويطلق على أهل السويد (أمريكان أوربا) فقد وصلوا بفضل التصنيع واستغلال الموارد الطبيعية إلى أرفع المستويات في عالم التجارة والصناعة، ومما يجدر ذكره أن السويد نجحت في مكافحة الجريمة نجاحاً كبيراً، وقل أن تجد شرطياً في شوارع المدينة أو في بلاد الريف، كما أن انتشار نظام التأمين واستخدام أحسن الوسائل للعناية بالأطفال والأمهات العاملات وتوجيه أقصى الاهتمام إلى الألعاب الرياضية أكسب الشعب راحة النفس واطمئنان البال .

نزلت عاصمة السويد وأقيمت فيها فترة أطول من تلك التي قضيتها في عاصمة النرويج حتى يتسنى لي عرض الفيلم السياحي الذي حملته معي من مصر بقصد الدعاية، إذ لم يكن لنا فيها مكتب سياحي في تلك السنة (سنة ١٩٥٥)، وكان هدفي من هذه الزيارة هو الوقوف على نظم شركات السياحة السويدية ودراسة طرق ووسائل الدعاية الحديثة فيها .

الشركة التجارية السويدية :

زرت المكتب الرئيسي للسياحة في استكهولم وعلمت أن له فروعاً في مختلف بلاد أوربا تعمل على جلب السائحين ويعتبر نشاطها فناً من فنون التجارة الراجحة إذ يغدق على البلاد ٥٪ من دخلها العام، ويضم هذا المكتب ٢٥ عضواً وتعين وزارة التجارة رئيسه، أما نصف الأعضاء فتعينهم الهيئات الحكومية والنصف الآخر من رجال البنوك والشركات ونادى الرحلات وهو يتعاون مع المكاتب الأوربية وسائر بلاد اسكنديناو والولايات المتحدة ولقد علمت من المدير أن البلد ينقسم إلى ١٥ منطقة يوجد في كل منها مكتب سياحي. يقوم بنشر مطبوعاته الخاصة ويوزعها على المنظمات السياحية الأخرى .

ويحتفظ المكتب بأرشيف كامل من الصور والنشرات الإخبارية التي يمد بها الصحافة أيضاً . ومعظم نشاطه متجه إلى السياحة في الخارج بطبيعة الحال كما ينظم رحلات سياحية سنوية على نفقته للمكاتب السياحية الأجنبية كوسيلة للدعاية .

وعندما فاتحت صديقتي السويدية « مسز نورد لاند » برغبتي في عرض الفيلم الدعائي الذي أحضرته معي أعدت لي مكاناً لائقاً في حديقة عامة عرضت فيه الفيلم السياحي (أرض الذكريات) وكان أكثر الحاضرين من سيدات المجتمع السويدي، ثم عرضته مرة ثانية في معهد « لينزفت » الرياضي حيث حضره ١٥٠ طالباً من مختلف البلدان .

أما المرة الثالثة فحضره ١٤ مندوباً عن مديري مكاتب السياحة في السويد وقد أحرز نجاحاً باهراً لمست من خلاله مدى ميل هذا الشعب إلى مصر وحبها لها .

وعند وصولي إلى سفارتنا في استكهولم وجدت أحد الزملاء على وشك القيام برحلة إلى « اريالا » وهي تبعد عن استكهولم بنحو ٧٥ كيلو متراً وكنت عازمة على التوجه إليها لزيارة أحد المواطنين في المستشفى هناك .

لذلك كان سروري عظيماً عندما دعاني هذا الزميل لاصطحابه إلى تلك البلدة المشهورة بجامعتها العتيقة .

ساعة مع أشهر صانعي النافورات :

(آخر حديث للمثال السويدي « ميلز » وهو على فراش الموت) .

متحف ميلز :

يقع متحف ميلز على حافة جزيرة « ليدنغو » في مواجهة استكهولم وهو نفس المنزل والاستديو الذي اللذان شيدهما المثال سنة ١٩٠٦م وقد ضمت الحكومة السويدية إليه بعض المجموعات الفنية من تماثيل ولوحات .

ونخلال زيارتي للمتحف راعني جمال موقعه كما بهرتني المناظر الطبيعية
الجميلة والمجموعات الرومانية واليونانية وعظمة فن المثال والموهبة التي
اختصه بها مهندس الكون الأعظم »

جال بخاطري بعد هذه الزيارة أن أحظى بمقابلة هذا المثال العظيم في
موعد يحدده لي على حسب وقته ولكن سرعان ما عاد الحارس لحسن
حظي بعد بضع دقائق يطلب مني أن أتبعه لمقابلة المثال قائلاً بأنه يرحب
بزيارتي برغم أنه مريض وطريح الفراش، وكنت أنتظر أن يحدد لي موعداً
فيما بعد .

اجتزت الحديقة مارة بالعمود الكبير الذي نقل من دار الأوبرا في
عهد الملك جوستاف الثالث وهو يقع بين زهريتين كبيرتين من الجرانيت
وهما من أعمال ذلك المثال الفذ ، ثم مررت بمحراب صغير منحوت في
صخرة علمت أنه خاص بزوجته الكاثوليكية المذهب ، وكان يحترمها
ويقدرها وكانت أيضاً فنانة مثله .

نزلنا بضع درجات رخامية تنتهي إلى تمثال فخم لحصان طائر يمتطيه
إنسان ، ثم مررنا بالنافورة العظيمة التي يشرف عليها مبنى بيت المثال المتواضع
ثم اجتزنا المكتب وهو أنيق وبسيط ولكن على جانب كبير من الفن وبه
مكتب كبير الحجم . ولما وصلت إلى غرفة النوم وجدتها بسيطة ولكنها
منسقة الأثاث في ذوق سليم .

حياتي مستر ميلز بحرارة برغم ضعفه وأعرب عن حبه وتقديره لمصر
وفنها القديم فقلت له : « لماذا لم تفكر في زيارة مصر مادمت تحبها وتقدر
فنها ؟ » فأجاب : « مع أنني لم أتمكن من زيارتها لظروف خاصة إلا أنني
قابلت عدداً من فنانها ودرست الكثير من تاريخ فنها القديم وربما
كنت أتهيب من عظمة فنونها لهذا لم أجرؤ على زيارتها . » فقلت : « لماذا
أثرت أمريكا بأكثر قسط من فنك ؟ » . فأجاب :

« يظهر أن انسجامي مع الشعب الأمريكي راجع إلى بساطة نشأتي ، فقد عشت كعامل بسيط فقير والأمريكي في حياته أيضاً بسيط ولطيف وغير متزمت ، والكل ينادي ابن بلدته باسمه لافرق بين رئيس ومرؤوس فكلاهما يخلع جاكته ويشمر عن ساعديه ويصفر ويغني ويقابل زائريه ببشاشة ودون كلفة » .

فسألته : هل عشت طويلاً في أمريكا ؟ قال : « نعم . . . عشت هناك ثمانية وعشرين عاماً وما زلت أعمل لها وأهم نافوراتها من صنع يدي (وهي سانت لويز وروكفارب . . الخ) » . ثم استطرد قائلاً : « ويوجد بجانبك على المائدة كتاب كبير وهو مجموعة أعمالي في أمريكا وما زلت أفوم بعمل ثلاثة تماثيل ، لها مع أنني قد ناهزت الثمانين ولكن تقدير الشعب الأمريكي لي يعطيني دائماً قوة وحماًساً . فقلت : « ولكن الشعب السويدي أيضاً يقدرك ؟ » قال : « نعم . ولكن تقديره جاء متأخراً جداً هل سمعت حكاية الإيطالي وموسوليني ؟ » قلت : لا . . . فقال : « مات رجل إيطالي وعندما ذهب إلى الآخره سأل عن ستالين فقيل له لم يمت بعد ، ثم سأل عن هتلر فقيل له ربما يحضر بعد قليل ، وعندما سأل عن موسوليني قيل له يجب أن يدخل قلب كل إيطالي حتى يضمن أن يصل إلى الجنة ، ومع ذلك مالنا والسياسة . أنا لا أحب الحديث عنها فلنتكلم عن الفن ونذكر الفنانين المصريين » . فسألته : « ما هو الفن الذي أثار في حياتك الفنية » ؟ قال : الفن اليوناني والإيطالي . . هل تعلمين أن ما يكل أنجلو ظل يعمل في تمثال البابا ثمانية عشرة عاماً . أما الآن فالسرعة هي ناموس الحياة في كل مجال حتى في عمل الفنان ، فثلاثاً طحات السحاب التي ينعنون بها اعتبرها ألعيب صيدانية خالية تماماً من الفن ، والمباني الحديثة التي تشيد بسرعة هي الأخرى سرعان ما تنهار . . »

ثم سألتها : « ماهي المجموعة التي تفضلها من بين تماثيلك » ؟

قال : « المجموعة التي بدأت أجمعها من إيطاليا وفرنسا لبلدي ، وهي من صناعي وتبلغ مائتي قطعة وقد أنفقت كل أموالى فيها ، وهي الآن ملك

لشعب السويد . « فقلت له : « هل لك هواية خاصة عدا الفن ؟ » . .
فأجاب : « نعم أهوى علم الفلك وما زلت أدرسه وأجمع خير ما كتب فيه ،
ويدهشني عدم اهتمام المثقفين بهذا العلم الواسع الذي يكشف للإنسان الكثير
من خفايا الطبيعة وأسرارها وجمال الكون وعظمته » . . ثم سكت حيناً ليقول :
« أرجو أن تتكرمي بزيارتي مرة أخرى قبل مغادرتك السويد لأحملك تحياتي
لمصر وفنانها » وأهداني صورة له تمثله وهو يتسلم جائزة نوبل للفنون . .

المتحف الأهلى القديم :

عندما صبح عزمى على زيارة السويد نصحنى الكثيرون بزيارة أهم
المتاحف القديمة التى تعتبر مركزاً للتراث الفنى القديم وآثاراً للنهضة البشرية
منذ أكثر من مائتى عام .

بدأت أولى زيارتى للمتحف الأهلى القديم حيث قمت فيه بجولة
تفقدت فيها مختلف الأقسام التى تحوى أنواعاً شتى من الفنون ، وتصور الحياة
السويدية القديمة ، ولفت نظرى فيها نماذج للبيوت القديمة وما احتوته من أثاث
يرجع تاريخه إلى عام ١٧٠٠م ، كما احتوى ذلك القسم على نماذج لغرف طعام
لمختلف طبقات المجتمع من أثرياء القوم إلى الفلاحين والعمال فضلاً عن الأعمال
اليدوية التى بلغت غاية الروعة والدقة من مفارش وأغطية مزركشة إلى موائد
صفت عليها الأواني والملاعق والسكاكين والشوك الفضية وغيرها ، ولقد أثار
دهشتى وجود آثار أصناف مختلفة من الطعام كالأسماك المخلطة ، فلقد رأيت
رأس عجل كاملة ويقال إنها كانت من أشهر الأطعمة الشعبية فى ذلك الحين ،
ويجد الزائر كذلك بعض الحلوى المختلفة موضوعة على المائدة فى تنسيق جميل
تحيط بها الأزهار والورود فى نظام بديع .

أما فى القسم الخاص بالملابس التاريخية القديمة ومختلف الأشغال اليدوية
فقد شاهدت ملابس الملوك والملكات وعلى الأخص ملابس الملك جوستاف

والملكة صوفيا وسائر أفراد أسرة جوستاف ، وهى تتسم بالدقة بألوانها الزاهية المتعددة، ورأيت كذلك ملابس التتويج والعربات الملكية، ومن أشهر الأشغال القديمة التى استرعت انتباهى سرج حصان الملكة كريستينا الذى صنع خصيصاً لحفلة تتويجها فى عام ١٦٥٠، وهو محلى بالقصب والأؤلؤ والأحجار الكريمة .

كما لم يفتنى زيارة القسم الزراعى بالدور الأرضى للمتحف ، وهو يحتوى على مجموعات من آلات الزراعة المختلفة ومدى تطورها على مر العصور إلى جانب أدوات الصيد والشباك المتنوعة الخاصة بصيد الأسماك فى ذلك الحين.

متحف الأمير أوجين :

ولما كنت بالقرب من الحدائق الملكية فى استكهولم فقد زرت متحفاً على ربوة عالية جميلة كان بمثابة المسكن الخاص للأمير أوجين الذى كان يهوى الفن ، ويحتوى المتحف على مجموعة نادرة من اللوحات الزيتية المختلفة الأحجام التى رسمها الأمير بنفسه ، كذلك وجدت فى المتحف مجموعة ضخمة من التحف والتماثيل المختلفة .

كما لم يفتنى تفقد الاستوديو الخاص بالأمير الذى قام برسم تلك اللوحات وهو مازال قائماً على الهيئة التى تركها عليه الأمير فى حياته ، وقد لاحظت وجود الأزهار الطبيعية فى مختلف أرجاء القصر وفى كل غرفة منه مما جعله ينبض بالحياة حتى ليخيل للزائر أن القصر مازال عامراً بسكانه .

رحلة الى فيسبي :

أقلتني الطائرة الساعة السابعة صباحاً من مطار استكهولم فوصلت إلى فيسبي بعد ساعة من الزمن ، استمتعت بضع دقائق بمنظر استكهولم من الجو حيث تظهر المباني الضخمة وقد أحاطت بها الحدائق الغناء والبيوت ذات الأسقف الحمراء وسط الأشجار الصفراء والخليجان التى تسير فيها المراكب بكثرة تلفت النظر مما تقر به العيون ويبعث فى النفس بهجة والارتياح .

وڦيسبي هي عاصمة جزيرة جوتلاند التي تقع في جنوب السويد وتسمى « لؤلؤة البلطيق » وهي مصيف جميل قديم يرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر عندما كانت مركزاً تجارياً هاماً بالنسبة لأوروبا .

ونظراً لخصوبة تربتها فإن الأزهار والورود تنمو فيها بكثرة في جمال مخلاب دفع الناس إلى أن يطلقوا عليها اسم « جزيرة الورد » .

وهي منطقة سياحية عالمية يؤمها السياح من جميع أنحاء العالم .

وتمتاز هذه الجزيرة بمنازلها ذات الطابع الخاص المتسم بالبساطة والأناقة والشرفات الصغيرة الزاخرة بكميات كبيرة من الأزهار حتى تبدو وكأنها حدائق معلقة .

وفي اليوم التالي قمت بجولة إلى الريف جنوب الجزيرة وكان الدليل من طلبة جامعة « أبسالا » وهي من أقدم جامعات أوروبا . وقد قص على أثناء الرحلة تاريخ جزيرة « جوتلاند » ومجدها القديم إذ كانت مركزاً تجارياً هاماً في القرن الثالث عشر، وملتی التجار والوافدين من روسيا وألمانيا وإنجلترا . والغريب أنه بالرغم من خصوبة تربتها فإن معظم أرضها جيرية، وشرح لي الطالب النجيب كيف أن البحر كشف عن بعض المناطق على الساحل الشمالي تاركاً صخوراً أكلتها الأمواج فجعلت منها أشكالاً جميلة، وأشار إلى صخرة على هيئة سيدة وهو يقول إن الحضارة بدأت في جوتلاند من مئات السنين ولكن مما يؤسف له أن الزراع يفضلون الهجرة إلى المدن حتى أصبح موسم الصيف هو الفصل الوحيد الذي تحظى فيه الجزيرة بالحملة بالزوار .

كما تشتهر جوتلاند بكنائسها التي تبلغ تسعاً وتسعين لم يبق منها إلا عشر والباقي أصبح أطلالاً ، وعلى ذلك فإن أهل الجزيرة حريصون أشد الحرص على تلك الكنائس العشر التي يقومون بترميمها من وقت لآخر مع الاحتفاظ بطابعها الأصلي، تخليداً لذكرى هذه الكنائس، ويقيم الأهالي في المواسم المختلفة مسرحيات دينية في ضوء المشاعل في المساء .

ومن أهم ما يفخر به أهل السويد نوع الخيل الجوتلندي القزم الذي تنفرد به الجزيرة، وقد ررت مزرعة بها نحو عشرين جواداً من هذا النوع والأولاد هم عادة الذين يتعهدونها بالعناية ، بل إن بعضهم يستخدمونها في الحفلات كما يعرضونها لركوب أطفال السياح مقابل أجر معلوم ، وفي كل سنة يقام سباق خاص بها لإدخال السرور على نفوس الأطفال وإسعادهم بالرياضة المحببة إليهم ؟

اول بيت شباب في السويد :

دعوت الدليل المرافق لي لتناول فنجان قهوة في الفندق بعد انتهاء الجولة في الجزيرة فرحب بذلك وفي أثناء ارتشافه إياها سألته عن بيوت الشباب وعما إذا كانت الجمعية تواصل نشاطها فسررد على تاريخها قائلاً :

«تأسست الجمعية في أواخر القرن التاسع عشر وكان شعارها « اعرف بلدك » وذلك سنة ١٨٨٠ . وقد اشترك فيها كل مهتم بالسياحة والرياضة والمسكرات . . . الخ وقد ضمت أفراداً كثيرين من مختلف الأعمار واتسعت حركة الجمعية وبدأت فكرة بيوت الشباب سنة ١٩٢٣ إلا أنها لم تخرج إلى حيز التنفيذ إلا عام ١٩٢٦ . ويبلغ عدد أعضاء الجمعية ٢٠٠,٠٠٠ مشترك تتراوح أعمارهم بين ١٥,٧٠ عاماً . وتقوم الجمعية بطبع دليل سنوى يشترك في وضعه الكتاب المشهورون ، ويشترط أن يكون عن المناطق السياحية وتاريخ السويد . وتهتم الجمعية بتأسيس بيوت الشباب في مبان تاريخية قديمة ليكون الشباب على اتصال بالحضارة القديمة متشبعاً بالروح الوطنية .

ولهذه البيوت جو خاص يروق أعين السياح . . . »

فطلبت من الدليل أن يدلني على بيت منها لزيارته ، وكنت عضواً في مجلس إدارة جمعية بيوت الشباب المصرية في ذلك الوقت « فوعد بتحديد ذلك ، ثم اصطحبني في اليوم التالي إلى أحدها في جزيرة فيسبي ، فوجدت

مستر « كارل جويدا » مدير البيت في انتظاري وفام مشكوراً بسرد تاريخ البيت وكان في منتهى الحماس وهو يروى لي كيف أن المبنى القديم يرجع تاريخه إلى العصور الوسطى وأن تاريخه بالضبط مجهول لأن الحرب قضت على الكثير من المخطوطات التاريخية، ولكن المؤكد أن المنزل كان ملكاً لأحد كبار التجار وكانت مفروشاتة قيمة ثم تحول إلى فندق لمدة من الزمن ثم آل إلى الجمعية منذ عشر سنوات أي سنة ١٩٤٥ فأعدته لاستقبال مائة زائر. وهو لا يخلو من عدد كبير منهم .

أهم ما استرعى نظري فيه وجود خريطة كبيرة مصورة بالألوان على الحائط في البهو المعد لتناول الطعام ظهرت فيها شبكة بيوت الشباب في السويد . كما أعجبت بطريقة ترتيب الأسرة الخشبية المثبتة في الحائط على طريقة أسرة السفن وتوجد في الدور الثالث غرفة المشرفين . وقد أعطاني مستر كارل خريطة للسويد بها دوائر حمراء ترشد إلى مئات من بيوت الشباب في السويد مما يشهد بمدى اهتمامهم بها .

وقد لفت « الطالب » الدليل نظري إلى موعد الرحلة خارج الجزيرة بينما كنت أعيش في ذلك الجو التاريخي ولم أشعر بالوقت وهو يمر سريعاً !

جزيرة كورسا :

استأجرنا يختاً من جنوب جزيرة فيسبي لمدة ساعة فمررنا بجزيرة غير مسكونة ثم وصلنا جزيرة الطيور كما يسمونها، ولم نجد إلا مقهى صغيراً من الخشب يمتاز بالنظافة ويقدم مأكولات شهية ومرطبات للسائحين (صورة رقم ٨).

ثم قمنا بجولة في الجزيرة وزرنا الكهف الذي يبلغ طوله ٢٥ متراً ويوجد به المتحف الخاص بأنواع الطيور السويدية عامة بما فيها البط وهو النوع الذي يسكن في الجزيرة . رأيت الطيور مثبتة على الحائط بعضها على الأرفف وبعضها على شناكل بشكل فني لطيف وقد لفت انتباهي صقر كبير محنط يتدلى من السقف وكأنه ينبض بالحياة .

أما مجموعة الطيور التي تسكن الجزيرة فهي النوع المسمى (البطريق)
أو البنجوين وتبقى فيها من ٨ يونيو إلى ٨ أغسطس سنوياً ، كما يسكن في هذه
الجزيرة أربع عائلات للاهتمام بالمتحف ، وهناك الفنار والمقهى السياحي .



صورة رقم ٨

ثم عدنا إلى فيسبي في الساعة السادسة مساءً من رحلة جزيرة الطيور
حيث سهرنا مع التمثيلية الخالدة في أطلال كنيسة « سانت نيكولا » الأثرية
على أنوار الشموع والمشاعل .. ويقوم بالتمثيل فيها كبار نجوم الأوبرا والمسرح
في السويد .

متحف في الهواء الطلق :

دعني مسز «نورد لاند» السيدة السويدية - وكنت قد استقبلتها في مصر
ورافقتها في رحلتها إلى الأقصر وأسوان - إلى تناول الشاي .

وتدير هذه السيدة مقهى (كافيريا) يقع بجانب متحف « الأمير أوجين »
على ربوة جميلة في أحد أطراف الحدائق الملكية ، وهي التي تقوم بتجهيز

أنواع الكعك المختلفة ويعمل في محلها نحو عشر آنسات — موظفات بالملابس السويدية القديمة — في غاية النشاط .

كما دعنتني إلى تناول العشاء في متحف (سكانسن) وهو ملحق بالمتحف الشمالى الكبير بالسويد وعلمت أنه أسس سنة ١٨٩١ بمعرفة البروفيسور « آرثرها زرسى » مدرس التاريخ وعلوم اللغة . . والمبنى عبارة عن مجموعة من بيوت الفلاحين والعمال في العصور الوسطى وقد نسق بطريقة جذابة تجعل الزائر يتخيل الجو الذى كانوا يعيشون فيه ، ويشهد آلاتهم الموسيقية ورقصاتهم الشعبية والريفية .

ويضم عدا ذلك مجموعة من الحيوانات المنتجة والمواشى الأصلية .

والعجيب في هذا المتحف الذى يجمع بين القديم والحديث أنه يقيم الحفلات الموسيقية الراقصة خلال موسم الصيف ، ورأت إدارته أن تلحق به أكثر من مطعم يقدم الوجبات الوطنية .

وعندما توجهت إلى المائدة التى حجزتها لتناول الطعام وجدت العلم المصرى يتوسطها ، وهى مجاملة لطيفة تدل على وعى هؤلاء القوم فى اجتذاب السائحين ، كذلك وجد كل سائح علم بلاده على مائدته ،

وهكذا تمتعت بسهرة جميلة وعشاء سويدي مائة فى المائة .

وبلغت حفاوة (مسز نورد لاند) بى إلى حد أن رافقتنى إلى حيث ، أوصلتنى فى الساعة الحادية عشرة إلى الفندق الذى أنزل به .

أكبر وأحدث مستشفى فى استكهولم :

وفى اليوم التالى تجولت فى المدينة كأى سائح هم استكشاف كل شئ ، فأوصلتنى قدامى إلى مستشفى من أحدث وأعظم المستشفيات العالمية ألحق به معهد للأمراضات يتكون من ستة طوابق ويضم ٣٥٠ طالبة ، وأربعاً وعشرين مدرسة عدا المشرفين على إدارة المستشفى .

والمبنى حديث وأنيق للغاية وغرف الدراسة به هي مدرجات ذات مقاعد مريحة ملحقة به مدرج به مصباح كهربائي يتحرك أمام السبورة وهي بعرض الحائط، ويكفي الضغط على زر كهربائي لتحويلها إلى شاشة عرض سينمائي. ولأول مرة أشهد هذه الطريقة العملية الحديثة . وقد زود كل فصل من الفصول بسبورة من هذا النوع الحديث العجيب، أما النوافذ فهي عريضة ولكل منها ستارة خاصة تسدل أيضاً بواسطة أزرار حتى تصبح الغرفة مظلمة تماماً .

وتوجد للتمرين العملي غرف للغسيل وأخرى لطهو الأطعمة الخاصة بالمرضى وغرف أخرى للتعقيم .

والمدة المقررة للتعليم النظري والعملي في هذا المعهد ثلاث سنوات ويوجد في الدور السادس بمبنى المعهد غرفة خاصة بالطالبات في منتهى الأناقة كما خصص لهن صالون كبير به بيانو ومسرح وروف جاردن يشرف على ربوة تطل على أحد الخلجان ، وقد قدمت لي المشرفة سجلاً أنيقاً لأسجل فيه كلمة عن انطباعاتي إثر هذه الزيارة .

أما المستشفى نفسه فيتسع لألف وخمسمائة مريض . وسألت مديرة المعهد عما إذا كان للمرضى الأجانب الحق في دخوله ، فقالت : طبعاً . . ولكنهم يدفعون ضعف مصاريف العلاج التي يدفعها المواطنون لأنها مقصورة على علاجهم بأجور متهاودة .

انتهيت من هذه الزيارة قرب الظهر وتمنيت للمرضى الشفاء العاجل .

معهد لينز فيتما الرياضي :

قبل سفرى إلى السويد كانت عقيلة عميد هذا المعهد في زيارة لمصر بدعوة من وزارة التربية والتعليم لمدة ثلاثة شهور لإلقاء محاضرات عن الرياضة البدنية، فتعرفت عليها ودعوتها لتناول الشاي في منزلى، وعندما أصبحت على وشك السفر إلى السويد في بعثتى إليها كانت هذه السيدة مازال في القاهرة فطلبت

إلى أن أحمل لولدها هدية منها بمناسبة عيد ميلاده الذى يوافق يوم وصولى إلى استكهولم فرحبت بالقيام بهذه الخدمة وقمت بتوصيل هديتها إلى ولدها فور وصولى .

ثم عادت هذه السيدة إلى استوكهولم عقب انتهاء مهمتها فى القاهرة فاتفقت بى تليفونيا وتفضلت بدعوتى لقضاء يوم فى المعهد ردا على دعوتى لها فى القاهرة فلبيت دعوتها شاكرا .

ركبت باخرة صغيرة طافت بى لمدة ساعة خارج المدينة حتى وصلت إلى ميناء صغير كان العميد زوج السيدة فى انتظارى هناك بمركب بخارى صغير سار بين الخلعجان والجزائر الجميلة لمدة نصف ساعة حتى وصلنا إلى إحدى الجزر، وعلى ربوة فى مقدمتها شهدت مبنى المعهد الذى يضم فى الوقت نفسه بيت العميد. وهناك قابلتني عقيلته مع أبنائها بالترحاب ثم اصطحبتني فى جولة داخل المعهد الذى يضم مائة وخمسين مشتركا من مدرسى ومدرسات التربية البدنية من مختلف البلدان والجنسيات ومن بينهم طائفة من أبناء وطنى فى دراسات صيفية، وكنت أحمل معى فيلم « أرض الذكريات » فانهزت الفرصة لعرض هذا الفيلم فى المعهد بعد أن قدمنى العميد إلى الحاضرين بتحية كريمة، وكان الفيلم يحوى لقطات عن آثار أسوان والأقصر والقاهرة .

وبعد عرضها لم يلبث بعض الأعضاء أن أبدوا رغبتهم فى زيارة الجمهورية العربية المتحدة وبدءوا فى إلقاء الأسئلة فى شبه ندوة دعائية نجحت نجاحاً باهراً.

وقد فاتنى أن أذكر أنه كان هناك بالمعهد زميلان مصريان وهما من أساتذة التربية الرياضية وقد دعتهما معى عقيلة عميد المعهد لتناول الغداء، وكان نوع السمك الذى قدم إلينا فيه من أفخر أنواع السمك هناك ويسمى « سيمون ». فشكرانى بحرارة لإتاحة الفرصة لهما لتناول هذه الوجبة الارستقراطية الغالية، ثم عدت فى المساء بطريق البر الذى لا يقل جمالا عن الطريق النهري الذى اتخذته عند ذهابى إلى هناك .

لما كنت في زيارة رسمية للسويد للدراسة نظم مكاتب الاستعلامات السياحية حضرت لمقابلي سيدة صحفية من أكبر دور الصحف في استكهولم وطلبت مني حديثاً عن مظاهر النهضة في بلدي وعن بعثتي . . الخ .

وعندما انتهى الحديث أوخيل إلى أنه انتهى سألتني السيدة الصحفية عن رأيي في السيدة السويدية وما هي انطباعاتي عن بلدها، فأبدت منتهى إعجابي بالبلد وبالمراة السويدية ونشاطها الرياضي والثقافي، ولست أدري ما الذي ذكرني بالقهوة، ولعلني كنت في حاجة لتناول فنجان مضبوط منها بعد هذا الحديث الطويل فقلت لها إن الذي لا يعجبني هنا هو صناعة القهوة فهي خفيفة ولا طعم لها ونحن في بلدنا تعودنا تناول القهوة التركية اللذيذة وهنا نهضت الصحفية منصرفه .

وفي الساعة السابعة من صباح اليوم التالي فوجئت بمسز نورد لاند صاحبة الكافتيريا الجميلة تتصل بي تليفونياً لتعاتبني على عدم ارتياحي للقهوة التي تجهزها وكنت قد نسيت حديثي مع الصحفية، خصوصاً وإني لم أقصد قهوتها بالذات. وحاولت بعد هذا أن تصنع لي القهوة مضبوطة على قدر الإمكان ثم سألتها: «كيف علمت بما دار بيني وبين الصحفية؟»، فأجابت بأن الخبر قد نشر في صحف اليوم وأنها متأثرة من هذا الحديث، فاعتذرت لها وقلت لها إن الأمر لم يخرج عن كونه محرد دردشة بيني وبين الصحفية التي سببت ضيقاً وألماً لصديقتي صاحبة الكافتيريا .

وعندما كنت أجتاز إحدى الميادين في استوكهولم ظهراً في طريقني إلى أحد المطاعم لأتناول الغداء، وجدت رجلاً ألقى قطعة من الورق لايزود حجمها عن ورقة خطاب صغير وإذا بأكثر من خمسة أشخاص يكفون عن السير ليشهدوا مايفعل هذا الشخص ونظروا إليه في دهشة واستغراب وإذا بنظرات السخرية واللوم حملته على أن ينحني ويلتقط قطعة الورق ويضعها في جيبه ويواصل السير ، ويبدو أن هذا الشخص كان غريباً عن البلد :

وبعد تناول الغداء فى المطعم المتواضع ذهبت إلى النادى الرياضى الشعبى فوجدت أمامه طابوراً من المنتظرين ، كان وقى ضيقاً فسألت عن السبب فقبل لى إن العدد كامل فى حوض السباحة وإدارة النادى تحدد العدد بحيث لا يزيد على ٥٠٠ شخص ، فإذا خرج عدد معين دخل بدله آخرون حتى لا يختل النظام فى حوض السباحة .

ولما علم القائمون على شئون النادى أنى مجرد زائرة لا ترغب فى السباحة وتود مجرد زيارة النادى رحبوا بى ، ورافقنى أحدهم فى زيارة سريعة لأكبر ناد وحوض سباحة فى استوكهولم .

أعارنى وكيل مصالحة السياحة فى استوكهولم دليلاً سياحياً أخرجه شخص يدعى (تمبل فياندنج) كتب فيه عن الجمهورية العربية فصلاً كله مفتريات وأكاذيب ، فأكدوبة عن تلوث المياه وأخرى عن انعدام الأمن فى الشوارع والسرقات التى تقوم بها الراقصات ذات الأسنان الذهبية .. الخ .

وكان قد طلب إلى ألا أنفعل أو أتضايق عند قراءة هذا الفصل قائلاً : « إن هذا الرجل يهودى وقد كتب عن باقى البلاد أكاذيب أخرى وهو يرغب من وراء ذلك لفت الأنظار وقد كتب عن السويد أيضاً أشياء غير صحيحة » .

وعندما عدت إلى الفندق طالعت هذه الصفحات الشوهاء الوقحة مساء لاأتمكن من رد الدليل إلى صاحبه الذى كفانى مؤونة شرائه بالثمن ، فلم أتمالك نفسى من الغضب وشعرت بالدم يصعد إلى رأسى ولم يطرق النوم جفونى .

وفى الصباح توجهت لمقابلة سفيرنا لأتحدث معه فى هذا الأمر ، وقد اتخذ إجراءات رسمية لمنع نشر [هذه] الأكاذيب فى المستقبل فى حالة إعادة نشر هذا الدليل الحافل بالأكاذيب .

النرويج

غادرت أستوكهولم^١ بالقطار العاشرة مساءً إلى أوسلو عاصمة النرويج فوصلت إليها الساعة السابعة صباحاً . وفي المحطة وجدت في مواجهة مكتب الاسعلامات وطابوراً من السياح في انتظار حجز أماكن في الفنادق . وكان الزحام على أشده وعندما جاء دورى فى الطابور الطويل اعتذرت لى الموظفة بالمكتب لأنه لا يوجد أى مكان فى الفنادق القريبة من وسط المدينة، وحاولت أن تحجز لى غرفة فى ضاحية قريبة من أوسلو فشكرتها واعتزمت أن أبذل جهدى للعثور على أى مكان فى أى فندق قريب، وأودعت حقيبتي الصغيرة مكتب الأمانات بالمحطة وذهبت أبحث عن فندق قريب . وعلى الجانب الآخر من ميدان المحطة فى زاوية منه وجدت بناء أحمر مرتفعاً يحمل اسم « فيكنج هوتيل » ، وعندما تقدمت إلى مكتب الاستقبال وطلبت غرفة لشخص واحد وأبرزت جواز سفرى وفيه وظيفتى رحب بى الموظف المختص وحجز لى غرفة لطيفة مناسبة بحمام صغير . وقد تبين لى أن الفندق من فنادق الدرجة الأولى ، فحمدت الله على توفيقى ثم غادرت الفندق وركبت الترام من الميدان للقيام بجولة فى المدينة ، وهذا الترام يعتبر مواصلة سياحية تعطى للسائح فكرة عامة عن البلاد فهو يمر بمعالم المدينة الهامة . ثم نزلت منه عند مبنى البلدية وكنت قد سمعت عن فخامته وروعة اللوحات التى تكسو جدرانها من الداخل ، فى كل غرفة مناظر تمثل الحياة النرويجية ولوحات تاريخية آية فى الفن . وكانت مفاجأة لى عندما وجدت مجموعة من السائحين يزورون المبنى وكانت بينهم زميلة لى — فى الكلية فى أثناء الدراسة — مع قرينها، ولم نكن على اتصال منذ عدة سنوات . فاتفقنا على المقابلة مساء لقضاء السهرة فى أحد الملاهى ، وكانت المفاجأة الثانية عند باب الملهى وأنا فى انتظارهما إذ بدأنى بالتحية شاب مصرى أعرفه ومعه قرينته الألمانية وكان المفروض أن ينتظرانى على المحطة فى الصباح ، وكنا قد تقابلنا فى أستوكهولم منذ ثلاثة أيام فى السفارة واتفقنا على ذلك، ولكن كان يبدو عليهما ما يشبه الشك فى الوفاء بهذا الموعد

من ناحيتي إذ لم يتأكدا أني سأصل في الموعد لضيق الوقت . قضينا السهرة معاً ثم تقابلنا في اليوم التالي لزيارة معالم المدينة وخصوصاً الحديقة التي تحتوي على تماثيل ترمز لتطور الحياة ، وهي آية في جمال فن النحت الحديث :

لا أنكر أن الطبيعة أغدقت الكثير على البلاد الشمالية واختصتها بجمال لم يتوافر في البلاد الأخرى بوجود (الفيوردت) ، وهي خلجان تهادى بين جبال خضراء شاهقة وبها مجموعة جزر صغيرة منتشرة ، ولولامقام به المسئولون هناك بالاشتراك مع سكان هذه البلاد لظلت هذه البحيرات والجبال غير مطروقة إلا لرواد الكشف (صورة رقم ٩ ، رقم ١٠) .

ولكن الجهود الإنسانية الحبارة أحالت هذه الأماكن إلى مناطق مأهولة تنتشر فيها مدن صغيرة على أكبر جانب من الجبال وتجذب السائحين من جميع أطراف العالم حيث يتغنون ويتباهون بأنهم قاموا برحلات (الفيوردت) . وأهم ما اتجهت إليه هذه الجهود إنشاء السكك الحديدية الممتدة على قدر ما تحتمله سفوح الجبال ثم البواخر الصغيرة الأنيقة المنتظمة التي تجرى في هذه القنوات ثم المواصلات بالأتوبيس بين الجهات التي استحال فيها امتداد السكك الحديدية . هذا إلى ما تقوم به المكاتب السياحية التابعة لهذه الدولة والمنتشرة في كل أنحاء العالم والتي تدعو إلى مشاهدة هذه المناطق . وأهم مكتب سياحي فيها ترأسه سيدة ذات شخصية قوية وقد طلبت منى مطبوعات سياحية مصرية لتشجيع الإقبال على زيارة الجمهورية العربية المتحدة ، وقد أرسلت إليها ما طلبته من مكتبنا في جنيف .

وقد زرت مكتب سياحة في الشارع الرئيسي وعلمت أنه من المكاتب المستقلة عن الحكومة .

وقال لي المدير إن كل مديري المكاتب الخاصة يجتمعون مع مندوبي الحكومة بمعدل مرتين في السنة في مدينة أوسلو وتقوم الحكومة بتوزيع مطبوعاتها على مكاتب الاستعلامات الخارجية وتعمل على توحيد الدعاية



(صورة رقم ٩)



(صورة رقم ١٠)

عن البلد، وقد سمعت نفس الشكوى التي سمعتها بنفسى فى بلاد أخرى كثيرة من عدم توافر سبل الدعاية لجمهوريتنا نظراً لعدم وجود مكتب سياحة مصرى: ولم أملك إزاء ما سمعته سوى أن أقوم بتزويد هذه المكاتب ببعض النشرات والصور السياحية التى كانت معى، ووعدتهم بإرسال مجموعة أخرى عند عودتى للقاهرة .

ركبت قطار المساء إلى « فالوم » ثم ركبت آخر فى الساعة الثالثة صباحاً وهو صغير الحجم خاص بالسير فى الجبال ثم انتقلنا إلى مركب يشبه اليخت وهو يجتاز (الفيوردت) الخلجان الجميلة التى تشتهر بها النرويج .

وكان قائد المركب رجلاً يناهز الخمسين، باس الوجه يتكلم الإنجليزية قليلاً، وقد سألتى عن بلدى فلما عرف أنى مصرية ألفت الدهشة المزوجة بالإعجاب تبدو على وجهه وقال إن أول تاريخ قديم يدرسونه فى مدارسهم هو تاريخ مصر، وعندما عرضت عليه مجموعة من صور معالمنا المصرية كان يبدى اهتمامه وأخذ يسأل عن كل ما فيها، ومما قاله لى إن النرويج بلد غريب فى طبيعته ويمتاز عن البلاد الأخرى بعلو جباله وتعدد ألوانها وقلة عدد سكانه بالنسبة لاتساع مساحته، وأن رياضة الانزلاق على الثلج رياضة محبة إلى النفوس ويمارسها معظم السكان هناك ثم قال إنه من المؤسف أن مصر لا يسقط فيها الثلوج حتى تتمتع بهذه الرياضة، كما قال إن الصيف هناك ثلاثة أشهر فقط وأن البلد فقير فى الفاكهة والخضر ويود لو أنهم استوردوها من مصر .

وما أن انتهيت من هذا الحديث حتى سمعت صوتاً يردد بعدة لغات : « لقد وصلنا إلى أكبر ميناء على هذا الخليج ». فحييت كابتن السفينة واجتزت طريقى إلى البر مع بقية الركاب، وكان فى انتظارنا مرشد اصطحبنا إلى مطعم صغير أنيق على أحد جوانب الميناء .

ثم أخذ كل منا مكانه على الموائد الصغيرة لتناول طعام الفطور ، وكم كانت دهشتي عندما وجدت الحرسونات يقدمون لنا طبقاً من السردين المحفف وهو الطبق الرئيسي للإفطار عندهم ، ولاشك أن هذا يدل على قوة معدة سكان هذه المنطقة الجبلية وسلامة أكبادهم . وبعد جولة قصيرة لم تتجاوز الساعتين عدنا إلى السفينة التي كانت في انتظارنا للعودة إلى أوسلو .

وقد أشارت على إحدى السيدات الإنجليزيات التي كانت معي في نفس الرحلة بزيارة متحف أوسلو الأهلئ ، فذهبنا إلى هناك ووجدته فعلاً جديراً بالزيارة لما حواه من تاريخ تطور صناعة المراكب والقوارب وحياة الصيادين وأدوات الصيد منذ آلاف السنين .

وبعد أن خرجنا من هذا المتحف اصططحبنا الدليل إلى زيارة منزل يعتبر من أقدم المنازل في النرويج وكان يقطنه أحد كبار الصيادين فوجدناه على حالته التي تركه عليها منذ عهود بعيدة .

وتجاذبت أطراف الحديث مع الدليل وكان على ثقافة عالية ، فخرجت منه بحصيلة لا بأس بها من المعلومات عن هذا الشعب .

ومما علمته أن عدد جزر النرويج تبلغ حوالي ١٥٠ ألف جزيرة صغيرة وأن من صفات هذا الشعب أنه يؤمن بأن من الخير أن تنفق أموال الدولة في نشر التعليم والعناية بالأطفال ورعاية الشيوخ ومحاربة الفقر والقيام بمختلف المشروعات الاجتماعية النافعة . وأنه حتى سنة ١٩٠٥ كانت النرويج تكون مع السويد والدانمارك دولة واحدة حتى حصلت على استقلالها دون حرب أو سفك دماء ، فطبيعة هذه الشعوب التي تعيش في الشمال هي بغض الحرب والحرص على التعايش في سلام دائم يتفق مع هدوء وجمال وتناسق هذه المناطق .

وعلمت منه أيضاً أن الترويج كانت تحتفظ بأسطول تجارى عظيم كان ترتيبه الرابع قبل الحرب بين الأساطيل التجارية فى العالم .

ومن أطرف المناظر التى يمكن أن يراها السائح فى ميناء أوسلو منظر سكانها من النساء والرجال وهم يقبلون على شراء الحمبرى من القوارب الصغيرة الواقفة بجانب الرصيف ويقزقزونه كما يفعل المصريون بقزقزة اللب أو الترمس .

ولا تكاد تخلو وجبة من وجبات الطعام حتى الإفطار من السمك والسردين بأنواعه . ولا عجب فى أن يشتهر الشعب النرويجى بين شعوب العالم بصناعة الأسماك وحفظها وصناعة السردين وتصدير كبد الحوت وصناعة المنسوجات الصوفية القومية ذات الرسوم الزاهية الجميلة .

عندما وجدت عندى بضع ساعات أفضيها فى أسلو قبل عودتى إلى السويد ، ركبت الترام الخاص بالمدينة الجامعية خارج أوسلو التى تستعمل كفندق فى الصيف عندما تزدهم المدينة بالسائحين ، وهى المكان الذى كان مكتب استعلامات السكك الحديدية يريد أن يحجز لى فيه غرفة عند وصولى .

وجدت هذه المدينة عبارة عن مبان متشابهة أنيقة مصطفة على جانبي شوارع عريضة تتوسطها حدائق وبينها ناد رياضى كامل من ملاعب تنس إلى جولف . . الخ .

وبها محال تجارية لبيع التذكارات التى تهتم السائح وصور لمعالمها .

ثم عدت بنفس الترام بعد جولة قصيرة إلى أوسلو ، ثم ركبت قطار المساء إلى استوكهولم وكنت قد تركت بها باقى أمتعتى حتى عودتى .

وبعد قضاء يومين بعاصمة السويد قمت خلالها بإنهاء بعض الشئون ودعت بعدها الأصدقاء هناك ثم ركبت الأتوبيس السياحى المتوجه إلى عاصمة الدانمارك التى يطلق عليها اسم (باريس الشمال) .

الدانمارك

كوبنهاجن مدينة الأساطير والشعر والجمال :

تعتبر كوبنهاجن من أقدم مدن بلاد الشمال ويرجع تاريخ إنشائها إلى القرن الثاني عشر .

بدأت جولتي فيها من ميدان البلدية في وسط البلد، وقد لفت انتباهي دقة نظام المرور وتقسيم الميادين والشوارع وهذه المباني الفخمة كدار البورصة التي تنتمي إلى عصر النهضة ، وقد ازدانت بالتماثيل وكذلك دار البلدية الضخمة ثم وقفت بنا السيارة قليلا حتى نشهد تمثال السيدة التي تركب الدراجة بشكل يسترعى الانتباه ، فسألت الدليل عن معنى هذا التمثال فقال لي إنه يرمز إلى الطقس الجميل والشمس الساطعة ، أما إذا تنبأت مصالحة الأرصاد بجو ممطر أو عاصف فإن هذه السيدة تختفي لتظهر مكانها سيدة أخرى تحمل مظلة، ويعتبر هذا البرج من معالم المدينة البارزة ويسمى التمثالان (سيدتا الجو) .

موقف للأولاد :

هذا هو التعبير الشائع عندهم ويطلقونه على الحدائق والملاعب الأنيقة المعدة خصيصا للأطفال في الأحياء المختلفة في المدينة . وتضم هذه المواقف مختلف الألعاب وأدوات التسلية حتى يتسنى للآباء والأمهات أن يتركوا أطفالهم كما لو كانت سياراتهم أو دراجاتهم في المكان المخصص لهم ، حتى إذا ما انتهوا من أعمالهم عادوا إلى حيث تركوا أولادهم (في الموقف) .

بنج للخنازير :

مررنا في جولتنا بعد ذلك بالمذبح وهو عبارة عن مبان على هيئة دور ذات طابقين وساحة كبيرة في الوسط ، ويحتوى الطابق الثاني على المكاتب والإدارة ، أما الدور الأول فهو مخصص للمذبح .

وكان مرورنا بعد الظهر فلم نعرف أنه المذبح إلا عندما قال لنا الدليل أن الغرفة الأولى في الجهة اليسرى من المبنى خاصة بالتخدير ، فكل الخنازير وهى غالبية الذبائح تحقق بالمخدر قبل الذبح ، وكذلك باقى الماشية .

وهو تقليد طيب لكى لا يحس الحيوان بآلام الذبح . ويا لها من إنسانية .

دراجات وخنازير :

لقد علمت من الدليل أن عدد السكان يناهز الأربعة ملايين فى حين أن عدد الدراجات ثلاثة ملايين ، كما أن عدد الخنازير يبلغ ستة ملايين . ومما هو جدير بالذكر أن الطفل فى السنة الأولى من عمره يجلس فى مقدمة الدراجة وفى السنة الثانية يجلس فى الخلف وعندما يباغ الثالثة تكون له دراجة خاصة .

وفى فترة خروج الموظفين لا يقل عدد الدراجات عن عشرة آلاف دراجة فى الساعة الواحدة وكثيراً ما ترى أسرة كاملة تركب دراجة واحدة .

ويمتاز الشعب الدانمركى بمرحه وحسه المرهف ، فقد لاحظت فى أثناء هذه الرحلة أن الدليل المرافق لنا برغم ضعفه فى اللغة الإنجليزية لا تفوته النكتة ، فضلاً عن سرعة خاطره العجيبة ، ولم يتورع عن التنكيت على الشعب السويدي وثرائه ، فكان يطلق النكتة بعد الأخرى وكيف أن الدانمرك تعتبر فقيرة لولا هؤلاء السياح الوافدين ، السويديين والأمريكيين ، وكان يقول إن زيادة عددهم سوف تتيح لنا المزيد من عدد المدارس والكليات .

وعندما مررنا بالسفارة الأمريكية بمبانيها الحديثة الفخمة والتي تفصلها عن السفارة الروسية مقابر ذات حدائق قال الدليل مداعباً : لا أشك أنه يوجد طريق سرى بين السفارتين تحت هذه المقابر .

أما لعبة كرة القدم فقد قال الدليل إن السويد تملأ مدرجات نواديهم وهي الفائزة دائماً. كما يمتاز هذا الشعب المكافح بحبه للأجانب ، وتشعر وتحس ذلك لأول وهلة من معاملة موظفي الجمر ك فلا تسمع إلا عبارات الترحيب ، حتى سائق السيارة قبل أن يسير بسيارته يرحب بك كأنه يعرفك منذ عهد بعيد دون تحفظ أو تكلف .

ولكل جزيرة من الجزر التي تتكون منها الدانمرك أغانيها المحببة إلى النفس وعلى الأخص أغاني المناسبات ، كما أن لكل موسم أغنية خاصة كذلك للبحر الأزرق الجميل والسواحل التي تغطيها الغابات الخضراء والزهور المختلفة الألوان البديعة أغان خاصة .

الفلاحون في الدانمرك :

إنهم قوة مهيمنة تعتمد على النظام التعاوني الذي يسود حياتهم . وفي كل بلد من بلاد العالم تسمع أن الحكومة تكافح الفقر والجهل والمرض . أما في الدانمرك فإن الأعداء الثلاثة لاوجود لها ، فإن الرخاء والعلم والصحة هي قوام هذا الشعب الذي قضى على هذه الأعداء الثلاثة منذ عهد طويل ، فهم يقدرون العلم حق قدره ، كما لم يقع نظري على متسول واحد في البلد ، فهناك مؤسسات خاصة تضم العجزة والفقراء وهناك موارد دائمة للإنفاق على هذه المؤسسات .

ومن أعجب ما ذكره لنا الدليل أن أشهر مصانع البيرة توجد عندهم وهي كارلسبرج ، ولها مجلس إدارة يضم خمسة من العلماء الأساتذة في الجامعة ويرجع ذلك إلى أن جميع أرباح هذه المصانع الكبيرة قد خصصت لتشجيع العلم والفن والبحوث العلمية .

وقد أقامت الدولة مساكن شعبية أنيقة منها عمارة واحدة بطول الشارع بها ٢٨٠ شرفة من طراز واحد تتدلى في كل شرفة منها زهور جميلة ، كما

أقامت في حي آخر فيلات صغيرة حمراء يرجع تاريخها إلى عهد الملك كريستيان وقد منحها الحكومة لطائفة الصيادين والعاملين في الزراعة ، وتتميز هذه الفيلات بوضع الشارات عليها بدلا من الأرقام ، وهي عبارة عن تماثيل في أوضاع مختلفة وقد أوحى بهذه الفكرة حرص القوم هناك على حياة الأطفال فإن ضل طفل طريق منزله لا يذكر الرقم ، وإنما يذكر التمثال ورسمه المميز .

قلعة كروزنبيرج :

قمت برحلة خارج كوبنهاجن لزيارة القلاع القديمة وهي من أشهر معالم الدانمرك السياحية وقضيت بعض الوقت في أشهرها وهي قلعة كروزنبيرج التي بناها الملك فريدريك الثاني عام ١٥٨٥ والتي تؤكد الأساطير أن الأمير هاملت كان يعيش فيها ، ومما هو جدير بالذكر أن مسرحية شكسبير التي خلدت هاملت تمثل كل عام في فناء القلعة ويقوم بتمثيل أدوارها نخبة من مشاهير الممثلين والممثلات في أثناء الموسم السياحي ، ويعلن عنها في مختلف البلاد حتى تجتذب أكبر عدد من السائحين .

سهرة في تيفولي :

في كوبنهاجن مجموعة ممتازة من الفنادق الكبيرة المختلفة الدرجات ، وفيها من المسارح العدد الوفير كما أنها تضم حديقة تيفولي المشهورة والتي حرصت على قضاء بضع ساعات من آخر ليلة لي في كوبنهاجن بين ملاهيها ، وعند دخولي الحديقة قمت بشراء الدليل الخاص بمحتوياتها ، فدهشت مما تحويه ، من عدد كبير من الملاهي والمسارح والألعاب والبرامج القصيرة المتتابعة ، فهناك مسرح للباليه من الساعة السابعة إلى الساعة الثامنة ومسرح للتمثيل مدته نصف ساعة ومسرح آخر يقدم الألعاب البهلوانية (الأكروبات) الممتازة ، وأسعار الدخول فيه معتدلة بالنسبة للمقاعد ، أما الوقوف فمجاناً .

وبجانب الملاهى توجد المطاعم الفاخرة تعزف فيها الموسيقى الشعبية الراقصة ، كذلك المتاجر الصغيرة ومعظمها يقدم (الكورف) الساخن وهو السجق الذى يطلق عليه الأمريكان الكلاب الساخنة Hop Days ، بجانب أنواع الحلوى المتعددة والمرطبات . أما النافورة ذات التماثيل الحميلة والأنوار الملونة التى تتدفق من وسطها المياه فمحاطة بالمقاعد وأمامها مسرح عال تعزف فيه الموسيقى وتقام فيه المسابقات .

كما توجد أماكن للرمية والأطفال والكبار على السواء . وفى الموسم الصيفى السياحى تطلق الصواريخ ثلاث مرات فى الأسبوع عند منتصف الليل وهو الموعد الذى تنتهى فيه سهرات التيفولى الرائعة .

وقد تمنيت لو أنشئت مثل هذه الجنة فى مكان ما فى القاهرة وليكن فى منطقة الجزيرة مثلاً على أن تكون تحت رقابة دقيقة فى كل نواحيها ، لأن القاهرة مازالت تفتقر إلى مثل هذه الملاهى السياحية . وقد أكد لى هذا أحد الأطباء النرويجيين من أوصلو قائلاً إنه عندما زار القاهرة منذ سنتين ورأى الكثير من الآثار القديمة والمتاحف كان يود أيضاً لو شهد فى مصر الحديثة بعض الملاهى الحديثة أو أماكن الترفيه والتسلية .

وبعد انتهاء السهرة التى شهدت فيها هذه المجموعة المسلية من الملاهى أطلقت الصواريخ على أشكال الورود والزهور ثم انتشرت فى السماء بالألوان الزاهية عبارات الترحيب بالزوار وإعلان انتهاء السهرة بكلمة (طاب مساؤكم) .

عدت إلى الفندق القريب وتهيأت للسفر بالأتوبيس الإسكندنياوى صباح اليوم التالى .

وبينما أنا أقف على باب الفندق أنتظر مجيء الأتوبيس إذ بالآنسة فيفى الموظفة بالمكتب السياحى فى كوبنهاجن والتى كانت قد رافقتنى فى أثناء وجودى

في العاصمة تظهر على دراجتها حاملة وردتين بالعدد وقدمتهما إلى مع ابنة
لطيفة بمناسبة سفرى .

وبينما هى تتجاذب معى آخر حديث سياحى إذا برجل يبدو عليه الوقار
يتقدم إلينا متوكئاً على عصاه ويبادرنا بالتحية مقدماً نفسه كصحفى فى
جريدة يومية هناك وقد فهم من مناقشتى مع فىنى أنى أجنبية، وكم كانت
دهشته عند ما علم أنى مصرية لأن المصريين فى مخيلته ليسوا إلا قوماً متأخرين
ونسأولهم محجبات سحبات فى الدور لتربية الأطفال .

ثم أدرك من الحوار والمناقشة أن معلوماته خاطئة، وأن أفكاره وما
تصوره لا يستند إلى الواقع، وحين علم أنى موظفة وأقوم فى هذه الرحلة
بمفردى فى بعثة حكومية دراسية أبدى أعجابه ودار بيننا حديث عن تحرر
المرأة المصرية ونشاطها فى جميع المجالات تم سألنى :

— هل مجيئك إلى هنا ياسيدتى لإنشاء مكتب سياحى لبلدكم ؟ ،

فأجبت بآن هذه الفكرة ستنفذ قريباً كما نفذناها منذ وقت قصير فى

ستوكهولم . وهنا ثارت ثائرة الرجل وقال محتداً :

— كيف تفضلون استوكهولم على كوبنهاجن فى إنشاء مثل هذا

المكتب ؟ علماً بأنها مركز سياحى هام وهى أقرب من استوكهولم
وملتقى سياحى عظيم لمعظم دول أوروبا، ولئن يفد إليها من السائحين
وسياذتك منهم .

فهدأت ثائرته وقلت إنه لا أفضاية هناك وإنما المسألة مسألة تخطيط
تقوم به مصلحة السياحة .

ولولا مجيئ الأتوبيس واستئذانى منه للركوب لما تخلصت من تأنيبه لـ

واحتجاجه على عدم فتح مكتب سياحى فى بلده قبل السويد .

رفاق السفر

مما لا شك فيه أن في مقدمة مزايا السفر والسياحة أن يلتقى الإنسان بأجناس وأشكال مختلفة تتباين طبائعها وعاداتها وتقاليدها ولغاتها وأن يشهد السائح ويرى رأى العين ما قرأ عنه وما سمع به وأن يضيف إلى معلوماته معلومات جديدة وطريقة •

ومن هذا القبيل ما صادفني في الطريق من بلجيكا إلى فرنسا وأنا مسافرة بالقطار إذ التقيت بثلاث سيدات إنجليزيات استرعى انتباهي فيهن زيهن الخاص برائدات الحركة الكشفية في العالم على الرغم من تقدمهن في السن وكن يتسمن بالاناقة والنشاط ، فكان من الطبيعي أن نتجاذب أطراف الحديث إذ كان يجمعنا صالون واحد ، فعلمت منهن أنهن في الطريق إلى حضور مؤتمر المرشدات والقادة الدولى الذى يقام فى الدنمارك وكان أول مؤتمر عالمى حينذاك (يوليه ١٩٥٥) وكانت الفكرة من عقده هناك أن الدنمارك تعتبر فى مقدمة البلاد التى شجعت هذه الحركة منذ قيامها وعملت على نشرها كما علمت منهن أن ابن الورد بادن باول مؤسس الحركة الكشفية وأول روادها سيحضر هذا المؤتمر لتوحيد هذه الحركة فى جميع أنحاء العالم . والهدف كما قالت لى إحداهن أن المؤتمر يجمع شمل الأعضاء الشباب منهم والرواد القدماء ، لكى يقدموا خبرتهم وتوجيهاتهم للرواد الجدد . وقد كانت الرفيقات — وهن يتنافسن فى سرد الذكريات عن المعسكرات التى اشتركن فيها — فى منتهى النشوة والسعادة ، خاصة وأنهن قد بدأن نشاطهن كمرشدات منذ عام ١٩١٦ إلى أن التقيت بهن فى عام ١٩٥٥ . كما ذكرن أن أول مؤتمر لجمعية المرشدات عقد عام ١٩٢٠ فى مدينة اكسفورد الذى رأسه المؤسس الأول للحركة وزوجته التى كانت من أولى المشجعات له فى تنظيم ونشر هذه الحركة فى إنجلترا بعد أسفارة الكثيرة وتجاربه العديدة . وقد نجح الورد بادن باول فى جعل هذه الحركة دولية وعالمية .

وقد مر الوقت بمنتهى السرعة في هذه الدردشة اللطيفة بيني وبين هؤلاء السيدات اللطيفات الرياضيات .

وفي طريقى من مدينة بون بألمانيا الغربية إلى أستكهولم بالسويد لم أوفق فى العثور على مكان فى عربة النوم، ولكن الموظف المسئول أشار على بحجز مقعد متحرك فى عربة خاصة ملحقة بالقطار بجانب عربات النوم وهو يقوم مقام السرير . وقد أعجبت بفخامة العربة حين وجدت مقاعدها وقد كسيت بالقطيفة الحمراء الجميلة وعلى كل مقعد وسادة صغيرة غاية فى النظافة، كما كانت النوافذ مغطاة بستائر تناسب وفخامة العربة وقد لاحظت أن التدفئة مناسبة للجو فسررت جداً لتوفيقى فى العثور على هذا المكان المريح .

وقد كانت رفيقة السفر هذه المرة سيدة سويدية تدرس اللغة الإنجليزية وكانت فى طريق عودتها من أجازتها السنوية التى قضتها فى فرنسا وإنجلترا وقد أدهشنى أنها تعرف الكثير عن تاريخ مصر، وقد أقنعتها بتمضية أجازتها القادمة فى مصر فقامت مشكورة بمرافقتى إلى الفندق الذى كان يبعد عن المحطة بنحو ربع الساعة ، لكنى كنت قد نسيت إحدى حقائى على رصيف المحطة وفقدت الأمل فى العثور عليها ولكنى صممت على العودة إلى هناك، وما كان أشد سرورى حين وجدتها فى مكانها على الرصيف الخارجى للمحطة .

ومما يجدر ذكره أن المصادفة تلعب دوراً كبيراً فى الرحلات والأسفار ، فعندما كنت أتناول طعام الغداء فى أحد النوادى النسائية فى أستكهولم وكان ذلك فى عام ١٩٥٥ تعرفت على سيدتين أمريكيتين، إحداهما مدرسة والأخرى أمينة مكتبة، وكانتا فى رحلة حول العالم بعد تقاعدهما فرحبتا بى كل الترحيب حين علمتا أنى مصرية وأنى كنت أمينة مكتبة فقالت لى إحداهما على الفور : « إننا كنا نود أن نقضى الشتاء الماضى فى بلدكم لولا قيام الحرب عندكم حيث بدأنا هذه الرحلة منذ ثمانية أشهر فى سيارتنا الخاصة التى نقودها بالتناوب

وقد أمضينا فترة الشتاء في أسبانيا . وقد دهشت جداً لما سمعته منها عن وجود حرب في بلدى وأنا لا أعلم عنها شيئاً وكنت قد غادرتها منذ أيام . فنفيت وجود هذه الحرب طبعاً واتضح لى بعد ذلك أنها كانتا تقصدان حرب التحرير الجزائرية . فأخرجت الخريطة التى كنت أحملها معى وأوضحت لهما مكان بلدى مع توضيح مكان الدول العربية المختلفة . وهذا دليل أكبر دليل على أن دعايتنا في الخارج ليست على المستوى المطلوب وقد وعدتاني بقضاء موسم الشتاء القادم عندنا بأسوان ، فقدمت إليهما بعض النشرات السياحية التى كنت أحملها معى .

قمت من فينسيا في الساعة الواحدة على الباخرة وكان الجو بالنسبة لى جديداً كما كانت المفاجآت جديدة أيضاً ، إذ وجدت السيدة الصغيرة زينب على وشك أن تشعر بدوار البحر فصعدت بها إلى سطح المركب ، فتحسنت حالتها نوعاً وكان يبدو عايتها بعض التأثير إذ قصت على باهجتها اللبنانية الظريفة شيئاً من ظروف زواجها وعائلتها فقالت إنها تزوجت منذ سبعة أشهر ورافقت زوجها في رحلته الدراسية في إيطاليا وكانت أول مرة تفارق فيها إخوتها الأربعة الصغار ، ولكنه السفر وحب المغامرات في دماء اللبنانيين . وقد هاجر خالها في طلب العلم والتجارة إلى أمريكا منذ أكثر من عشرين عاماً وكون ثروة لا بأس بها هناك . أما خالتها فقد تزوجت أخيراً شاباً لبناني الأصل ولكنه يقيم في أمريكا منذ سنوات عدة وقد حضر إلى بلدة ليتزوج من إحدى بنات جنسه ، وهذا تقليد كريم من غير شك ، فالسفر والاغتراب لا يحول بين المغترب وبين الحنين إلى أهله ووطنه . وقد أشادت ببلدتها زحلة ولم تنس أن تأخذ معها في رحلتها أهم عناصر طعام الكبيبة ، وهو « البرغل » ، وقد قامت بطهوها للطلبان وكانت دعاية لبلدها .

الرفيقة الثانية في «الكابين» سيدة سويسرية رقيقة متزوجة من أستاذ مصرى في الكيمياء ، وعندما تخرج في السنة الماضية سافر معها تاركين أولادهما الثلاثة في رعاية أسرته في طنطا ، فهي مسافرة للحصول على جواز سفر مصرى خاص .

بها ، وتصبح الأولاد معها وتعود إلى زيورخ ، وهي قلقة لتركها زوجها كما أنها مضطرة لرؤية أولادها ، وأنها تتمنى أن تحصل على الجواز المصرى ، وقد ظهرت آثار هذه الحيرة وهذا القلق في عينيها التي عبرت عن آلامها وإن كانت لم تتكلم إلا قليلاً .

وهذا شاب مراكشى كان يدرس في فرنسا ، وهو عائد إلى بلده بعد أن أمضى بعض الوقت في مصر ، وهو مسرور لرجوع السلطان محمد الخامس إلى المغرب بعد نفيه ، وكان يبدو عليه روح الحماس في صوته ، ولا يمل من تكرار أنشودته المفضلة عن الاتحاد بين البلاد العربية حتى تقضى على الاستعمار بنضالها واتحادها ووحدة رأيها . وقد سألتني إذا كان كل المسلمين يصلون في مصر وهل تعدد الزوجات مباح أم لا فأجبت بأن المسلمين يؤدون الصلاة في المساجد . أما تعدد الزوجات فأصبح نادراً ، وهناك تشريعات في سبيلها إلى الظهور تضع قيوداً على التعدد .

زيارة القدس

عزمت أنا وأسرة مصرية على أن نقوم برحلة إلى القدس بسيارة خاصة ، تركنا القاهرة في الساعة الخامسة صباحاً إلى الإسماعيلية ثم عبرنا القناة بالسيارة على المعدية وسلكنا طريقاً صحراوياً ممهداً يشبه لحد كبير طريق القاهرة إسكندرية إذا استثنينا ما به من منحدرات ومنحنيات .

توقفنا في بير سبع وهي بلد عربية صغيرة متواضعة وأهلها قوم كرام مجاملون ولحسن الحظ وجدنا بها فندقاً صغيراً قضينا فيه الليل حيث كانت معنا سيدة متقدمة في السن شعرت بدوار من السير في الطريق المتعرج ولم نستأنف السفر إلا في صباح اليوم التالي إلى بيروت عندما عادت السيدة العجوز إلى صحتها .

قمنا بجولة في جبال لبنان الحميلة من عاليه لبيت ماري لسوق العزب لبكفاية وعلمنا أثناء تجوالنا فيها أن الحكومة الفرنسية قد أنشأت بها معهداً فرنسياً لدراسة اللغة العربية الدارجة ، ويعتبر أول معهد من نوعه في الشرق . فزرنا المعهد وقابلنا مديره ومساعدته ورحبوا بنا وأطلعونا على نظام التدريس الذي يقوم على تسجيل الدروس بأجهزة التسجيل ثم يستمع كل طالب إلى ما سجله الجهاز المرات الكافية لاستيعاب ما فيه ، وهي طريقة توفر وقت المدرس وتعطي الطالب فرصة التكرار (والتكرار يعلم الحمار) .

ثم انحدرنا إلى بيروت ثانية لشراء ما يلزمنا من زاد في طريقنا إلى القدس وعندما خرجنا من بيروت سألنا عن الطريق الموصل لمدينة القدس حيث كانت الطرق متشعبة متعرجة .

وعندما سألنا أحد المارة أشار بيده إلى الجهة اليسرى قائلاً : « بعد بضع فشحات (خطوات) ستجدون طريقين واحد مزفت وآخر ما مزفت .

تتركوه وتواصلوا السير في المزفت » ، وفعلاً عملنا بإشاراته ونحن نخفي الضحك حيث كانت الألفاظ غريبة طبعاً ولكننا تقبلناها لحفة دم أصحابها الذين مازالت لهجتهم فطرية . .

وكان الطريق جبلياً يقع بين تلال ترتفع قليلاً وتنخفض قليلاً تتخللها هضاب خضراء وجداول ماء تنساب فيها أسلاك من الفضة ، وبعد بضع ساعات ونحن نتمتع بمناظر الطبيعة الخلابة أطلت علينا المدينة الخالدة وسط حقول الزيتون وكروم العنب والقرى الصغيرة المنتشرة حولها على طول هذا الطريق الرئيسي في وداعة وهدوء .

وعند وصولنا إلى المدينة الجميلة كان الوقت مارال مبكراً، فظهرت فلاحات هذه القرى بملابسهن المرر كشة بألوانها الزاهية يحملن الثمار والفواكه الطازجة للمدينة المقدسة .

ثم لمحنا القدس القديمة التي تحيط بها الأسوار القديمة وفيها الصخرة المعلقة والمسجد الأقصى وكنيسة القيامة .

كان فندق الملك داود مازال قائماً وقد سررنا بوجود أماكن خالية فيه ، وعندما دخلت الفندق ذكرني في طرازه بفندق مينا هاوس عندنا بأعمدته الضخمة وقاعاته الفسيحة وأثاثه (الأرابسك) والجو العربي . وبعد أن حجزنا الغرف اللارمة لنا ووضعنا بها حقائبنا تناولت بعض المرطبات في بهو الفندق الخارجي .

ولما كان وصولنا هذا قد صادف يوم الجمعة فقد حرصنا على الصلاة في المسجد الأقصى ، وقد مررنا في طريقنا إليه بأزقة ضيقة أرضها مرصوفة بحجارة ودرجات منحدره وبوابات ، وبعض الممرات المسقوفة على الطراز الروماني والمباني لها (شبابيك الحريم) بالنقوش العربية القديمة فتجدها خليطاً من الطابعين الروماني والعربي .

وتزدحم شوارع المدينة الخالدة بالحال التجارية من مخابز ومحلات بقالة ومقاه ... الخ ، وما أن اقتربنا من بيت المقدس حتى امتلأت قلوبنا برهبة هزت مشاعرنا ووجداننا فدارت بخلدنا أحداث التاريخ المجيد وساحة الإسلام وصلاة عمر بن الخطاب في هذا المكان منذ أربعة عشر قرناً ، فانتحينا مكاناً خاصاً بالسيدات وصلينا الجمعة فيه وكان الجناح يغص بالمصلين من مختلف البلاد .

قضينا ليلتين في فندق الملك داود ولما كان الوقت محدوداً فقد استعنت بدليل ليرافقنا في جولة سريعة في هذه الأماكن المقدسة مهد الأنبياء ومهبط الديانات السماوية والتي تضم مقدسات الأديان الثلاثة مهد السيد المسيح وجبل الزيتون ونهر الأردن والتحليل وغيرها من المناطق ذات المناظر الطبيعية الفاتنة . كل ذلك جعل منها بلاداً سياحية على أكبر جانب من الأهمية ، وهي تعتبر مشق ومضيفاً وتجمع بين الشرق والغرب ومركزها الديني التاريخي يجعلها قبلة للزائرين .

« ولا بد لنا أن نشير هنا إلى أن كلمة الحرم القدسي تشمل مسجد قبه الصخرة والمسجد الأقصى وما حولها من ساحات ومنشآت حتى الأسوار ، وتبلغ مساحته على وجه التقريب ٢٦٠٦٥٠ متراً مربعاً وله عشرة أبواب وسبعة عشر بئراً بعضها في صحن الصخرة والبعض على مقربة من المسجد الأقصى ؛ وللحرم أربع مآذن عالية » هكذا كان الدليل الشاب يشرح لنا بصوت هادئ تحالطه نبرة فخار في أسلوب تاريخي جميل وكنا نستمتع لشرحه في منتهى الخشوع بوجودنا بين هذه الآثار المقدسة وتاريخها الحافل ، ثم استأنف الدليل الشرح قائلاً : « تقوم القدس على تسعة جبال وتلال أهمها تل موربا والمشارف وجبل المكبر وجبل صهيون وجبل الزيتون الذي يقع في شرقي مدينة القدس وتاريخه متصل بتاريخ المدينة الخالدة ، فقد حطمت عليه الجيوش التي أتت لفتحها وعليه نزلت الجيوش الإسلامية التي حاصرت المدينة . ومنه صعد السيد المسيح إلى السماء حيث تقوم الآن كنيسة الصعود ، وفي أسفله توجد كنيسة

مريم المجدلية ومقام السيدة العذراء . أما عدد الجوامع الإسلامية والمساجد في القدس فهو ٣٦ جامعا عدا مسجدى الصخرة والأقصى ، وهى موزعة في أنحاء المدينة ، ومنها ٢٩ في المدينة القديمة داخل السور وسبعة خارج السور ، كما توجد قبور طائفة من المجاهدين الشهداء وجماعة من الصحابة الذين سكنوها وماتوا فيها .

سألت الدليل بعد الانتهاء من شرحه الوافى إذا كان الوقت يسمح بزيارة بيت لحم وهل هى تبعد كثيراً عن القدس ؟

فرد الدليل بأنها تبعد حوالى ١٦ كيلو من المدينة جنوباً ، وبعد أخذ رأى المجموعة اتجهنا إلى بيت لحم فوجدناها مدينة صغيرة جميلة تحيط بها الكروم وأشجار الزيتون والبساتين الخضراء ، وزرنا كنيسة الملاكه هيلانه (سنة ٣٢٦م) ولا تزال محتفظة بطابعها القديم المميز .

ووجدنا بجانب الكنيسة العظيمة محال تجارية تزخر بالمصنوعات اليدوية والخشبية وأشغال الابره والتطريز التى يشتهر بها أهل بيت لحم .

عرض علينا المرافق أو الدليل الشاب أن نكمل رحلتنا التاريخية إلى مدينة الخليل أو خلیل الرحمن كما يطلق عليها قائلًا :

«إنها تبعد حوالى ٤٣ كيلو متراً من القدس في نفس الاتجاه الجنوبي وتعتبر من أقدم المدن التاريخية وفيها قبور طائفة من الانبياء كقام نبي الله إبراهيم وزوجته سارة وأبناهما إسحق ويعقوب ويوسف وزوجاتهم وفوق هذا المكان يوجد مسجد عظيم كما توجد بها مصانع الزجاج والأواني الملونة الفخارية التى تصنع باليد .

وتعتبر الخليل مصيفاً جميلاً تنحدر من سفوحه كروم العنب والتين ، وتحوطه البساتين الزاهرة ويستحق الزيارة .

كانت المجموعة كلها أذاناً صاغية لشرح الدليل ومعلوماته القيمة، وقد شعرنا جميعاً وكأننا وصلنا الخليل وتمتعنا بزيارة معالمها المقدسة، وعندما توقف الدليل عن الكلام كانت الشمس قد قربت المغيب والمناظر الطبيعية خلابة والكل أظهر دهشته من مرور الوقت السعيد بهذه السرعة، وكان علينا أن نعود إلى القدس قبل المساء لعدة أسباب، ولم نشعر بأى تعب من جولتنا في هذه الأماكن المقدسة والآثار التاريخية :

وأنهينا زيارتنا للقدس بزيارة سريعة لمتحف الآثار الفلسطيني ويقع في مدخل القدس على مقربة من المدينة القديمة ويحتوى على آثار قيمة ونجف، ويعتبر من أحسن المتاحف وأغناها في الشرق الأوسط من ناحية هندسة بنائه ومحتوياته الأثرية كما قال لنا الدليل وهو وصلنا للفندق، وأخذنا في الاستعداد للسفر إلى القاهرة في صباح اليوم التالى .

قمنا من فندق الملك داود الساعة الخامسة صباحاً بالسيارة بعد تناول بعض المأكولات الخفيفة وقد جهز لنا الفندق وجبة غداء للطريق ولم نكن نعلم أين ولا متى سنتناولها .

ولكن الطريق كان سهلاً وهادئاً فوصلنا الإسماعيلية الساعة الثالثة بعد الظهر، واسترحنا على جانب الطريق وتناولنا آخر وجبة من البلاد المقدسة ثم استأنفنا السفر إلى القاهرة .

سياحة روحية

كانت هذه الرحلة الروحية خاتمة المطاف ومسك الختام لرحلاتي التي طالما منيت النفس بها وقد حقق المولى أمله وهياً لي هذه الفرصة السعيدة وهي الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة الحرم النبوي الشريف .

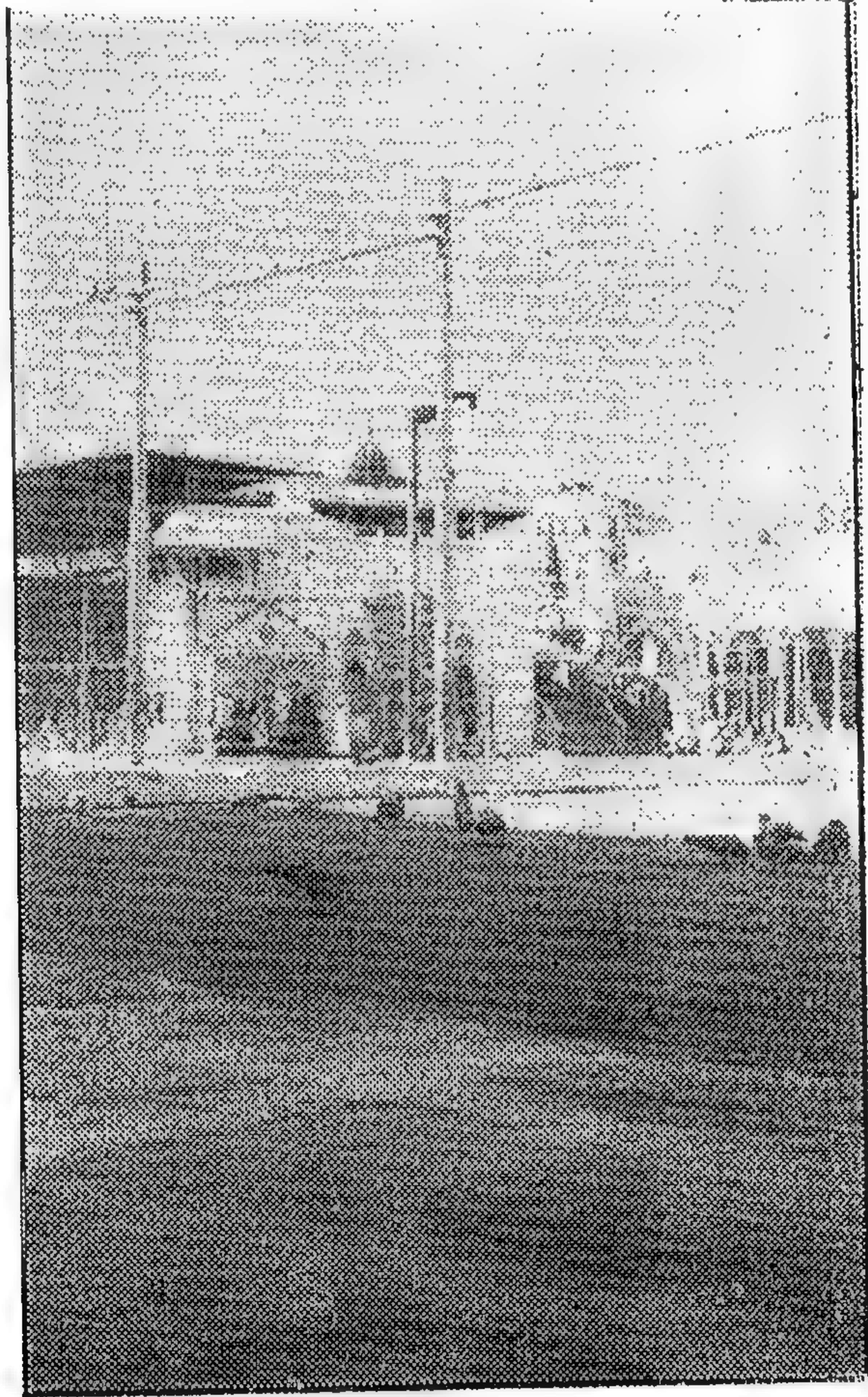
وقد أقلتني الطائرة من مصر إلى جدة فوصلت إليها في منتصف الليل تقريباً وكان في انتظاري بالمطار عند وصولي إحدى قريباتي وزوجها، وكان هدفي من هذه الرحلة في المقام الأول هو أن أؤدي فريضة الحج عن المرحومة والدتي التي كانت تود قبل وفاتها أن تؤدي هذه الفريضة، وفي ذات الوقت أقوم أنا بأدائها وكان من علامات التوفيق أن إحدى صديقاتي بمصر طلبت إلى عند وصولي إلى الأراضي المقدسة أن أبحث عن سيدة تدعى « بشرى » — التي كانت جارية من جوارى أحد الأمراء السعوديين ثم أعتقت وأصبحت حرة طليقة — وتقوم الآن بأداء ما يطلب منها من خدمات خفيفة أو القيام بأداء الفريضة عن من لم يستطع أداءها .

داده بشرى :

فتحدثت إلى قريبتى في هذا الشأن . وإذ نحن في الحديث عنها طرق الباب فوجدنا بمقدمها بعد أن كنا في سبيل البحث عنها . فلما تحدثت إليها في موضوع أداء الفريضة نيابة عن والدتي رحبت وأبدت استعدادها لذلك . ومن المصادفات العجيبة أن هذه السيدة كانت صورة طبق الأصل من المربية التي كانت تقوم على تربية والدتي وكنا نطلق عليها اسم (الداده) كما كان العرف السائد في الأسر القديمة ، وكنت إذ ذاك طفلة صغيرة ! ولكن مازلت أذكر صورتها التي انطبعت في ذهني منذ طفولتي حتى أشهدت (داده بشرى) كما يطلقون عليها :

وقد مكثت في جدة يومين ثم شددت الرحال إلى مكة المكرمة وكان الطريق مزدحماً بالحجاج من مختلف الأجناس والكل يردد الدعاء والابتهالات حتى وصلنا إلى بيت الله الحرام .

وهناك شهدت منظراً لا أنساه وسيظل منقوشاً في ذهني إلى الأبد إذ رأيت جماعة من أعراب نجد يتشبثون بستر من أستار الكعبة في قوة وعنف حتى خيل إلى أن الستر يكاد يتمزق تحت قبضاتهم وهم يرددون في أصوات كهزيم الرعد: « يارب اغفر لنا وارحمنا وإذا لم تغفر لنا وترحمنا فمن ذا الذي يغفر لنا ويرحمنا؟؟ فاغفر !! » (صورة رقم ١١) .



(صورة رقم ١١)

و كأتى بهم، وقد رفعت الحجب بينهم وبين الله عز وجل ويخاطبونه
، كأنهم يرونه ، وعندها لم أملك نفسى ، فأنهالت الدموع إزاء هذا
المشهد الذى يدل على الإيمان الصادق الراسخ العميق، وكان مشهداً مثيراً
رائعاً .

وهناك مشهد آخر وياله من مشهد ، فعندما كان الأعراب مايزالون
يرددون الدعاء والابتهال على هذه الصورة انبرى من وسط هذا الخضم من
الحجاج رجل تبدو عليه مظاهر التقوى والورع والإيمان يقف فى مواجهة
هؤلاء الأعراب وهو يوجه الخطاب إليهم فى صوت جهورى متدفق
قائلاً :

« يا قوم إن الله يقول : قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم »

ثم وهنا تراخت قبضات الأعراب عن السر والتفتوا إلى الرجل وهم ،
يرددون « الحمد لله . . الحمد لله » .

ثم أجهشوا بالبكاء فأم أتمالك نفسى وأجشمت معهم بالبكاء وأنا أردد:
« اغفر لى وارحمى يا أرحم الراحمين » .

المدينة المنورة :

كنت موفقة فى اختيار الفندق (سراى المدينة) وكان حديث البناء
وقد دلتى عليه السيد السفير المصرى فى ذلك الوقت (لواء حافظ أبو الشهود)
الذى كان قد حضر حفل افتتاحه قبل موسم الحج بأيام . وكانت مصادفة
سعيدة أن وجدت به غرفة لى أنا وإحدى زميلاتى ، ومن التوفيق أيضاً أن تكون
الغرفة فى الدور الرابع فى الزاوية التى تطل على باب الحرم ، والقبعة الخضراء
قريبة جداً منى حتى وأنا فى فراشى ،

وإزاء هذا التوفيق أدت صلاة شكر لله ومكثت حوالى ستة أيام بجوار الرسول حظيت فيها بمتعة روحية وسعادة تساوى العمر كله .

ولم أستطع تأدية صلاة فجر آخر يوم من إقامتى فى المدينة فى الحرم النبوى بسبب وعكة مفاجئة ، فصليت فى شرفة غرفتى بالفندق المطل على الحرم صلاة الفجر جماعة مع باقى المصلين .

مكتبة شيخ الاسلام بالمدينة المنورة :

خرجت بعد صلاة العصر فى اليوم الثالث بالمدينة من باب جبريل المواجه لباب السلام بالحرم النبوى الشريف ، واتجهت إلى اليمين فى ممر رخامى أبيص ناصع انتهى بعد حوالى خمسين متراً إلى بوابة (اركاد) توصل إلى زقاق ضيق وجدت على الجانب الأيمن منه باباً خشبياً منقوشاً عليه فى لوحة من الحجر (كتبخانه شيخ الإسلام المرحوم عارف حكمت بك أفندى) مع بعض أبيات من الشعر التركى فى مدح وتعريف صاحب المكتبة الأديب .

ورأيت فى وسط ساحة المكتبة عند دخولى نافورة من الرخام بها صنابير للوضوء وفى الجهة المقابلة للباب قاعة فسيحة مربعة الشكل مفروشة بالسجاد العجمى الفاخر وبها وسائل وكراسى ومصاحف للقراء على الطراز العربى . أما الكتب والمخطوطات النادرة فى هذه المكتبة فمودعة فى خزانات من زجاج على الحوائط الأربعة حسب موضوعاتها . استقبلنى أمين المكتبة وهو شيخ يبدو عليه سيماء الوقار يناهز الثمانين من عمره وهو فيخور بمجموعته النادرة من المخطوطات ويحرص أشد الحرص عليها وأخذ يقص على فى إيحاء تاريخ المبنى وكيف أنه كان خاصاً بالسيدة فاطمة بنت الحسين بعد أن أخرجها الوليد من الدار الواقعة خلف الحجرة الشريفة لتوسيع الحرم الشريف وبعدها هاجرت إلى مصر وتوفيت بها (السيدة فاطمة النبوية) .

وقد تأسست المكتبة في عصر السلطان عبد المجيد سنة ١٢٦٥ هـ أى قبل بناء الحرم النبوى الشريف وأصبحت تابعة لإدارة الأوقاف ولها فى استامبول عقارات موقوفة عليها وبلغ مجموع المجلدات اثنى عشر ألف ومائتين من المخطوطات، والنادر منها خمسون مخطوط فقط، وأقدم المخطوطات فى هذه المكتبة المصحف المخطوط على رق الغزال وهو آية فى جمال الخط النسخ المشكل ، قد طلب منى أمين المكتبة عندئذ ألا أكتب عنه شيئا خشية أن يغتصب منه .

وقد علمت منه أن الذين ساهموا فى تأسيس هذه المكتبة المادرة طائفة من السلاطين الاتراك والأعيان وجعواها وقفا لا يباح استعارة شئ منها فى الخارج للمحافظة عليها وعلى ما بها من نفائس .

وقد تصفحت بعض المخطوطات القيمة وألقيت نظرة على محتويات المكتبة ثم شكرت للأمين الشيخ إبراهيم كرمه وحرصه على هذه الدار الثمينة بمحتوياتها .

وقبل انصرافى بدقائق دخل طفل فى الرابعة من عمره أشقر الشعر جميل الصورة فقدمه لى الشيخ قائلا : هذا هو على أصغر أولادى وترتيبه الحادى عشر بينهم .

فحييته وأنا فى دهشة من كل ما رأيت وما سمعت وشكرته، وواصلت طريقى إلى الفندق حيث أقيم .

وفى الساعة الخامسة بعد الظهر ركبنا سيارة مع أحد الادلاء لزيارة جامع قباء وهو أول جامع صلى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم جامع القبلتين ثم «السبع جوامع» ثم عين حمزة الجارية وكانت تمر من تحت الجبل ورأينا فيها بعض الأسماك ، وكان بعض الحجاج يتبركون بالاعتسال منها . . .

وقد تمتعت بزيارة هذه الأماكن المقدسة القديمة التى جعلتنى أعيش فى راحة نفسية بضعة أيام، وقد صلينا فى كل جامع ركعتين تبركاً ثم عدنا للفندق .

جلست فى شرفة الفندق أكتب بعض الخطابات والمذكرات وإذا بأسرة مكونة من أربعة أشخاص يحبوننى جميعاً بكلمة « السلام عليكم » بلغة عربية تشوبها اللهجة الإفريقية ، فرددت التحية بأحسن منها ثم قدم لى أحدهم نفسه قائلاً : « الحاج أحد قاسم وهذه حرمى » وسألنى إذا كنت أتكلم الإنجليزية فرددت بالإيجاب فظهر عليه علامات الارتياح وسألنى العون لأنه يريد إرسال برقية لعائلته فى جنوب أفريقيا ، فلبيت طلبه وكتبت البرقية ووجدتنى أنتهز هذه الفرصة لأقوم بعملى السياحى دون أن أسعر ، وقدمت لهم بعض المعلومات عن جمهوريتنا وأهم معالمها وفنادقها وأسعارها . . . الخ وانتهت المقابلة بعد ما قدمت إليهم نفسى وبطاقتى وعنوان مكتبى ومنزلى .

وبعد انتهاء موسم الحج فوجئت بزيارتهم فى مكتبى ، فأكرمت وفادتهم ودعوتهم إلى منزلى ثم نظمت لهم رحلات سياحية فى القاهرة والإسكندرية وسافروا مزودين بأجمل الذكريات .

عروس البحر الأحمر :

كان جو جدة حاراً تمازجه الرطوبة الشديدة ومع ذلك قضيت بها بضعة أيام فى انتظار دورى على الطائرة للعودة لبلادى .

استرعت نظرى الحركة التجارية الكبيرة فى جدة ولا غرو فى ذلك فهى المركز الأول لعبور الحجاج إلى بيت الله الحرام بحرا وجوا وبها كل السفارات والقنصليات العربية والأجنبية كما لفت نظرى بعض المباني القديمة، والمهندسة العربية الأصيلة التى ما زالت قائمة فى بعض أحياء جدة القديمة، أما الأحياء الحديثة ففيها المباني ذات الطراز المعمارى الحديث من عمارات شاحنة إلى فيلات وفنادق . . . الخ .

أما المطار فكان غاصاً بالحجاج من مختلف البلدان فى انتظار دورهم فى السفر الذى لا يأتى إلا بشق النفس، وبعد مقابلة مدير المطار (الشيخ ، الطاسان فى ذلك الوقت) اقتنع بضرورة سفرى بطبيعة وظيفتى لإيئامنا ظل

عدد ضخم من الحجاج يتخبط في شبه بأس لضيق قاعات المطار وعدم توافر وسائل الراحة والإقامة، فشكرته وحمدت الله على هذا التوفيق وركبت الطائرة عائدة إلى محجر الطور ثم القاهرة .

لا يفتى مالك والحاجة فاطمة في الطور :

معسكر الطور عبارة عن بضع غرف متشابهة تتوسطها قطعة أرض فسيحة ، وفي أحد أطرافه مجموعة الغرف التي ينزل بها الحجاج لفترة استجمام طبية وذلك للتأكد من خلوهم من الأمراض المعدية، فيوجد المطعم والمقهى الخاص بالمعسكر، وفي المواعيد المحددة للوجبات يجتمع الحجاج لتناولها وتبادل الأحاديث والتحية .

وفي عصر اليوم التالي كنا نتناول فنجان شاي وعلى مقربة مني كان أحد الحجاج يناقش مسألة مناسك الحج قائلا لزميليه : « يجب أن يكون الحاج ملما بهذه المناسك إماماً كاملاً بحيث لا يترك حركة أو يقدم لفظاً أو يؤخر دعاء وإلا كانت الحجة غير سليمة » .

فانبرت الحاجة فاطمة من بيننا تصحيح لهذا المتزمت معلوماته قائلة : « هل تظن أن الله يحاسبنا على هذه الشكليات ، إن الرب رب غلوب وهو يعلم ما بهم ويعلم مدى إيمان المخلوق ثم إنه غفور رحيم. وهل المفروض أن كل حاج ولد مثقفاً يعرف مناسك الحج ؟ ! ارجع يا حاج أحمد ولا تقل هذا الكلام وتجعل الحجاج يتشككون وتضيع علينا الحجة المبرورة والمتعة النفسية وإلا حاسبك الله على هذا الشك وهذا الضلال » ، ثم ذكرت قوله عليه الصلاة والسلام « بشروا ولا تنفروا » .

فانضم للحاجة فاطمة عدد من الزملاء والزميلات وانفضوا من حول الحاج أحمد المتزمت الذي لم يستمر في سرد آرائه زاعماً أنه أستاذ كبير في الفقه ، وانسحب إلى غرفته بسلام بينما بقيت الحاجة بروحها الخفيفة تخفف من وقع ذلك المتزمت بدعاباتها وضحكاتها .

انتهت مدة الحجر الصحي بسلام بعد أن زادت روابط الصداقة بين
المجموعة واشترينا بعض التذكارات من البائعين المتجولين الذين حضروا حصيصاً
إلى هذا المكان الذى فيه نهاية الرحلة المقدسة ، وحتى يجمع الحجاج الهدايا
التي ربما شغلهم مناسك الحج والعبادة عن شرائها من المدينة المنورة أو مكة
المكرمة ، وأهمها المسابح والمناديل التي رسمت عليها مناظر الأماكن المقدسة ،
والدبل الفضية . . . الخ .

وافترقنا في المطار مرددين التمنيات بالعودة في الموسم المقبل إن شاء
الرحمن .

خاتمة

نأمل أن يكون القارئ قد جال بذهنه معنا في هذه الرحلات التي ما قصدت من سردها ونشرها إلا لتشجيع الشباب على الاسفار والوقوف على غادات وتقاليد الشعوب الأخرى لتكون له بمثابة مدرسة أو جامعة يستخلص منها ما ينفعه في حياته العملية وفي خدمة وطنه .

ولا أدل على ذلك من منشور لوزارة الخارجية المصرية عثرت عليه بمحضر المصادفة وزعته على جميع ممثليها الدبلوماسيين في الخارج تحض فيها الشباب في سفاراتنا وقنصلياتنا على انتهاز فرصة أجازاتهم وهم في الخارج للقيام برحلات في الدول الأجنبية ليقفوا على ما بها من حضارة وعلى ما في مجتمعاتها من أخلاق وثقافة، وعلى وسائلها الزراعية والاقتصادية ... الخ ، بحيث يلم كل دبلوماسي بما يهمه ويهم عمله ويعود عليه بسعة المدارك وما يكتشفه من آفاق جديدة تكسبه خبرة بالناس وبالحياة، وقيل قديماً إن خير حاكم هو ذلك الذي يكون قد مارس التجارة عتس سنوات وهي حكمه يونانية .

وأمل أيضاً أن يجد القارئ الكريم — الذي سبق له زيارة هذه الأماكن أو بعضها — شيئاً جديداً ومنتعة جديدة في الرجوع به إلى هذه الأماكن بذكرياتها الجميلة من خلال هذه الاسطر .

وعلى الذين لم تبح لهم فرصة زيارة هذه البلاد أن يعزموا على السفر إليها ليشاهدوها على حقيقتها التي لم يستطع قلبي الضعيف توفيتها حقها من الوصف الدقيق .

ويجمل بنا في هذا المقام — لنوفيه حقه — أن نوضح أن أهم شيء يجلب السائح هو حسن استقباله عند زيارته للبلاد . وسأسرد بعض ما شهدته بنفسى من حسن تصرف موظفي الموانئ والمطارات من جوازات وجمارك وحجز صحي . . الخ .

دروس سياحية :

إن أول ما يقع عليه العين عندما يصل الإنسان إلى استكهولم في أقصى الشمال أو في مطار كوبنهاجن^١ لافتته كبيرة كتب عليها بأحرف كبيرة باللغة الإنجليزية « مرحباً بك في السويد أهـ مـ حباً بك في الدانمارك »، والسائح الذي يزور هذه البلاد لأول مرة يشعر بفيض من السرور وهو يقرأ هذه العبارة ويخيل إليه أنها كتبت خصيصاً له لا حيب بشخصه وأن هذه البلاد إنما تفتح ذراعها لتعانقه وهي ترحب به .

وفي كثير من المطارات الأوربية تمر قبل خروجك من الجمر ك بموظف مهذب يسألك في لطف وأدب عما إذا كنت قد حجزت غرفة في فندق. ولكي يتأكد من ذلك يتصل تليفونياً بالفندق ليسأله عن رقم الغرفة^٢ ثم يسلمك ورقة صغيرة بالعنوان والرقم متمنياً لك أطيب الإقامة في بلده، وإذا لم يعثر على حجرة في الفندق الذي طلبت الحجز فيه، بادر بالاتصال بفندق آخر لكي لا يدعك دون أن يجد لك غرفة في فندق آخر ويعين لك رقم الغرفة به وأجر هذه الغرفة .

أما مندوب الجمارك في أوروبا فهو رجل جم الأدب تكاد الابتسامة لاتفارق شفثيه وهو يرفع يده إلى رأسه أو يرفع قبعته بالتحية لكل أجنبي تصادفه .

وقل أن يطالب أجنبي في أوروبا بفتح حقائبه اللهم إلا إذا اشتبه في أمره وكثيراً ما كان موظف الجمارك يسألني بعد فحص جواز السفر والتأشير عليه قائلاً : « أظن يا سيدتي أن حقائبك لا تضم غير حاجاتك الشخصية ؟ » فأجيبه وأنا أخرج المفاتيح من حقيبتي يدي « نعم هل تحب أن أفتحها ؟ » يهر

الرجل رأسه وهو يقول : «لاشكراً لك» ويصافحني مرحباً بي في بلاده، وإذا اجتازنا الحدود بالليل وجاء مندوب البوليس أو الحمر ك ووجدني نائمة في عربة النوم فإنه يحرص على أن ينقر على الباب نقرأ خفياً فإذا استيقظت كان أول ما يبتدرني به «مساء الخير ياسيدتي وعفواً عن إزعاجك»، ولا يكاد يستغرق مرورهم وتفتيشهم أكثر من دقائق. إن مندوب الحمر ك أو البوليس في أى بلد من أوروبا ليقدر تماماً واجب الوطنى حىال الأجنبى ويعرف أنه يمثل بلاده أمام هذا الزائر ويتوقف على تصرفه واستقباله ماهية الفكرة الأولى التى تنطبع عن هذا البلد .

كنت أجتاز الحدود بين إيطاليا والنمسا فى طريقى بالمطار إلى فينا، وكانت تأشيرة الدخول قد انتهى ميعادها ببضعه أيام فى جولتى بين فرنسا وإيطاليا وانجلترا، ولم أكن قد انتهت إلى انتهاء تاريخها فلفت نظرى مندوب البوليس إلى ذلك، فاعتذرت له عن سهوى ومرضت عليه ثمن تأشيرة أخرى فرفض ورحب بى وأشر على جواز السفر فى دقائق فشكرته ولم أنس هذه اللقطة فى بلاد الفن والموسيقى .

وأذكر مرة أخرى كنت فيها بصحبة زميلة لى فى بعثة إلى انجلترا وهبطت بنا الطائرة فى مطار ميونخ لبضع دقائق فطلبنا فنجانين من القهوة، وقبل أن تحضرها لنا المضيفة رأينا كوباً من الحىلاتى يسيل لها اللعاب وهى الاكلة المشهورة فى هذه البلدة فطلبنا من المضيفة مع الاعتذار استبدال القهوة بالحىلاتى فما كان منها الا أن أحضرت الاثنتين، وعلى شفيتها ابتسامة لطيفة، واعتذرت عن قبول الفرق بين السعرين فشكرتها وأنطبت هذه اللقطة الكريمة فى نفسينا إلى مابعد سنوات من الزيارة .

والسياحة تعتبر بحق خير مدرسة لتحصيل الفوائد والمعارف . وفى نظرى أن كل بلد يزوره الإنسان إنما هو بمثابة فصل من فصول هذه المدرسة الحية ، كما تعتبر من أعظم المعاهد . والمثقف الحق هو الذى لا يمكن أن تكتمل ثقافته إلا إذا جاب العالم من أقصاه إلى أقصاه .

«وأنا ممن يؤمن بأن السياحة هي أعظم وسيلة للوصول إلى السلام الدائم الذي ننشده اليوم الدول وتتوق إليه الأمم، لأنها تخلق الصداقات العالمية بين الشعوب وتربط الناس بعضهم ببعض في كل مكان وتدعم حسن التفاهم بينهم». والسياحة ليست مجرد نزاهات وأسفار يقوم بها بعض الناس في بلاد العالم المجرد للترفيه والاستمتاع، بل أصبحت بالنسبة للحكومات مورد دخل كبير لا أبالغ إذا قلت إن بعض الدول تعتمد في ٩٠٪ من دخلها على السياحة.

وهنا في مصر حيث يستمتع السائح بأصفي سماء وأجمل جو وحيث قامت الأديان كلها على مسرح واحد تهتف في آذان العالم بدعوة الخير والسلام.

هنا حيث عاشت أشهر وأعذب قصص الحب والغرام بين قيصر وكليوباترا، وحيث المعارك والحروب سجن لويس التاسع ملك فرنسا في المنصورة وحيث مواقع الأهرام ورشيد وأبو قير وقصص البطولة المصرية.. الخ أقول إن هذه المعالم الواضحة البارزة في تاريخنا كقيلة بأن تعود علينا سنوياً بعشرات الملايين من الجنهيئات التي ينفقها السائحون في بلاد أخرى لاتداني مصر في أنهارها ومناخها، ويحتاج العالم في هذا العصر إلى إعادة الثقة وزيادة التفاهم ويمكن تحقيق هذه الغاية عن طريق السياحة. فلا بد إذا من إغراء الأجانب على زيارة مصر بالدعاية لها على أسس قومية طبقاً لمنهج وتخطيط عصريين.

الجمهورية العربية المتحدة

مطبوعات

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

— ١١٤ —

الكتاب الأول (٤٤)

القاهرة

١٣٨٩ — ١٩٦٩

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل الوزارة

على سلطان على

رئيس مجلس الإدارة

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٦٩/٢٦١٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٠٠٠-١٩٦٨-٣٧٩١

